

شعبان المعظم ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م - العدد (٩) - السنة الثالثة

فصلية تعنى بمسائل العقيدة وعلم الكلام القديم والجديد

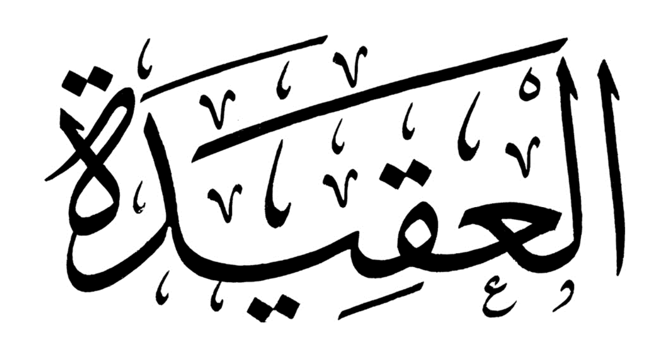
تصدر عن: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

يعنى بالاستراتيجية الدينية



عدد خاص بالإمام الحسين عليه السلام

- الشواهد القرآنية في النهضة الحسينية
- علم الإمام وثورة سيد الشهداء عليه السلام
- بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام وإشكالية الثأر
- القيادة الاستراتيجية في فكر الإمام الحسين عليه السلام
- الحسين قربان الله
- ثمرات انعقاد المجلس الحسيني
- أهمية الشعائر الحسينية وأدلّتها العامة
- فلسفة الموت عند الإمام الحسين عليه السلام



فصلية تعنى بمسائل العقيدة وعلم الكلام القديم والجديد

شعبان المعظم ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م - العدد (٩) - السنة الثالثة

تصدر عن

المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية

يعنى بالاستراتيجية الدينية

النجف الأشرف

الموقع الالكتروني: www.iicss.iq

الإيميل: info@iicss.iq

islamic.css@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحیم

قواعد النشر

- ❖ الموضوعية العلمية وعدم استخدام اللغة الجارحة.
- ❖ يتمّ تقييم البحوث من قبل لجان المجلة، وعلى الباحث إجراء التعديلات المطلوبة.
- ❖ يخضع تقديم وتأخير البحوث لظروف فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.
- ❖ المادة المنشورة تعتبر ملك المجلة، ولها الحق في إعادة نشرها وطبعها ضمن كتاب أو ترجمتها إلى لغة أخرى.
- ❖ يفضّل أن لا يزيد البحث عن أربعين صفحة.
- ❖ للمجلة الحق في حذف وتلخيص ما لا يتناسب مع أهدافها.
- ❖ يفضل إرسال البحوث مصفوفة على برنامج وورد.
- ❖ المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ❖ إرسال نبذة عن السيرة الذاتية للباحث مع رقم الهاتف والايميل.
- ❖ الالتزام بالرأي المشهور عند علماء الشيعة.
- ❖ تمنح مكافئة تقديرية لكل باحث بعد طباعة بحثه.

الموقع الالكتروني للمركز
www.iicss.iq

البريد الالكتروني للمركز
Islamic.css@gmail.com

البريد الألكتروني للمجلة
aqeedah.m@gmail.com

عدد خاص

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

تتعاظم الصلة بالإمام الحسين عليه السلام وتنتظم أُصولها اعتقاداً وممارسة بأشكال مختلفة، ولعلّ من أهمّ ما يوثّق التفاعل بين الناس عموماً وسيّد الشهداء عليه السلام ذلك الإطار الإنساني في الدعوة إلى الله تعالى على سنخ دعوات الأنبياء والمرسلين فهو وارث الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وقد مثل جوهر الرسالة الإلهية، وروح الخاتمية المحمدية في الإصلاح وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

لقد روت مواقف الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام وتضحياته نبض الدّين الإسلامي ورسخت عقائده الحقّة، وأماتت بدعه، وأجهضت محاولات انتحاله وتحريفه. وأعطت راية الإصلاح والدعوة إليه في كلّ زمان ومكان شرعيتها التي جذّرت أركانها بعيداً عن كلّ اختلاف أو تفرّق، فأضحى الحسين عليه السلام موحداً للمختلفين، مجسداً بنهجه وسيرته صور الثائرين والمصلحين.

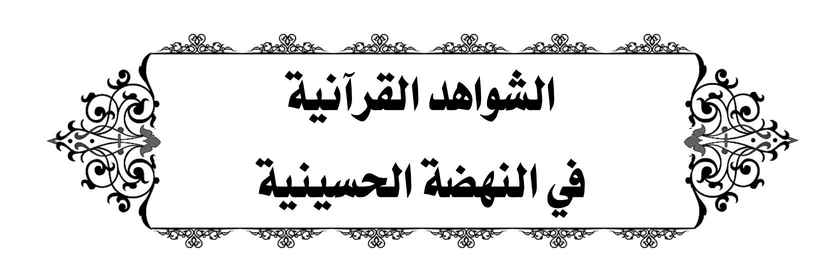
لقد لبّت أرواح المتعلقين بسيد شباب أهل الجنة عليه السلام دعوته فكراً وكلمات ولو شاء تعالى لكانت الأبدان والأرواح أسرع تلبية ففاضت حروف الباحثين، وروّاد فكر الحسين عليه السلام بأنوار عرشه الإلهي كلّ بحسب معرفته ومكانة وعيه لمنزلة سيد الشهداء الجنانية «من زار الحسين عارفاً بحقّه...».

من هنا جالت أنامل الباحثين والعلماء والمفكرين تنقّب في حقائق المواقف الحسينية ورؤيتها الكونية للوجود في الحياة والموت، في الحرية والإصلاح، في إحياء كلمة الدّين وترسيخ قيم خلود فاعليته الرسالية.

حلّت مجلة العقيدة موافقة لتأريخ ميلاد الإمام الحسين عليه السلام فلامسَ أبعادَ عقيدتنا في سيد الشهداء عليه السلام، كاشفاً تجلي الشهادة في الميلاد، والميلاد في الشهادة، عندها هتف البشير بولادته:

من بين قطاف هذا العدد ترى فكر المسيرة الحسينية من خلال شواهدها القرآنية «السلام عليك يا شريك القرآن»، وكيف كان الحسين عليه السلام قربان الله «اللهم تقبّل منّا هذا القربان» وبين هذا العدد فلسفة الموت في الحياة والحياة والخلود في الموت في فكر الثورة الحسينية، وأصل فكرة الحسين عليه السلام ثأر الله على يد الله وبقيته عليه السلام، وبحوث ودراسات علمية أُخرى جاءت في إطار هذا العدد الخاص بسيد الشهداء عليه السلام.

رئيس التحرير



الشواهد القرآنية في النهضة الحسينية

رسول كاظم عبد السادة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على النبي الأمّي الامين وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن على اعدائهم أجمعين، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى اصحاب الحسين.

ان نهضة الامام الحسين (صلوات الله عليه) قد اوجزها بنفسه عليه السلام حيث قال: (إنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)، وواقع الحال ان هذا الاصلاح لابد من أن يكون على وفق دستور يحتكم اليه ولا يمكن أن يكون غير ما جاء به نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وهو القرآن.

إذن فالإصلاح الحسيني ينطلق من القرآن، بل هو روح القرآن، لأنّ الناهض به ناطق بالقرآن كما قال امير المؤمنين عليه السلام حين وضع يده على رأسه وقال يا كتاب الله انطق، ثم قال: انا كتاب الله الناطق (عن المفيد عن علي عليه السلام أنه قال في أثناء كلام طويل: واما القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين، لا ينطق وانما تتكلم به الرجال)[1].

ومن هنا سوف نقف عند بعض الشواهد القرآنية التي كان مولانا سيد الشهداء يتمثل بها ليّعين بعض مصاديق تلك الآيات لمن أراد ان يتخذه مثالاً في السلوك الاصلاحي القرآني في الامة.

■ أولاً: الشاهد القرآني الحسيني من المدينة الى مكة، ثم الى كربلاء:

كانت مسيرة سيد الشهداء من المدينة الى مكة ومنها الى كربلاء تمثل مدرسة في الدعوة الى الله وبيان سلوكيات الحكام والناس؛ وذلك من خلال الحوادث التي دونها لنا التاريخ، فالمتأمّل في تلك الحوادث يجد التنوع في الوعظ والتشابه في الهدف؛ لأنّه صادر عن امر الله الواحد ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾[٢]. والذي يهمنا في هذا البحث ما كان سيد الشهداء يستعمل فيه القرآن شاهدا ودليلا، وان كان كل ما يفعله عليه السلام ويقوله صادر من روح القرآن؛ لأنّه يحذو حذو جده صلى الله عليه وآله ﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[٣] إذ إنّ فعله وقوله من الله وعن الله. وأول ما يصادفنا من تلك الشواهد في بيان نهضته وانها الهية المنشأ.

١- ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

فقد بين سلام الله عليه ان امره يجري مجرى الانبياء عليهم السلام الّذين من قبله فخروجه من المدينة- مثلا - كخروج موسى بن عمران «السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُوسى كَلِيمِ اللهِ».

قال المفيد: سار الحسين إلى مكة وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

خرج الحسينُ خروجَ موسى خائفاً ... مترقِّباً ما أضمرته لِئَامُها

فتعاهدت في حِفْظِ ذِمَّةِ أحمد ... ساداتُ أنصارِ الإلهِ كرامُها[٥]

٢- ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكبت عن الطريق كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب، فقال: لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو

قاضٍ، ولما دخل الحسين عليه السلام مكة، كان دخوله إياها يوم الجمعة، لثلاث مضين من شعبان، فلمّا نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية الكريمة: ﴿**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾(٦)، وذلك ما قاله رسول الله موسى بن عمران عليه السلام حينما خرج من مصر إلى مَدْين . وقيل: إنَّه لمّا قدم مكّة قال: «اللّهمَّ، خِرْ لي واهدني سواء السبيل»(٧).

٣- ﴿**إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾.

ومن اهم الاهداف التي اراد الامام الحسين عليه السلام ان يبينها للامة ان فعله بالخروج هذا لم يكن بقصد مفارقة الامة وتفريقها؛ بل ان حكام الامة وطغاتها هم الذين فارقوا منهاج الاسلام فلابد من المزايلة والمفارقة بينهم وبينه، فهم قد كذبوا بما جاء به الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله .

روى الطبري عن عقبة بن سمعان قال: لمّا خرج الحسين من مكّة، اعترضه رُسلُ عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحي بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين تذهب ؟! فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط .

ثمّ إنّ الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قويّاً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: يا حسين، ألا تتّقي الله، تخرج من الجماعة وتُفرّق بين هذه الأمّة؟!

فتأوّل حسين قول الله عزّوجلّ: ﴿ **... لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (٨) .

وهذه الآية استشهد بها الامام عليه السلام حين ابلغه اهل المدينة برسالة يزيد اليهم بالتهديد، إذ يروي التاريخ، أنّ يزيد بعث برسالة إلى أهل المدينة تحتوي تهديدهم وتحذيرهم من أيِّ تحرُّك يتنافى ومصالح السلطة الأمويّة، فعن ابن أعثم الكوفي: (وإذا كتاب يزيد بن معاوية قد أقبل من الشام إلى أهل المدينة على البريد

ـ من قريش وغيرهم من بني هاشم، وفيه هذه الأبيات..

أَبلغ قريشاً على نأي المزار بها	بيني وبين الحسين اللهُ والرحمُ
وموقف بفناء البيت أنشده	عهد الإله غداً يوفى به الذممُ
هنيتمُ قومكم فخراً بأمِّكمُ	أُمٌّ لعَمري حسانٌ عفَّة كرمُ
هي التي لا يُداني فضلها أحدٌ	بنت الرسول وخير الناس قد علموا
إنّي لأعلم أو ظنّاً لعالمه	والظنّ يصدق أحياناً فينتظمُ
أنْ سوف يترككم ما تدَّعون به	قتلى تهاداكم العقبان والرخمُ
يا قومنا لا تشبُّوا الحرب إذ سكنتْ	وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا
قد غرَّت الحرب مَن قد كان قبلكمُ	من القرون وقد بادت بها الأُممُ
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً	فَرُبَّ ذي بذخ زلَّت به القدمُ

فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات، ثمّ وجّهوا بها وبالكتاب إلى الحسين بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ فلمّا نظر فيه، علم أنّه كتاب يزيد بن معاوية، فكتب الحسين الجواب: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(٩) والسلام» (١٠).

٤- ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾.

وعند حاول بعض الاصحاب في مكة الطلب من الحسين عليه السلام تغيير عزمه بالسير الى العراق؛ لأنهم اهل غدر وسيتركونه وحيدا بين يدي اعدائه، فبيّن لهم انه على منهاج جده ابراهيم؛ لأنّه امة وحده، وما له الا ان يقول حسبي الله ونعم الوكيل، ولما ألحوا اليه احتكم الى القرآن متفائلاً ومستخيراً.

تبيّن ذلك في محاورة ثلاثية كانت بين الإمام عليه السلام وابن عباس وعبدالله بن عمر الثالث فيها، ويبدو أنّ هذه المُحاورة حصلت في الأيّام الأُولى من إقامة الإمام الحسين عليه السلام في مكّة المكرّمة، وكان بها يومئذ ابن عباس وابن عمر (وقد عزما أن ينصرفا إلى المدينة).

وقد ابتدأ ابن عمر القول في هذه المُحاورة، مُحذّراً الإمام عليه السلام من عداوة البيت الأُموي وظلمهم وميل الناس إلى الدنيا، وأظهر له خشيته عليه من أن يُقتل، وأنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه ؛ ليخذلهم الله إلى يوم القيامة) [11]، ثمّ أشار على الإمام عليه السلام أن يدخل في صلح ما دخل فيه الناس، وأن يصبر كما صبر لمعاوية !

فقال له الحسين عليه السلام : (أبا عبدالرحمن! أنا أُبايع يزيد وأدخل في صُلحه؛ وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيه وفي أبيه ما قال) ؟!

فقال ابن عباس: صدقتَ أبا عبد الله، قال النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته: «ما لي وليزيد ؟! لا بارك الله في يزيد !، وإنّه يقتل ولدي وولَد ابنتي الحسين عليه السلام ، والذي نفسي بيده، لا يُقتل ولدي بين ظهراني قوم فلا يمنعونه ؛ إلاّ خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم»!

ثمّ بكى ابن عباس، وبكى معه الحسين عليه السلام ، وقال: (يا بن عباس، تعلمُ أنّي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله) ؟!

فقال ابن عباس: اللّهمّ نعم، نعلمُ ونعرف أنّ ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله غيرك، وأنّ نصرك لفرض على هذه الأمّة، كفريضة الصلاة والزكاة، التي لا يقدر أن يقبل أحدهما دون الأُخرى!

قال الحسين عليه السلام : (يا بن عباس، فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من داره وقراره ومولده، وحرم رسوله، ومُجاورة قبره، ومولده، ومسجده،

وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقرّ في قرار ولا يأوي في موطن، يريدون في ذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يُشرك بالله شيئاً، ولا اتّخذ من دونه وليّاً، ولم يتغيّر عمّا كان عليه رسول الله)؟!

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم: إلاّ ﴿ **... أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى ...**﴾ ﴿ **... يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾، وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأمّا أنت يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّك رأس الفخار برسول الله صلى الله عليه وآله وابن نظيرة البتول، فلا تظنّ ـ يا بن بنت رسول الله ـ أنّ الله غافل عمّا يعمل الظالمون، وأنا أشهد أنّ مَن رغب عن مُجاورتك، وطمع في مُحاربتك ومُحاربة نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله فماله من خَلاق .

فقال الحسين عليه السلام : (اللّهمَّ اشهد).

فقال ابن عباس: جُعلتُ فداك يا بن بنت رسول الله، كأنّك تُريدني إلى نفسك، وتُريد منّي أن أنصرك ! والله الذي لا إله إلاّ هو، أن لو ضربتُ بين يديك بسيفي هذا حتّى انخلعَ جميعاً من كفّي، لما كنت ممَّن أُوفِّي من حقّك عُشر العُشر، وها أنا بين يديك مُرْني بأمرك .

ثمّ أقبل الإمام الحسين عليه السلام على ابن عباس رحمه الله .. فقال: (يا ابن عباس، إنّك ابن عمّ والدي، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع والدي تُشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك فتُشير عليه بالصواب، فامضِ إلى المدينة في حفظ الله وكلائه، ولا يَخفَ عليَّ شيءٌ من أخبارك، فإنّي مُستوطنٌ هذا الحرم، ومُقيمٌ فيه أبداً ما رأيتُ أهله يُحبّوني وينصروني، فإذا هم خذلوني استبدلتُ بهم غيرهم، واستعصمتُ بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل عليه السلام يومَ أُلقي في النار: (حسبي الله ونِعْمَ الوكيل)، فكانت النار عليه برداً وسلاماً...).

فبكى ابن عباس وابن عمر في ذلك الوقت بكاءً شديداً، والحسين عليه السلام يبكي معهما ساعة، ثمّ ودّعهما، وصار ابن عمر وابن عباس إلى المدينة.

وروي: (أنّ ابن عباس ألحّ على الحسين عليه السلام في منعه من المسير إلى الكوفة، فتفأَّل بالقرآن لإسكاته، فخرج الفأل قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...**﴾(١٢).

فقال عليه السلام: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون، صدق الله ورسوله ـ . ثمّ قال: ـ يا بن عباس، فلا تُلحَّ عليَّ بعد هذا ؛ فإنّه لا مردّ لقضاء الله عزّ وجلّ)(١٣).

٥- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾:

ثم سار سلام الله عليه متوكلاً على الله سبحانه وتعالى غير مبال بالمنية؛ لأنّ المنايا مقدرة موقته لايدفعها الانسان بالاحتيال او بالاسباب؛ لذلك رفض نصرة اهل الغيب وانما اراد ان يكون منهجه خاضعا لقوانين اهل الارض من غير الاستعانة بالاعجاز والقوى الغيبية الا بما تقام به الحجة على القوم.

قال محمد بن أبي طالب في آماليه: وأتته أفواج مسلمي الجن فقالوا: يا سيدنا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك، وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك، فجزاهم الحسين خيرا وقال لهم: أو ما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي رسول الله ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾(١٤)، وقال سبحانه: ﴿**لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**﴾(١٥). وإذا أقمت بمكاني فبماذا يبتلي هذا الخلق المتعوس؟ وبما ذا يختبرون ؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء؟ وقد اختارها الله يوم دحا الأرض، وجعلها معقلا لشيعتنا، ويكون لهم أمانا في الدنيا والآخرة ولكن تحضرون يوم السبت، وهو يوم عاشورا الذي في آخره اقتل، ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي، ويسار برأسي إلى يزيد لعنه الله . فقالت الجن: نحن والله

يا حبيب الله وابن حبيبه، لولا أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك، فقال صلوات الله عليه لهم: نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[16][17] .

٦ - ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

و لم يشغله عليه السلام المسير الى الكوفة عن ان يفسر ايات القرآن ويرد على اسئلة المكلفين، فإنّ من تمام نهضته سلام الله عليه بيان مسلك خصومه من بني امية، وان الخلق لا يخلون من امام يدعوا الى الحق والصلاح، واخر يدعوا الى الباطل والضلالة، فأجاب بشر بن غالب لما سأله حين بلغ الثعلبية، فقال: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال: إمام دعا إلى هدى فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وهو قوله عز وجل[18] ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[19].

٧ - ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾.

ومن شواهده سلام الله عليه القرآنية الأُخر وهو في طريقه الى كربلاء انه وقف عند اهم خصائص الداعي المصلح، وهي عدم الاستعانة في دعوته باهل الضلالة ذريعة للوصول الى مبتغاه وهذا هو منهج امير المؤمنين عليه السلام في الجمل، فان اتخاذ مثل هؤلاء في نهضات المصلحين هو الآفة الكبرى والخطأ الذي وقعت فيه اغلب تلك الدعوات وفي زماننا هذا شواهد كثيرة على ذلك، فقد نزل عليه السلام القطقطانة فنظر إلى فسطاط مضروب، فقال: لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل: لعبد الله بن الحر الجعفي فأرسل إليه الحسين عليه السلام فقال: أيها الرجل إنك مذنب خاطئ وإن الله عز وجل آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه فتنصرني، ويكون جدي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى . فقال: يا بن رسول الله والله لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك

فوالله ما ركبته قط، وأنا أروم شيئا إلا بلغته، ولا أرادني أحد إلا نجوت عليه، فدونك فخذه فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه، ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، ﴿**وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾[٢٠]، ولكن فر، فلا لنا ولا علينا فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت، ثم لم يجبنا أ كبه الله على وجهه في نار جهنم [٢١].

■ ثانياً: الشاهد القرآني الحسيني في خضم المعركة :

وكان القرآن في ساعة المعركة حاضراً؛ بل شاهدا على القوم في كل كلمات الامام عليه السلام وخطبه مبينا لهم احقيته عليه السلام وبطلان امر بني امية دعاة الضلالة.

فقددعى القوم الى كتاب الله والاحتكام اليه في معرفة المحق من المبطل مبينا لهم انه احق بالنصر من يزيد وبني امية لو قرا القرآن كما بينه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، بخلاف قراءة يني امية ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا القرآن عِضِينَ**﴾[٢٢].

٨ - ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾.

ذكر الطبري: لما دنا منه القوم دعا الإمام الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ثم نادى بأعلى صوته دعاء يسمع جل الناس: أيها الناس ! اسمعوا قولي، ولا تعجلوني حتى أعظكم بما لحق لكم علي، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي، وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم على سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنْظِرُونِ**﴾[٢٣] ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾[٢٤].

٩- ﴿**عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾.

وفي الإرشاد يقول الشيخ المفيد: (ثمّ دعا الحسين براحلته فركبها، ونادى بأعلى صوته: (يا أهل العراق ـ وجُلّهم يسمعون ـ فقال:

أيّها النّاس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتّى أعِظكم بما يحقّ لكم عليَّ، وحتّى أُعذِر إليكم، فإنْ أعطيتموني النّصف كنتم بذلك أسعد، وإنْ لم تعطوني النَصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم، ثمّ لا يكنْ أمركم عليكم غُمّة ثمَّ اقضوا إليَّ ولا تنظرون، إنَّ وليَّ الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

ثمّ حمدَ الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يُسمع متكلّمٌ قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثمّ قال :

أمّا بعد، فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجِعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلحُ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألستُ ابن بنت نبيّكم، وابن وصيّه وابن عمِّه، وأوّل المؤمنين المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه ؟ أوَ ليس حمزة سيّد الشهداء عمّي ؟ أوَ ليس جعفر الطيّار في الجنّة بجناحين عمِّي ؟ أوَ لم يَبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة ؟

فإنْ صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذباً منذ علمتُ أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم مَن إنْ سألتموه عن ذلك أخبَرَكم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاريّ، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعديّ، وزيد ابن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخيّ، أمَا في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي ؟!

فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول![٢٥]، فقال له حبيب بن مظاهر: والله، إنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادقٌ ما تدري ما يقول، قد طبعَ الله على قلبك .

ثمّ قال لهم الحسين عليه السلام :

فإنْ كنتم في شكّ من هذا، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم ؟! فو الله ما بين

المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم! أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ؟! أو مالٍ لكم استهلكته ؟! أو بقصاص جراحة ؟!

فأخذوا لا يكلّمونه، فنادى:

يا شبث بن ربعي، يا حجّار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألمْ تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار واخضرّ الجناب، وإنّما تقدِم على جُندٍ لك مُجنَّدة ؟!

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول ! ولكن انزِل على حكم بني عمّك ؛ فإنّهم لن يُروك إلاّ ما تحبّ !

فقال له الحسين عليه السلام:

لا واللهِ، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد، ثمّ نادى:

يا عباد الله، إنّي عُذت بربّي وربّكم أن ترجمون، ﴿ **إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ** ﴾(٢٦).

ثمّ إنّه أناخَ راحلته، وأمر عقبة بن سمعان فعقلها» (٢٧).

١٠- ﴿ **بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾.

أمّا الخوارزمي، فقد روى تفاصيل هذا الخطبة على نحوٍ آخر، ونحن ننقل منها محل الشاهد قال: (وأصبحَ الحسين فصلّى بأصحابه، ثمّ قرّب إليه فرسه، فاستوى عليه وتقدّم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير الهمداني، فتقدّم الحسين عليه السلام حتّى وقف قبالة القوم، وجعل ينظر إلى صفوفهم كأنّها السيل، ونظرَ إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة، فقال: (الحمدُ لله الذي خلقَ الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور مَن غرّته، والشقيّ مَن فَتَنته، فلا تغرّنكم هذه الدنيا ؛ فإنّها تقطع رجاء مَن ركن إليها، وتخيّب طمعَ

مَن طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، فأعرضَ بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنِعمَ الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم، أقرَرتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمّد، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذرّيته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم وما تريدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هؤلاء قوم قد كفروا بعد إيمانهم (فبعداً للقوم الظالمين).

فقال عمر بن سعد: ويلكم، كلِّموه فإنّه ابن أبيه، فو الله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لمَا قطع ولمَا حصر، فكلّموه.

فتقدّم إليه شمر بن ذي الجوشن فقال: يا حسين، ما هذا الذي تقول؟ أفْهِمنا حتى نفهم!

فقال عليه السلام: أقول لكم اتّقوا الله ربّكم ولا تقتلونِ، فإنّه لا يحلّ لكم قتلي ولا انتهاك حرمتي؛ فإنّي ابن بنت نبيّكم، وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم، ولعلّه قد بلغكم قول نبيّكم محمّد صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ما خلا النبيّين والمرسلين، فإنْ صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، فو الله ما تعمّدتُ كذباً منذ علمتُ أنّ الله يمقت عليه أهله، وإنْ كذّبتموني فإنّ فيكم من الصحابة مثل: جابر بن عبد الله، وسهل بن سعد، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، فاسألوهم عن هذا، فإنّهم يُخبرونكم أنّهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن كنتم في شكّ من أمري أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم؟! فو الله ما بين المشرقين والمغربين ابن بنت نبيّ غيري، ويلكم، أتطلبوني بدم أحد منكم قتلته، أو بمالٍ استملكته، أو بقصاص من جراحات استهلكته ؟!

فسكتوا عنه لا يجيبونه، ثمّ قال عليه السلام: والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد، عباد الله، إنّي عُذت بربّي وربّكم أن ترجمونِ، وأعوذ بربّي من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب.

فقال له شمر بن ذي الجوشن: يا حسين بن علي، أنا أعبد الله على حرف إن كنتُ أدري ما تقول !

فسكت الحسين عليه السلام، فقال حبيب بن مظاهر للشمر: يا عدوَّ الله وعدوَّ رسول الله، إنّي لأظنّك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك لا تدري ما يقول، فإنّ الله تبارك وتعالى قد طبع على قلبك .

فقال له الحسين عليه السلام : حسبُك يا أخا بني أسد، فقد قُضي القضاء، وجفّ القلم، والله بالغ أمره، والله إنّي لأَشوق إلى جدّي وأبي وأمّي وأسلافي من يعقوب إلى يوسف وأخيه، ولي مصرعٌ أنا لاقيه [٢٨].

١١- ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ**﴾.



وقد جاء في خبر المقتل ان اصحاب الحسين عليه السلام باتوا في ليلة العاشر من محرم بالصلاة والتهجد وقراءة القرآن، اذ ان انصار الحسين عليه السلام تخلقوا بأخلاق امامهم حيث كان عليه السلام عدل القرآن لايفرقه القرآن ولا يفارق القرآن، عملاً وقراءةً.

في رواية للطبري عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي قال: (فلمّا أمسى حسينٌ وأصحابه قاموا الليل كلّه يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرّعون، قال :فتمرُّ بنا خيلٌ لهم تحرسنا، وإنّ حسيناً ليقرأ: ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ مَّا كَانَ اللّه لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾[٢٩] فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا، فقال: نحن وربّ الكعبة الطيّبون، مُيّزنا منكم !

قال: فعرفتهُ، فقلت لبرير بن خضير: تدري مَن هذا ؟ قال: لا .

قلتُ: هذا أبو حرب السبيعي، عبد الله بن شهر، وكان مضحاكاً بطّالاً، وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربّما حبسه في جناية .

فقال له برير بن خضير: يا فاسق، أنت يجعلك الله في الطيبين ؟!

فقال له: مَن أنت ؟

قال: أنا برير بن خضير .

قال: إنّا لله، عزّ عليَّ، هلكتَ والله، هلكتَ والله يا بُرير .

قال: يا أبا حرب، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام ؟ فو الله إنّا لنحن الطيّبون ولكنّكم لأنتم الخبيثون .

قال: وأنا على ذلك من الشاهدين !

قلتُ: ويحك، أفلا ينفعك معرفتك ؟!

قال: جُعلتُ فداك، فمَن يُنادم يزيد بن عذرة العنزي من عنز بن وائل ؟ قال: هاهو ذا معي .

قال: قبّح الله رأيك، على كلّ حالٍ أنت سفيه .

قال: ثمّ انصرف عنا، وكان الذي يحرسنا بالليل في الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وكان على الخيل)(٣٠) .

١٢- ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾.

لذلك اصبح ديدن اصحاب الحسين في خطاباتهم وكلماتهم الاستشهاد بالآيات القرآنية تشبها بإمامهم وتحرياً للصواب في القول بعد ان وفقوا للصواب من الفعل بالتحاقهم بالحسين عليه السلام .

هكذا أضفى الامام الحسين عليه السلام على اصحابه من نورانيته المباركة اثرا جديدا الا وهو الفقه والمعرفة بكتاب الله ولاشك فان من التحق بركب الحسين فقد ادرك الفتح واوله فتح ابواب العلوم والمعارف القرآنية.

روى الطبري قائلاً: جاء حنظلة بن أسعد الشباميّ فقام بين يدي حسين، فأخذَ يُنادي: **﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ**

وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٣١).

يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيُسحتكم الله بعذاب وقد خاب مَن افترى .

فقال له حسين: (يا بن أسعد رحمك الله، إنّهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إلي من الحقّ ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصادقين ؟!

قال: صدقتَ جُعلت فداك، أنتَ أفقه منّي وأحقّ بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا ؟

قال: رُحْ إلى خيرٍ من الدنيا وما فيها، وإلى مُلكٍ لا يبلى .

فقال: السلام عليك أبا عبد الله، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعَرّف بيننا وبينك في جنّته .فقال: آمين آمين .

فاستقدمَ فقاتل حتّى قُتل(٣٢) .

١٣- ﴿إِنَّ اللّه اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وقد بين الامام عليه السلام انه من الذرية الطاهرة ومن سلالة الانبياء عليهم السلام ، فهو بذلك احق من غيره في اصلاح امة جده بالوراثة القرآنية والولائية، فقد احتج على

ابن الاشعث حين قال له: يا حسين بن فاطمة أية حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك ؟ فتلا الحسين هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٣٣)، ثم قال: والله إن محمدا لمن آل إبراهيم، وإن العترة الهادية لمن آل محمد(٣٤).

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله قائلاً: (ثمّ أقبل آخر من عسكر عمر بن سعد

يقال له محمّد بن أشعث بن قيس الكندي، فقال: يا حسين بن فاطمة، أيّة حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك ؟! قال الحسين عليه السلام: (هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً ...**﴾، ثمّ قال: إنّ محمّداً لمِن آل إبراهيم، ثمّ قال: إنّ محمّداً لمِن آل إبراهيم، وإنَّ العترة الهادية لمِن آل محمّد، مَن الرجل ؟

فقيل: محمّد بن أشعث بن قيس الكندي(٣٥)، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء فقال: اللّهمّ أرِ محمّد بن الأشعث ذُلاً في هذا اليوم لا تُعزّه بعد هذا اليوم أبداً)، فعرضَ له عارض فخرج من العسكر يتبرّز فسلّط الله عليه عقرباً فلدغهُ فمات بادي العورة)(٣٦).

واكد هذا المعنى حين برز ولده الاكبر علي عليهما السلام، فقد برز علي الاكبر، وكان له ثماني عشرة سنة، فلمّا رآه الحسين رفعَ شيبته نحو السماء، وقال: (اللّهمَّ اشهد على هؤلاء القوم، فقد برزَ إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك محمّد صلى الله عليه وآله، كنّا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه، اللّهمّ فامنعهم بركات الأرض، وإنْ منعتهم ففرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا تُرضِ الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دَعونا لينصرونا، ثمّ عَدَوا علينا يقاتلونا ويقتلونا.

ثمّ صاح الحسين بعمر بن سعد: مالكَ ! قطعَ الله رَحِمك، ولا باركَ الله في أمرك، وسلّط عليك مَن يذبحك على فراشك، كما قطعتَ رحِمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ رفع صوته وقرأ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾(٣٧).

١٤ - ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾.

وكان سلام الله عليه يبين حال قتلاه من القرآن فهم مصاديق أعلى للشهادة،

ويبين كذلك لمن بقي منهم انهم على الطريق في انتظار الشهادة فكان سلام الله عليه يقرا هذه الآية.

اذا بلغته شهادة احدهم، وقال الطبري: لمّا بلغ الحسين عليه السلام إلى عذيب الهجانات، في ممانعة الحرّ .

جاءه أربعة نفر ومعهم دليلهم الطرمّاح (٣٨) بن عديّ الطّائي، وهم يجنبون فرس نافع المرادي، فسألهم الحسين عليه السلام عن الناس وعن رسوله، فأجابوه عن الناس، وقالوا له: رسولك مَن هو ؟ قال: (قيس!).

فقال مجمع العائذي: أخذه الحُصين، فبعث به إلى ابن زياد، فأمره أن يلعنك وأباك، فصلّى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعانا إلى نصرتك، وأخبرنا بقدومك، فأمر به ابن زياد، فأُلقي من طمار القصر، فمات رضي الله عنه .

فترقرقت عينا الحسين عليه السلام وقال: ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ**﴾، اللّهمَّ، اجعل لنا ولهم الجنّة منزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مُستقرّ رحمتك ورغائب مذخور ثوابك).

وكان عليه السلام يقرا هذه الآية على اغلب الشهداء من اصحابه في ساحة القتال حين يقف عليهم.

روى الطبري انَّ عمرو بن الحجّاج حملَ على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات فاضطربوا ساعة، فصُرع مسلم بن عوسجة الأسدي، أوّل أصحاب الحسين، ثمّ انصرف عمرو بن الحجّاج وأصحابه، وارتفعت الغبرة فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين فإذا به رمق، فقال: (رحمك ربّك يا مسلم بن عوسجة(٣٩) ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ (٤٠).

ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزَّ عليَّ مصرعك يا مسلم، أبشِر بالجنّة.

فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير.

فقال له حبيب: لولا أنّي أعلم في أثرك لاحقٌ بك من ساعتي هذه لأحببتُ أن توصيني بكلّ ما أهمَّك، حتى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين.

قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله ـ وأهوى بيده إلى الحسين ـ أن تموت دونه.

قال: أفعلُ وربّ الكعبة.

قال: فما كان بأسرعِ من أن مات بأيديهم(٤١).

■ ثالثاً: الشاهد القراني الحسيني بعد الشهادة:

١٥- ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾.

ونصل الى اتم الشواهد القرآنية وأعظمها تجليا حيث تظهر جلالة الدلالة فيها وبهاء ونور الناطق بها، تلك التي نطق بها رأس الامام الحسين عليه السلام، ففيها شرح الامام ومن طريق الاعجاز انه وأصحابه مثال اصحاب الكهف، ويزيد وقومة وأتباعه مثال دقيانوس، الى غيرها من الدلالات التي ممكن للعارف ان يستنبطها من معجزة قراءة راس الامام الحسين لآية اصحاب الكهف، على ان هناك روايات تشير الى ان الرأس الشريف سلام الله عليه، ولعنة الله على حامله، قد قرأ اكثر من آية.

عن زيد بن أرقم انه قال: مر به علي وهو على رأس رمح وانا في غرفة لي، فلما حاذاني سمعته يقرأ ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾ (٤٢)، فوقف والله شعري فناديت: رأسك والله يا بن رسول الله اعجب واعجب!

وعن ابي مخنف عن الشعبي انه صلب رأس الحسين عليه السلام بالصيارف في

الكوفة، فتنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ فلم يزدهم ذلك الا ضلالاً (٤٣).

وأخرج ابن عساكر، بإسناده عن المنهال بن عمرو قال: أنا ـ والله ـ رأيت رأس الحسين بن علي حين حُمل وأنا بدمشق، وبين يدي الرأس رجل يقرأ سورة الكهف حتّى بلغ قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾(٤٤)، قال: فأنطق الرأس بلسان ذرب فقال: (أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي)(٤٥) . ولنعم ما قال السيد بحر العلوم في ذلك:

أروحــــك ام روح الـــــنبوّة تـــصعد	من الأرض للفردوس والحـور سـجَّد
ورأسك أم رأس الرسـول عـلى القنـا	بـــآية أهـــل الـــكهف راح يـــردّد
وصـدرك أم مستودع العلم والحجـى	لـتحطيمه جـــيش مـن الجهـل يعمـد
وأمّـــــك أم أُمّ الـــكتاب تـــنهَّدت	فـــــذاب نـــشيجاً قـــلبها الـــمتنهّد

١٦- ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾.

وفي اثر انهم لما صلبوا رأسه على الشجر سمع منه ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

وعن الحارث بن وكيدة قال: كنت فيمن حمل رأس الحسين عليه السلام وسمعته يقرأ سورة الكهف؛ فجعلت أشك في نفسي وانا اسمع وقلت، اسرقه، فناداني: يابن وكيدة ليس لك إلى ذلك من سبيل سفكهم دمي اعظم عند الله من تسييرهم اياي، فذرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾(٤٦).

١٧- ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وجاء في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: (وقال: إنّ كلّ راوٍ لهذا الحديث

قال لمَن رواه له: الله، إنّك سمعته من فلان؟ قال: الله، إنّي سمعته منه، إلى الأعمش! قال الأعمش: فقلت لسلمة بن كهيل: الله، إنّك سمعته منه ؟ قال: الله، إنّي سمعته منه بباب الفراديس بدمشق ! لا مُثّل لي ولا شُبّه لي وهو يقول(٤٧): ﴿...فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٤٨).

رابعاً: الشاهد القرآني الحسيني عند اهل البيت في الأسر:

وتستمر النهضة الحسينية بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام وهي تحمل القرآن دستورا ومنهاجا في ابطال دعاوى الطغاة والجبابرة، ولكن هذه المرة بقيادة زين العابدين والحوراء زينب عليهما السلام.

ان منهج بني امية في اخفاء الاستحقاقات الالهية لأهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم لم يفلح امام منهج الامام السجاد عليه السلام في بيان تلك الاستحقاقات في قلب العاصمة الاموية، فكان الامام السجاد خطيبا ومفسرا مجاهرا بفضائل اهل البيت عليهم السلام الامر الذي دعاهم الى التعجيل بإعادته الى المدينة المنورة.

١٨- ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

قال ابن أعثم: وأُتي بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أُدخلوا من مدينة دمشق من باب يُقال له: (باب توما)، ثمّ أُتي بهم حتّى وقفوا على درج باب المسجد حيث يُقام السبي، وإذا بشيخ قد أقبل حتّى دنا منهم وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح الرجال من سطوتكم، وأمكن أمير المؤمنين ! منكم .

فقال له عليّ بن الحسين: يا شيخ، هل قرأت القرآن ؟!

فقال: نعم، قرأته .

قال: فعرفت هذه الآية: ﴿قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي

الْقُرْبَى﴾(٤٩)؟!

فقال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: فنحن القُربى يا شيخ !

قال: فهل قرأت في (بني إسرائيل): ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ...﴾(٥٠) ؟!

فقال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال عليّ (رضي الله عنه): نحن القُربى يا شيخ ! ولكن هل قرأت هذه الآية: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾(٥١)، فنحن ذو القُربى يا شيخ ! ولكن هل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(٥٢) ؟!

فقال الشيخ: قد قرأت ذلك .

فقال: فنحن أهل البيت الذين خُصصنا بآية الطهارة ! .

قال: فبقى الشيخ ساعة ساكتاً نادماً على ما تكلّمه، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمَّ، إنّي تائبٌ إليك ممّا تكلّمته ومن بغض هؤلاء القوم، اللّهمّ، إنّي أبرأ إليك من عدوّ محمّد وآل محمّد من الجنّ والإنس (٥٣) .

وفي اللهوف قال: قال الراوي: بقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به، وقال: تالله، إنّكم هُم ؟!

فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : تالله، لنحن هم من غير شكّ، وحقّ جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله إنّا لنحن هم.

قال: فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللّهمّ، إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد صلى الله عليه وآله من الجنّ والإنس . ثمّ قال: هل لي من توبة ؟

فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا . فقال: أنا تائب.

فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به فقُتِل (٥٤).

١٩- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

كانت طريقة اهل البيت عليهم السلام تهدف الى بيان كفر يزيد بنص القرآن وابطال تأويلاته القرآنية المنحرفة وذلك في بيان واضح ينبأ بان بني امية اتخذوا من القرآن بتأويلاتهم الخاطئة تلك سلما للوصول الى الحكم، ومن هذا المنطلق قطعوا الطريق على مثل هذه التأويلات.

ذكر أبو الفرج الأصفهاني؛ قال: ثمّ دعا يزيد ـ لعنه الله ـ بعليّ بن الحسين، فقال: ما اسمك ؟

فقال: عليّ بن الحسين .

قال: أوَ لم يقتل الله عليّ بن الحسين ؟!

قال: قد كان لي أخ أكبر منّي يُسمّى علياً فقتلتموه!

قال: بل الله قتله .

قال علي: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ...﴾ (٥٥).

قال له يزيد: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ...﴾(٥٦).

فقال علي(٥٧): ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٥٨) .

٢٠- ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

إنّ من أروع الخطب التي سجّلها التأريخ، هي الخطبة التي ألقتها زينب الكبرى في مجلس يزيد.

قال ابن طيفور ـ بعد ذكر تمثّل يزيد بأبيات ابن الزبعرى ـ، فقالت زينب بنت عليّ عليهما السلام :

صدق الله ورسوله يا يزيد ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[٥٩]، أَظَنَنْتَ ـ يَا يَزِيدُ ـ حين أُخِذ عَلَيْنَا بأَطراف الأَرْضِ وَأكناف السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا نُسَاقُ كَمَا تُسَاقُ الأُسارى أَنَّ بِنَا هَوَاناً عَلَى اللهِ، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرَامَةً، وَأَنَّ هذا لِعَظِيمِ خَطَرِكَ ؟! فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ في عِطْفِكَ، جَذلان فرحاً حينَ رِأَيْتَ الدُّنْيَا مُسْتَوْسِقَةً لكَ، وَالأُمُورَ مُتَّسِقَةً عليك، وقد أُمْهِلت ونُفِّست، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾[٦٠]، أمِنَ العدل ـ يا بن الطُّلقاء ـ تخديرك نساءك وإماءَك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله قد هتكت ستورهن وأصحلت صوتهن، مكتئبات تحذي بهنّ الأباعر ويحدو بهنّ الأعادي من بلدٍ إلى بلد، لا يُراقبن ولا يؤوين، يتشوفهنّ القريب والبعيد، ليس معهنّ وليّ من رجالهنّ؟! وكيف يُستبطأ في بُغضنا مَن نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟! أتقول: (ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا) غير مُتأثّم ولا مُستعظم، وأنت تنكت ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك ؟! ولِمَ لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة بإهراقك دماء ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطّلب ؟! ولتردنّ على الله وشيكاً موردهم ولتودَنّ أنّك عميت وبُكمت، وأنّك لم تقل: (فاستهلّوا وأهلّوا فرحاً) .

اللّهمَّ، خُذْ بحقّنا وانتقم لنا ممّن ظلمنا ! والله، ما فريت إلاّ في جلدك ولا حززت إلاّ في لحمك، وسترد على رسول الله صلى الله عليه وآله برغمك وعترته ولحُمته في حظيرة القدس، يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[٦١]. وسيعلم من بوّأك ومكّنك من رقاب المؤمنين، إذا كان الحَكَم الله والخصم محمّد صلى الله عليه وآله وجوارحك شاهدة عليك، فبِئْسَ للظالمين بدلاً ! أيّكم شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً ؟! مع أنّي ـ والله ـ يا عدوّ الله وابن عدوّه أستصغر قَدرك وأستعظم

تقريعك، غير أنّ العيون عبرى ! والصدور حرّى ! وما يجزي ذلك أو يُغني عنّا، وقد قُتل الحسين عليه السلام، وحزب الشيطان يُقرّبنا إلى حزب السفهاء ليُعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، وهذه الأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجُثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات، فلئن اتّخذتنا مغنماً لتتّخذنّ مغرماً، حين لا تجد إلاّ ما قدّمت يداك، تستصرخ ابن مرجانة ويستصرخ بك، وتتعاوى وأتباعُك عند الميزان، وقد وجدت أفضل زاد زوّدك معاوية قتلك ذرّية محمّد صلى الله عليه وآله، فوالله، ما اتّقيتُ غير الله، ولا شكواي إلاّ إلى الله، فكِدْ كيدك واسْعَ سعيك وناصب جهدك، فوالله، لا يدحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً، والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبّان الجنان، فأوجب لهم الجنّة، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات، وأن يوجب لهم المزيد من فضله، فإنّه وليٌّ قدير(٦٢) .

٢١ - ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّه غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾.

ويطل رسول الله صلى الله عليه وآله من وراء الغيب مخبرا بان ما جرى بعين الله مذكرا لامته على لسان ابن عباس ان ذلك مسطور في كتاب الله لمن تدبر قرائته.

ذكر ابن شهرآشوب قال: إنّ ابن عبّاس: رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في منامه بعد ما قُتِل الحسين عليه السلام وهو مُغبرُّ الوجه، حافي القدمين، باكي العينين، وقد ضمّ حجز قميصه إلى نفسه، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّه غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾(٦٣) وقال: إنّي مضيت إلى كربلاء والتقطت دم الحسين من الأرض، هو ذا في حجري، وأنا ماضٍ أُخاصمهم بين يديّ ربّي(٦٤).

هذا ما توفر للبحث من الشواهد القرآنية وان المقام لايسع اكثر مما ذكر والا فان هناك شواهد متعددة كانت كربلاء ميدانا للاستشهاد بها، نكتفي منها بما تقدم.

اللّهُمَّ العن قتلة الحسين واصحاب الحسين من الاولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين..

* هوامش البحث *

(١) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥.

(٢) القمر/٥٠.

(٣) النجم/٣.

(٤) القصص/٢٢.

(٥) ديوان العلامة الجشي: ١٣٢.

(٦) سورة القصص: الآية ٢٢.

(٧) الفتوح، ٦: ٢٥؛ روضة الواعظين: ١٧٢، إعلام الورى: ٢٢٣، البداية والنهاية: ١٦٠؛ أنساب الأشراف، ٣ :١٢٩٧، مقتل الحسين عليه السلام للمقرَّم: ١٤١، الإرشاد: ٢٢٣، الفصول المهمَّة: ١٨٣، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ٢: ٨٠٣.

(٨) تأريخ الطبري، ٣: ٢٩٦ . الأخبار الطوال: ٢٤٤ .

(٩) سورة يونس عليه السلام : الآية ٤١ .

(١٠) الفتوح، ٥: ٧٧ ، تهذيب الكمال، ٤: ٤٩٣، البداية والنهاية، ٨: ١٦٧ .

(١١) الفتوح، ٥: ٢٦ ـ ٢٧ .

(١٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٥ .

(١٣) ناسخ التواريخ، ٢ / ١٢٢؛ وسائل الشيعة، ٤ :٨٧٥ .

(١٤) النساء/٧٨.

(١٥) آل عمران/١٥٤.

(١٦) الأنفال/٤٢.

(١٧) بحار الأنوار : ٣٣٠/٤٤.

(١٨) الشورى/٧.



(١٩) العوالم: ١٦٢.

(٢٠) الكهف/٥١.

(٢١) العوالم: ١٦٢.

(٢٢) الحجر/٩١، في تفسير العياشي، عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام، عن قوله ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا القرآن عِضِينَ**﴾. قال: (هم قريش).

(٢٣) يونس/٧١.

(٢٤) الأعراف/١٩٦.

(٢٥) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١: ٣٥٨، مثير الأحزان: ٥١، سير أعلام النبلاء: ٣: ٣٠٢ .

(٢٦) غافر/ ٢٧.

(٢٧) الإرشاد: ٢: ٩٧، تاريخ الطبري: ٣: ٣١٨، زهر الآداب للحصري، ١/٦٢ ، ابن الأثير في الكامل: ٣: ٣٨٧، مثير الأحزان: ٥١، أنساب الأشراف: ٣: ٣٩٦، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق السيّد عبد العزيز الطباطبائي: ٧٢، سير أعلام النبلاء: ٣: ٣٠١ .

(٢٨) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، ١: ٣٥٦ ـ ٢٥٨، اللهوف: ٤٢ ـ ٤٣، تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق المحمودي: ٣١٧ ـ ٢٠ رقم ٢٧٣ .

(٢٩) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٨ و١٧٩ .

(٣٠) تاريخ الطبري، ٤: ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

(٣١) غافر/٣- ٣٣.

(٣٢) تاريخ الطبري: ٣: ٣٢٨ ـ ٣٢٩، الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٢، أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٥، الإرشاد: ٢: ١٠٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٢: ٢٨، اللهوف: ١٦٤، تسلية المجالس ٢: ٢٩٤، البحار: ١٠١: ١٠١: ٢٧٣ و٤٥: ٧٣ .

(٣٣) آل عمران/٣٣.

(٣٤) بحار الأنوار: ٣١٧/٤٤.

(٣٥) محمّد بن الأشعث الكندي: هو ابن الأشعث بن قيس، الذي أُسِرَ في الكفر مرّة وفي الإسلام (مُنافقاً) مرّة أُخرى، وقد اعترض الأشعث على بعض كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فخفض عليه السلام إليه بصره، ثمّ قال: (ما يُدريك ما عليَّ ممّا لي ؟! عليك لعنة الله ولعنة

اللاعنين، حائك ابن حائك ! منافق ابن كافر ! والله، لقد أسرك الكفر مرّة والإسلام مرّة أُخرى ! فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك ! وإنّ امرءاً دلَّ على قومه السيف، وساق إليهم الحتف، لحريٌّ أن يمقته الأقرب، ولا يأمنه الأبعد !) (نهج البلاغة، صبحي الصالح: ٦١ ـ ٦٢ رقم ١٩).

(٣٦)أمالي الصدوق: ١٣٤ المجلس الثلاثون، البحار، ٤٤: ٣١٧.

(٣٧)ذوب النضار: ١١٩، إرشاد المفيد: ٢: ١٠٦، نَفَس المهموم: ٣١١، اللهوف: ١٦٦، وتاريخ الطبري: ٣: ٣٣١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٢: ٣٤، الدرّ النظيم: ٥٥٥، الأخبار الطوال: ٢٥٦، تذكرة الخواص: ٢٣٠، إعلام الورى: ٢: ٤٦٤، تسلية المجالس: ٢: ٣١٠، مقاتل الطالبين: ٨٦، البحار: ٤٥: ٦٥ ـ ٦٦ .كامل الزيارات: ٢٥٣ باب ٧٩ رقم ٢١ .

(٣٨)الطبري، ٥: ٤٠٤، قاموس الرجال، ٥: ٥٦٠.

(٣٩)البحار: ٤٥: ٦٩ ـ ٧٠ .وفي زيارة الناحية المقدّسة أنّ مسلم بن عوسجة (رض) أوّل شهداء الحملة الأولى، أي أوّل شهداء الطفّ رضوان الله تعالى عليهم، فقد ورد فيها السلام على مسلم بن عوسجة هكذا: (السلام على مسلم بن عوسجة الأسديّ، القائل للحسين وقد أذِن له في الانصراف: أنحن نخلّي عنك ؟ وبمَ نعتذر عند الله من أداء حقّك ؟ لا والله، حتى أكسِر في صدورهم رمحي هذا، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أُفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ولم أُفارقك حتى أموت معك، وكُنت أوّل مَن شرى نفسه، وأوّل شهيد شهد لله وقضى نحبه، ففزتَ وربّ الكعبة، شكر الله استقدامك ومواساتك إمامك، إذ مشى إليك وأنت صريع فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجة، وقرأ: ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾، لعنَ الله المشتركين في قتلك: عبد الله الضبّابي، وعبد الله بن خُشكارةَ البجلي، ومسلم بن عبد الله الضبّابي).

(٤٠)الأحزاب/٢٣.

(٤١) الأخبار الطوال: ٣٠٣، تاريخ الطبري، ٣: ٣٢٣، الإرشاد: ٢: ١٠٢، المنتظم لابن الجوزي: ٥: ٣٣٩، البداية والنهاية لابن كثير: ٨: ١٨٢، جواهر المطالب للباعوني: ٢: ٢٨٦، مناقب ابن شهرآشوب: ٤: ١٠١، اللهوف: ١٦١، البحار: ٤٥: ٦٩ ٧٠.

(٤٢)الكهف/٩.

(٤٣)دلائل الامامة: ٧٨.

(٤٤)الكهف: ٩ .

(٤٥)تاريخ مدينة دمشق ١٧/ ٢٤٦، الخرائج والجرائح ٢/ ٥٧٧؛ الثاقب في المناقب: ٣٣٣ ح٢٧٤، وفيه أنّه قال: (أمري أعجب من أمر أصحاب الكهف والرقيم)، الخصائص الكبرى ٢/ ١٢٧؛ بحار الأنوار ٤٥/ ١٨٨، ح٣٦؛ الصراط المستقيم ٢/ ١٧٩ ح٥٧؛ مناقب أمير المؤمنين للصنعاني ٢/ ٢٦٧؛ الكواكب الدُّرِّية ١/ ٥٧؛ إسعاف الراغبين: ١٩٦؛ نور الأبصار: ١٣٥؛ مدينة المعاجز: ٢٧٤؛ إثبات الهُداة ٥/ ١٩٣ ح٣٢؛ إحقاق الحقّ ١١/ ٤٥٣؛ عبرات المصطفين ٢/ ٣٣٠؛ العوالم ١٧/ ٤١٢ .

(٤٦)دلائل الامامة: ٧٨.

(٤٧)البقرة: ١٣٧.

(٤٨) تاريخ مدينة دمشق ٧/ ٥٠٩، مُختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٩٢، القمّي، المسلسلات: ٢٥١ ؛ العلاّمة الجويني، فرائد السمطين ٢/ ١٦٩ ح٤٥٨، تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٢٣٦؛ الوافي بالوفيات ١٥/ ٣٢٣؛ قيد الشريد لمحمّد بن طولون: ٧٥ . دلائل الامامة: ٧٨.

(٤٩) الشورى: ٢٣ .

(٥٠) الإسراء: ٢٦ .

(٥١) الأنفال: ٤١ .

(٥٢) الأحزاب: ٣٣ .

(٥٣) الفتوح ٢/ ١٨٣، تفسير فرات الكوفي: ١٥٣ ح١٩١، أمالي الصدوق: ٢٣٠، بحار الأنوار ٤٥/ ١٥٤؛ روضة الواعظين ١/ ١٩١؛ الاحتجاج ٢/ ١٢٠؛ مقتل الخوارزمي ٢/ ٦١؛ الدرّ المنثور ذيل آية ٢٣: الشورى و٢٦.

(٥٤) الملهوف: ٢١١، تسلية المجالس ٢/ ٣٨٤، ابن حجر، الصواعق المُحرقة: ٣٤١ باب وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله بهم؛ ينابيع المودّة ٢/ ٣٠٢ عن الطبراني مُلخّصاً.

(٥٥) الزمر: ٤٢ .

(٥٦) الشورى: ٣٠.

(٥٧) الحديد: ٢٢ ـ ٢٣ .

(٥٨) مقاتل الطالبيين: ١٢٠.، المُنتظم ٥/ ٣٤٣ . الفتوح: ٢/ ١٨٤ . وروي مضمونه في: أنساب الأشراف ٣/ ٤١٩؛ الطبقات الكبرى ـ من القسم غير المطبوع ـ ٨٣؛ تاريخ الطبري ٤/ ٣٥٢؛ الكامل ٤/ ٨٦؛ الإرشاد ٢/ ١٢٠؛ إعلام الورى: ٢٤٩؛ مقتل الخوارزمي ٢/٦٣؛ الردّ على المُتعصّب العنيد: ٤٩؛ عبرات المصطفين ٢/ ٢٨٨.

(٥٩) الروم: ١٠ .

(٦٠) آل عمران: ١٧٨ .

(٦١) آل عمران: ١٦٩ .

(٦٢) بلاغات النساء: ٣٥ .

(٦٣) إبراهيم: ٤٢ .

(٦٤) المناقب ٤/ ٨٤؛ تسلية المجالس ٢/ ٤٤١ .

* مصادر البحث *

القرآن الكريم.

*- الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت٣٥٦هـ) .

١- مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق السيد احمد صقر، منشورات ذوى القربى، ايران، د. ت .

*- ابن أعثم الكوفي، أحمد بن عثمان (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦م):

٢- كتاب الفتوح، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد - د.ت).

*- ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ /١٢٣٢ م):

٣- الكامل في التأريخ، تح: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث (بيروت -١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩ م).

*- بحر العلوم، محمد تقي:

٤- مقتل الحسين (ع)، تحقيق الحسين بن التقي بحر العلوم، ط الزهراء النجف ١٩٧٨.

*- البحراني، السيد هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٧هـ) .

٥- البرهان في تفسير القرآن: الطبعة الثانية، مطبعة آفتاب - طهران - نشر وتصوير: مؤسسة إسماعيليان - قم المقدسة .
٦ - مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي، ٨ ج، ٨ مج، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة - ١٤١٣ هـ .
*- البحراني، الشيخ عبد الله:
٧- مستدرك (عوالم العلوم والمعارف والأحوال): للسيد محمد باقر الموسوي الموحد الأبطحي الأصفهاني، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة - الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
*ـ الجويني، لابراهيم بن المؤيد بن عبدالله بن علي بن محمد الخراساني(ت٧٣٠هـ):
٨- فرائد السمطين: تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، نشر مؤسسة المحمودي، بيروت ١٣٩٨هـ.
*- ابن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م):
٩-المنتظم في تواريخ الملوك والامم، تح: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
*- الحويزي، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي (ت ١١١٢ هـ).
١٠ - نور الثقلين: تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ج٥.
*- الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ):
١١ـــ مقتل الحسين، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف، ١٩٤٨م.
*- الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود، (ت٢٨٢هـ) .
١٢- الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠ .
*- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م) .
١٣- سير أعلام النبلاء، تحقيق، محمد بن عبادي عبدالحليم،ط١، مكتب الصفا، القاهرة: ٢٠٠٣م.
*- الري شهري: الشيخ محمد(معاصر):
١٤- الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه عليهم السلام ، بمساعدة: محمود طباطبائي نزاد وروح الله السيد طبائي، تحقيق: قسم تدوين السيرة مركز بحوث دار الحديث، الطبعة الاولى سنة ٢٠١١م، الناشر: دار الحديث للطباعة - قم.

*- ابن شهر أشوب: رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي السردي (ت ٥٨٨ هـ) .
١٥- مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية ،النجف الأشرف ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٦٥ م.
*- الشبلنجي، الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن (ت / بعد ١٣٠٨ هـ).
١٦- نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار: أ - طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، أفست على طبعة القاهرة لسنة ٨٦١٣ هـ - ٨٤١٩ م . مراجعة لجنة من العلماء برئاسة أحمد سعد علي.
*- الصبان: الشيخ محمد بن علي (ت / ٦١٢٠ هـ).
١٧- إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى: مراجعة لجنة من العلماء برئاسة أحمد سعد علي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، أفست على طبعة القاهرة لسنة ٨٦١٣ هـ - ٨٤١٩ م.
*- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت٣١٨هـ/٩٢٩م) .
١٨- الآمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، (طهران – ١٤١٧هـ) .
*- ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي، المكي، ت ٨٥٥ هـ:
١٩ـ الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام ، نشر مكتبة دار الكتب التجارية في النجف الأشرف.
*- الطبري، أبو جعفر محمد بن أبي القاسم (من علماء القرن السادس).
٢٠ - دلائل الإمامة، تحقيق ونشر: مؤسسة البعثة - قم المقدسة - الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
*- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ):
٢١- التاريخ (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٨٠.
*- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ) .
٢٢- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري . لبنان- بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
*- القيرواني: ابو اسحاق ابراهيم علي المصري (ت ٤٥٣هـ/١٠٦٢م).



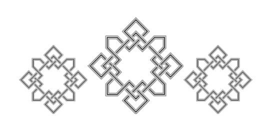
٢٣- زهر الآداب وثمر الالباب، ضبطه وشرحه ووضع فرسه: علي محمد البجاوي، مطبعة دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠م .

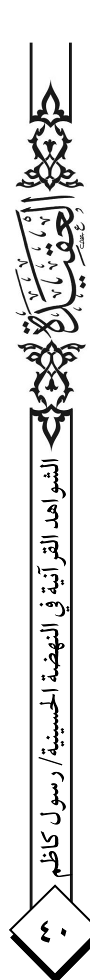
*- المفيد ، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ).

٢٤- الارشاد، الطبعة الثالثة: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

*- المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ).

٢٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر أَخبار الأئمة الأطهار . مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.







العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله

ترجمة: هاشم مرتضى

■ **<u>السؤال</u>: هل كان يعلم سيد الشهداء عليه السلام باستشهاده في سفره من مكة إلى الكوفة أم لا؟ وبعبارة أُخرى هل ذهب إلى كربلاء للشهادة، أو بقصد إقامة الحكومة الإسلامية العادلة؟**

■ **<u>الجواب</u>: إنّ سيد الشهداء عليه السلام ـ عند الشيعة الإمامية ـ إمام مفترض الطاعة، وهو ثالث خليفة من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو صاحب الولاية الكلية.**

ثم إنّ علم الإمام عليه السلام بالأعيان الخارجية والحوادث والوقائع على قسمين، وهذا المستفاد من الأدلّة النقلية والبراهين العقلية:

القسم الأوّل من علم الإمام:

إنّ الإمام مطلع على حقائق الكون بأيّ نحو من أنحائها بإذن الله تعالى، أعم من المحسوسات ومن غير المحسوسات، كالموجودات السماوية والحوادث الغابرة والوقائع المستقبلية.

والدليل على هذا:

من طريق النقل والروايات المتواترة المحفوظة في المدونات الروائية الشيعية، ككتاب الكافي والبصائر وكتب الصدوق وكتاب بحار الأنوار وغيرها. فطبقاً لهذه

الروايات التي لا تعد ولا تحصى، يكون الإمام مطّلعاً على جميع الأمور، عالماً بجميع الأشياء، وكلّ ما أراده سوف يعلمه بإذن الله بأدنى التفاتة، وهذا عن طريق الموهبة الإلهية دون الاكتساب.

نعم توجد في القرآن الكريم آيات تخصص علم الغيب بالله تعالى وتحصره في ساحته المقدسة، ولكن الاستثناء الموجود في الآية الكريمة: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ [الجن:٢٦]، يدلّ على أنّ معنى اختصاص علم الغيب بالله تعالى هو أنّه لا يعلم الغيب مستقلاً وبالذات إلاّ الله تعالى، ولكن يمكن للأنبياء المرضيين أن يعلموا الغيب بتعليم الله تعالى، وكذلك يمكن للمرضيين من العباد أن يعلموا الغيب بتعليم الأنبياء، كما ورد في كثير من الروايات إنّ النبي وكذلك الإمام عند آخر لحظات حياته يودع علم الإمامة للإمام الذي يأتي بعده.

ومن طريق العقل، حيث توجد براهين على أنّ الإمام عليه السلام بحسب مقامه النوراني، يكون أكمل إنسان في عصره، ومظهراً تاماً لأسماء الله وصفاته؛ ولذا يكون عالماً بالفعل بجميع الأمور ومطّلعاً على كلّ قضية خاصّة، ولو توجّه لأيّ جهة ستنكشف له الحقائق بحسب وجوده العنصري (وتقرير هذا البرهان يوكل إلى مجال آخر لابتنائه على مسائل عقلية معقّدة يكون مستواها أعلى من مستوى هذه المقالة).

عدم تأثير هذا العلم بالعمل وعدم علاقته بالتكليف:

هناك نقطة لابد من الانتباه إليها، وهي أنّ هذا العلم الموهوب وطبقاً للأدلّة العقلية والنقلية المثبتة له، لا يتغيّر ولا يتخلّف بتاتاً ولا يخطأ قيد أنملة، وبحسب الاصطلاح إنّه علم بالمثبت في اللوح المحفوظ، وبما تعلّق به القضاء الإلهي الحتمي، ولازم هذا الأمر عدم تعلّق أيّ تكليف بمتعلّق هكذا علم (من حيث كونه حتمي الوقوع ومتعلقاً بهكذا علم)، وكذلك لا يحدث للإنسان من خلاله أيّ

قصد وطلب، لأنّ التكليف يتعلّق دوماً عن طريق إمكان تحقّق الفعل، وإنّما يتمّ طلب الفعل أو تركه إذا كانا باختيار المكلّف، أما من جهة كونه [أي العلم] ضروري الوقوع ومتعلقاً بالقضاء الحتمي، فيستحيل أن يكون مورداً للتكليف.

فمن الصحيح مثلاً أن يقول الله تعالى لعبده: إفعل الفعل الفلاني الذي يمكنك فعله وتركه وما هو باختيارك، ولكن يستحيل أن يقول له: إفعل أو لا تفعل الأمر الفلاني الذي سيتحقق البتة ولا يتخلّف بموجب مشيئتي التكوينية وقضائي الحتمي؛ لأنّ هكذا أمر ونهي يكون لغواً لا أثر له.

كذلك الإنسان يمكنه أن يريد الأمر الذي بإمكانه أن يتحقق أو لا يتحقق، فيجعله مقصداً وهدفاً ويسعى لإنجازه وتحققه، ولكن لا يمكن أبداً إرادة وقصد ومتابعة ما سيتحقق يقيناً على نحو القضاء الحتمي من دون تغيّر وتخلّف؛ لأنّ إرادة الإنسان وعدمها وقصده وعدمه لا يؤثّر أبداً فيما سيتحقق لا محالة (فتأمّل).

ومن هنا يظهر:

١ـ أنّ هذا العلم الموهوب للإمام عليه السلام لا أثر له في أعماله، ولا علاقة له بتكاليفه الخاصّة، وأساساً أيّ أمر حتمي ـ من جهة حتمية وقوعه وتعلّقه بالقضاء الحتمي ـ لا يكون متعلقاً للأمر أو النهي أو إرادة الإنسان وقصده. نعم متعلّق القضاء الحتمي والمشيئة القطعية الإلهية هو الرضا بالقضاء، كما كان يردّد سيد الشهداء عليه السلام في آخر ساعات حياته وهو على الرمضاء: "رضى بقضاءك وتسليماً لأمرك لا معبود سواك"، كذلك ما قال في خطبته عند خروجه من مكة: "رضى الله رضانا أهل البيت".

٢ـ أنّ حتمية فعل الإنسان من وجهة نظر تعلّقه بالقضاء الإلهي، لا ينافي اختياريته من وجهة نظر فاعلية الإنسان الاختيارية؛ لأنّ القضاء السماوي تعلّق بالفعل من جميع حيثياته لا بمطلق الفعل، وعلى سبيل المثال؛ فإنّ الله تعالى إذا أراد أن يفعل الإنسان باختياره الفعل الاختياري الفلاني فحينئذٍ سيكون التحقق

الخارجي لهذا الفعل الاختياري حتمياً غير قابل للاجتناب لتعلّقه بإرادة الله، مع كونه بنفس الوقت اختيارياً؛ له صفة الإمكان بالنسبة إلى الإنسان (فتأمّل).

٣ـ أنّ ما يبدو من ظاهر أعمال الإمام عليه السلام الذي يمكن تطبيقه على العلل والأسباب الظاهرية، لا يكون دليلاً على عدم وجود هذا العلم الموهوب وشاهداً على الجهل بالواقع، كما لو قيل: إنّ سيد الشهداء عليه السلام لو كان عالماً بالواقع فلماذا أرسل مسلماً إلى الكوفة نيابة عنه؟ لماذا راسل أهل الكوفة بيد الصيداوي؟ لماذا خرج من مكة؟ لماذا ألقى بنفسه في التهلكة، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ ولماذا؟ ولماذا؟!

إنّ جواب جميع هذه الأسئلة يظهر ممّا ذكرناه ولا حاجة إلى تكراره.

القسم الثاني من علم الإمام: العلم العادي:

قد نص القرآن بأنّ النبي صلى الله عليه وآله كذلك الإمام عليه السلام (من عترته) بشر كسائر أفراد البشر، والأعمال التي يؤديها في مسيرة حياته حالها حال سائر أعمال الناس من حيث انبعاثها من الاختيار والعلم العادي. الإمام كسائر الناس يشخّص الخير والشر والنفع والضرر بالعلم العادي، فتتعلّق إرادته بما يراه جديراً بالإقدام ويسعى لإنجازه، ويصيب الهدف حينما تتوفّر العلل والعوامل والأوضاع والأحوال الخارجية، ويخيب عند عدم توفّر الأسباب والشرائط (وكون الإمام يعلم جزئيات جميع الحوادث كما حصلت وكما ستحصل بإذن الله تعالى، لا يؤثّر في أعماله الاختيارية هذه، كما مرّ).

الإمام عليه السلام عبدٌ لله ومكلّف بالتكاليف والوظائف الدينية كسائر الناس، وعليه إنجاز مهام القيادة الملقاة على عاتقه من قبل الله تعالى طبقاً للموازين الإنسانية العادّية، وبذل كلّ جهده وما بوسعه لإحياء كلمة الحق وإقامة الدين.

أهداف ثورة سيد الشهداء عليه السلام:

إنّ لمحة إجمالية للوضع العام آنذاك ، تبيّن لنا عزم سيد الشهداء عليه السلام وسبب إقدامه. فإنّ فترة حكم معاوية البالغة نحو عشرين سنة، كانت من أسوء الفترات على بيت الرسالة وشيعتهم في التاريخ الإسلامي؛ وذلك أنّ معاوية بعدما تسنّم كرسي الخلافة الإسلامية بالمكر والغدر، أصبح حاكم الدولة الإسلامية الوسيعة من دون منازع، عبّأ جميع قواه نحو تحكيم حكومته وطمس معالم أهل بيت الرسالة، وما اكتفى بذلك؛ بل كان ينوي محو اسمهم عن ألسن الناس، ومحو آثارهم من ذاكرة الناس.

ونظراً لوجاهة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله عند الناس واعتمادهم عليهم، انبرى معاوية لاستغلال بعضهم؛ ليشايعوه ويضعوا روايات لنفع الصحابة وضد أهل البيت عليهم السلام، وكان يُسب أمير المؤمنين عليه السلام بأمره وعلانية كفريضة واجبة على المنابر في جميع البلاد الإسلامية.

كان معاوية يقضي على أتباع ومحبي أهل البيت أينما وجدهم، وباستعانة أجندته أمثال زياد بن أبيه وسمرة بن جندب وبسر بن أرطاة وغيرهم، وما فتأ عن استخدام المال والقوة والتطميع والترغيب والتهديد إلى أبعد الحدود.

فمن الطبيعي أن ينفر عامة الناس من ذكر علي وآل علي في هكذا مناخ، وحتى الذين كانوا من محبي أهل البيت اضطروا خوفاً على النفس والمال والعرض إلى قطع الأواصر مع أهل البيت.

ويظهر واقع الحال جلياً لو التفتنا إلى أنّ إمامة سيد الشهداء عليه السلام دامت عشر سنوات، وكانت كلّها (عدا الأشهر الأخيرة) في فترة حكم معاوية. ففي جميع هذه المدّة لم يصل إلينا عنه عليه السلام ـ وهو إمام عصره والمبيّن للأحكام والمعارف ـ ولا حديث واحد في جميع الفقه ـ (وأقصد بذلك رواية الناس عنه عليه السلام التي تدلّ على إقبالهم عليه ومراجعتهم له، إلّا ما وصل إلينا عنه بسند من داخل العترة أي

الأئمة)، وهذا ما يدلّل على غلق باب أهل البيت عليهم السلام آنذاك تماماً وأنّ إقبال الناس إليهم كان صفراً [في النسب المئوية].

إنّ الضغط والخناق المستمر الذي ساد المجتمع آنذاك، لم يفسح المجال للإمام الحسن عليه السلام باستمرار الحرب أو الثورة على معاوية، إذ ما كان فيها أيّ جدوى، وذلك أوّلاً لأخذ معاوية البيعة منه، ومع وجود البيعة ما كان يسمع أحد من الإمام. وثانياً: إنّ معاوية عرّف نفسه للناس بأنّه من كبار صحابة النبي صلى الله عليه وآله وكاتب الوحي، ومورد اعتماد الخلفاء الثلاثة وبمثابة اليد اليمنى لهم، ووسم نفسه بلقب خال المؤمنين المقدس. ثالثاً: كان يتمكن ـ من خلال المكر الخاص به ـ وبكل سهولة إغواء أقرباء الإمام الحسن عليه السلام للقيام بقتله، ثم بعد ذلك يقوم هو للطلب بثأره لينتقم من قاتليه، ويضع مجالس العزاء ويلبس لباس العزاء.

ولقد بالغ معاوية في الأمر بحيث ما كان الإمام الحسن عليه السلام يشعر بالأمان في داخل بيته، إلى أن قام بسمّه على يد زوجه إبّان أخذ البيعة من الناس ليزيد.

حتى أنّ سيد الشهداء عليه السلام الذي ثار مباشرة بعد موت معاوية على يزيد، حيث فدى نفسه ومن كان معه حتى الطفل الرضيع في هذا الطريق، ما كان يتمكن من هذا الفداء في مدّة إمامته المعاصرة مع معاوية، وذلك لعدم وجود أيّ جدوى وأثر للقيام والشهادة أمام خدع معاوية وأمام البيعة التي أخذها منه.

هذه نبذة مختصرة عن الأحوال الفظيعة التي أحدثها معاوية في المجتمع الإسلامي آنذاك، حيث أغلق باب بيت النبي صلى الله عليه وآله تماماً، وسلب عن أهل البيت أدنى مستويات التأثير والخصوصية.

موت معاوية وخلافة يزيد:

الضربة القاضية الأخيرة التي وجهها معاوية للإسلام والمسلمين، تبديله الخلافة الإسلامية بالملك العضوض الموروث، حيث استخلف ابنه يزيد مكانه،

والحال أنّ يزيد كان يفتقد مقومات الشخصية الدينية ولو بالظاهر والتزوير، حيث كان منهمكاً دوماً وعلناً بالغناء والسكر واللعب مع القرود من دون أن يحترم الشريعة؛ بل لم يكن معتقداً بالدين أبداً، والشاهد على ذلك ما أنشده عندما دخل ركب الأسرى إلى دمشق مع رؤوس شهداء كربلاء، فخرج لرؤيتهم، وقال عند سماع نعيب الغراب:

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل   فقد اقتضيت من الرسول ديوني

وكذلك عندما أُدخل الأسرى عليه مع رأس سيد الشهداء المقدس أنشد أبياتاً قال فيها:

لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل

إنّ حكم يزيد المبتني على استمرار سياسة معاوية، أفصحَ عن تكليف الإسلام والمسلمين، وعلى غرارها أوضحَ نحو علقة أهل البيت مع المسلمين وشيعتهم (وكان المطلوب نسيانها مطلقاً)، في هكذا ظروف؛ كان من أوثق العوامل والوسيلة الوحيدة القاضية بسقوط أهل البيت، واختلاط أمر الحق والحقيقة، بيعة سيد الشهداء ليزيد والاعتراف بكونه الخليفة المفترض الطاعة للنبي صلى الله عليه وآله !



الإمام عليه السلام والبيعة مع يزيد:

إنّ سيد الشهداء عليه السلام وبحكم إمامته وقيادته الواقعية، ما كان يتمكن من بيعة يزيد وأن يخطو هكذا خطوة مؤثرة لهدم الدين والشريعة، وعليه ما كان تكليفه إلاّ الامتناع من البيعة، وما كانت إرادة الله تعالى منه سوى ذلك.

أثر الامتناع من البيعة:

ومن جهة أُخرى كان للامتناع عن البيعة آثار فظيعة؛ لأنّ القوة الغاشمة المخوفة آنذاك ركزت كل جهودها على أخذ البيعة (البيعة أو القتل)، ولم تقنع بغير

هذا، وعليه فإنّ قتل الإمام عليه السلام عند امتناع البيعة كان أمراً قطعياً وملازماً للامتناع. ولذا فقد عزم سيد الشهداء عليه السلام رعاية لمصلحة الإسلام والمسلمين على عدم البيعة وعلى أن يُقتل، فآثر الموت على الحياة بكل شجاعة، وكان تكليفه الإلهي أيضاً هو الامتناع من البيعة وعلى أن يقتل.

وهذا معنى ما ورد في بعض الروايات من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له في المنام: شاء الله أن يراك قتيلاً، كما قال هو عليه السلام لمن كان يمنعه من الخروج: شاء الله أن يراني قتيلاً. وعلى أيّة حال أنّ المراد من المشيئة هنا التشريعية لا التكوينية، لأنّه لا تأثير لمشيئة الله التكوينية في الإرادة والفعل كما مرّ.

اختيار الموت على الحياة:

نعم لقد عزم سيد الشهداء عليه السلام على الامتناع من البيعة والقتل، فاختار الموت على الحياة، وقد أثبتت الحوادث المستقبلية صحّة رأيه عليه السلام؛ لأنّ استشهاده بتلك الحالة الفظيعة أثبت مظلومية أهل البيت وأحقيتهم، وقد استمر القتل وإراقة الدماء بعد استشهاده نحو اثنتي عشرة سنة، وبعد هذه الفترة وما حصل من هدنة نسبية في زمن الإمام الخامس، إنهال الشيعة من جميع الأطراف على باب ذلك البيت، البيت الذي لم يطرق بابه أحد زمن حياته عليه السلام.

لقد أضاء [بعد ذلك] نور أهل البيت عليهم السلام وتلألأت حقانيتهم في جميع أصقاع العالم، وكان عمود تلك الحقانية والمظلومية، وكان السابق إلى ذلك سيد الشهداء عليه السلام. إذاً المقايسة بين وضع آل الرسالة ومدى إقبال الناس عليهم في زمن حياته عليه السلام مع ما حدث بعد استشهاده خلال أربعة عشر قرناً مع تأصيل وتجدّد سنوي، يبيّن لنا إصابة رأيه عليه السلام، وما أنشده عليه السلام ـ كما في بعض الروايات ـ يشير إلى هذا المعنى حيث قال:

وما إن طبنا جبن ولكن   منايانا ودولـــة آخرينا

ولذا أكّد معاوية على يزيد ووصّاه بأن لا يتعرّض للحسين إذا امتنع من البيعة؛ بل يدعه لحاله، فوصيته هذه لم تكن من باب الحب والاخلاص؛ بل كان يعلم بعدم مبايعة الحسين عليه السلام، فلو قُتل على يد يزيد توشح أهل البيت وسام المظلومية، وهذا يشكّل خطراً على الملك الأموي، وبنفس الوقت سيكون أفضل وسيلة لأهل البيت في مقام التبليغ والتقدّم.

إشارات الإمام عليه السلام المختلفة إلى تكليفه:

كان سيد الشهداء عليه السلام عارفاً بتكليفه الإلهي في الامتناع عن البيعة، وعالماً أكثر من غيره بقوّة بني أمية المهولة وعدم إمكان مقاومتها مع عرفانه بروحيات يزيد، وعارفاً بملازمة عدم البيعة للقتل الحتمي، وأنّ أداء الحكم الإلهي يقتضي الاستشهاد، وهذا ما أشار إليه في مقامات مختلفة وبتعابير متنوعة، فقد قال في مجلس أمير المدينة بعدما طلب منه البيعة: مثلي لا يبايع مثل يزيد.



وعندما خرج من المدينة ليلاً، نقل أنّ جده قال له في المنام بأنّ الله شاء أن يُقتل ـ أي بعنوان التكليف ـ وأعاد نفس هذا الكلام في الخطبة التي خطبها عند خروجه من مكة موجهاً خطابه لمن أراد منعه من الذهاب إلى العراق، كما أشار في جواب أحد وجهاء الأعراب عندما أصرّ في الطريق على منعه من الذهاب إلى الكوفة وإلاّ سوف يقتل قطعاً؛ إلى أنّ هذا الأمر لا يخفى عليه ولكن هؤلاء القوم لا يتركوني وسيقتلونني أين ما كنت. (بعض هذه الروايات وإن كان لها معارض أو كانت ضعيفة السند لكن ملاحظة الأوضاع والأحوال آنذاك وتحليل القضايا وتجزئتها تؤيّدها تماماً).

اختلاف منهج الإمام عليه السلام خلال مدّة قيامه:

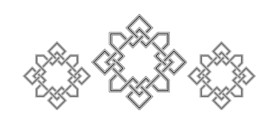
من الواضح بأنّ مرادنا عندما نقول: إنّ الإمام عليه السلام قصد من ثورته الشهادة،

وأنّ الله تعالى أراد منه الشهادة، لم يكن مجرد تحقّق الطلب الإلهي بعدم البيعة مع يزيد، ثم التنحّي جانباً وإعلام أعوان يزيد حتى يأتوا ويقتلوه؛ ليؤدي تكليفه بهذه الطريقة المضحكة، ثم يطلق عليه اسم الثورة؛ بل كان تكليف الإمام عليه السلام القيام على خلافة يزيد المشؤومة، والامتناع من البيعة، والاستمرار على الامتناع حتى النهاية وإن انجر إلى الاستشهاد.

ومن هذا المنطلق نرى الاختلاف في منهج الإمام عليه السلام في مدّة قيامه بحسب اختلاف الأوضاع والأحوال. ففي البداية عندما كان تحت ضغط حاكم المدينة، خرج منها ليلاً وذهب إلى مكة المأمن الديني وحرم الله الآمن، فبقي هناك لعدة أشهر كالمستجير وكان تحت رقابة أجندة النظام؛ ليقتل من قبلهم في موسم الحج أو يُلقى القبض عليه ويُرسل إلى الشام، ومن جانب آخر انهالت عليه رسائل أهل العراق بالمئات والآلاف تُظهر النصرة والمعونة وتدعوه إلى العراق، ثم بعدما وصلت إليه آخر رسالة من أهل الكوفة تصرّح بإتمام الحجة عليه (كما ذكر بعض المؤرخين) عزم عليه السلام على القيام والتوجّه نحوهم.

فأرسل في البداية مسلم بن عقيل مندوباً عنه، ووصلته بعد مدّة رسالة مسلم تؤيّد الأرضية المناسبة لقيامه عليه السلام.

إنّ الإمام عليه السلام ذهب إلى الكوفة لوجود عاملين: ورود جواسيس النظام لقتله أو أسره ولزوم حفظ حرمة بيت الله، [وثانياً] وجود أرضية القيام في العراق، ثم بعد ما وصل إليه خبر المقتل الفظيع لمسلم وهاني في الطريق غيّر تكتيكه من القيام الدفاعي إلى القيام التهاجمي القتالي، فغربل أصحابه ولم يُبق إلاّ من لم يتخلّ عن نصرته إلى آخر قطرة من دمه، واتجه نحو مصرعه...





بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام وإشكاليّة الثأر

د. محمد شقير

ورد في العديد من الروايات والنّصوص الدّينيّة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام التّأكيد على مفهوم الثّأر للإمام الحسين، وأنّ الإمام المهدي عليه السلام يطلب بثأره ودمه، ويقتل قاتليه وذراريهم، وأنّه يخرج في يوم عاشوراء، كما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «يخرج القائم يوم سبت في عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه الحسين..»[1]، وقد ورد أيضاً أنّ شعار أصحاب القائم (عجّل الله تعالى فرجه) هو: «يا لثارات الحسين عليه السلام»[2]، دلالة على تلك الصّلة وذاك الرّبط بين الحسين والمهدي. كما ورد في بعض الروايات، أنّ قوماً يبعثهم الله قبل قيام القائم، فلا يدعون وتراً لآل محمد إلّا نسفوه، وأوردوه موارد الثّأر.

ويعد هذا المعنى (الثأر للحسين عليه السلام) من الأمور المسلمة في الخطاب الإسلامي الشّيعي؛ بل في المعتقد ذي الصّلة بالإمام المهدي عليه السلام وخروجه، وما سوف يقوم به عند ظهوره.

ومن النّصوص التي تحمل ذلك المعنى ما يلي:

عن الصّادق عليه السلام: «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها»؛ فيُسأل الإمام الرضا عليه السلام عن هذا القول، فيقول: «هو كذلك»؛ وعندما يسأله السّائل مستفسراً عن علاقة هؤلاء بما فعل آباؤهم؛ يجيبه الإمام: «... ولكن

ذراري قتلة الحسين يرضون بفعال آبائهم، ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق، فرضي بقتله رجل بالمغرب، لكان الرّاضي عند الله عزّ وجل شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم..»[٣].

عن الإمام الصّادق عليه السلام أيضاً، قال: «لما كان من أمر الحسين بن علي عليه السلام ما كان، ضجّت الملائكة إلى الله تعالى، وقالت: يا ربّ، يُصنع هذا بالحسين صفيّك وابن نبيّك؟ قال [أي الإمام عليه السلام]: فأقام الله لهم ظلّ القائم عليه السلام، وقال: بهذا انتقم له من ظالميه»[٤].

وعن الصّادق عليه السلام: «...إنّ الحسين عليه السلام لما قتل، عجّت السّماوات والأرض ومن عليهما والملائكة، فقالوا: يا ربّنا ائذن لنا في هلاك الخلق، حتى نجُدُّهم[*] عن جديد الأرض، بما استحلوا حرمتك، وقتلوا صفوتك؛ فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي، ويا سماواتي، ويا أرضي، اسكنوا؛ ثمّ كشف حجاباً من الحجب، فإذا خلفه محمد صلى الله عليه وآله، وإثنا عشر وصيّاً له عليهم السّلام، وأخذ بيد فلان القائم من بينهم، فقال: يا ملائكتي، ويا سماواتي، ويا أرضي، بهذا انتصر لهذا؛ قالها ثلاث مرات»[٥].

وعن الإمام الباقر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾، قال: «الحسين بن علي عليه السلام منهم، ولم يُنصر بعد، ثمّ قال: والله لقد قُتل قَتلة الحسين، ولم يُطلب بدمه بعد»[٦].

وعن الصّادق عليه السلام، في قول تعالى: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَايُسْرِف فِّي الْقَتْلِ**﴾، قال: «ذلك قائم آل محمد، يخرج فيقتل بدم الحسين بن علي عليه السلام، فلو قتل أهل الأرض لم يكن سرفاً. وقوله تعالى: ﴿**فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ**﴾، لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً»[٧].

وعن الإمام الباقر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً**﴾، قال: «هو الحسين بن علي عليه السلام، قتل مظلوماً، ونحن أولياؤه، والقائم منّا إذا قام طلب بثأر الحسين عليه السلام، فيقتل، حتى يقال: أسرف في القتل...»[٨].

وورد عن الإمام الحسين عليه السلام: «...والله لا يسكن دمي، حتى يبعث الله المهدي، فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً»[٩].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: «أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله: إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، واقتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[١٠].

وفي دعاء النّدبة، في مناشدة الإمام المهدي عليه السلام: «...أين الطّالب بذحول[*] الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطّالب بدم المقتول بكربلاء»[١١].

وفي زيارة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء: «...أسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك، أن يرزقني طلب ثارك، مع إمامٍ منصورٍ من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله... فأسأل الله الذي أكرمني بمعرفتكم ومعرفة أوليائكم، ورزقني البراءة من أعدائكم.. أن يرزقني طلب ثاري مع أمامٍ هدىً، ظاهر ناطق بالحق منكم..»[١٢].

وفي نص آخر لزيارة عاشوراء: «...وأسأل الله البر الرّحيم أن يرزقني مودتكم، وأن يوفقني للطلب بثاركم، مع الإمام المنتظر المهدي من آل محمد..»[١٣].

إنّ هذا الموضوع يقود إلى طرح أكثر من سؤال، يتمحور حول إشكاليّة الثّأر، وجملة من الأمور التي ترتبط بها؛ ومن تلك الأسئلة:

ما معنى الثّأر الوارد في تلك النّصوص؟ وما هي حقيقته وفلسفته؟

ولماذا ذلك الثّأر، وما هي أسبابه ومبرراته، ولماذا اختص الثّأر بالإمام الحسين عليه السلام؟

ثمّ ممن الثّأر، ومن هم الذين سوف يثأر منهم الإمام المهدي عليه السلام؟ ومن الذي يثأر للحسين عليه السلام؟ ومتى؟ وأين يحصل الثّأر؟

ولماذا ربط الثّأر الحسيني بالإمام المهدي عليه السلام وخروجه؟ وهل يختص الثّأر بالإمام المهدي عليه السلام فقط وفي عصر الظهور؟ أم يمكن أن يكون ثأر قبل خروج الإمام عليه السلام، أو أن يكون هناك اتصال للثّأر، وامتداد له في جميع الأزمنة التي تلت واقعة كربلاء؟ أي هل هناك مراتب للثّأر؟ بحيث يكون هناك مرتبة للثّأر في عصر الظّهور، ومرتبة أخرى في عصر التّمهيد؟ وهل يمكن الحديث عن التّمهيد للثّأر بالثّأر؟

وهل تحمل قضيّة الثّأر بعداً مذهبياً، أو طائفياً أو عشائرياً... وكيف يمكن أن تطرح هذه القضيّة، بحيث لا يتاح لمروجي الفتنة المذهبيّة بين السّنة والشّيعة، أن يستغلوا أي سوء في الفهم، أو خطأ في الخطاب، وسوى ذلك؟

وكيف سوف يحصل ذلك الثّأر، وبأية طريقة؟ وما الذي يترتب عليه، وما هي دلالاته المختلفة؟

وكيف يمكن أن نُفيد من قضيّة الثّأر هذه على المستوى التّربوي، وغير التّربوي، وفي صناعة الخطاب الحسيني، وإعداد جميع عوامل القوّة والحصانة والقيام والنّهوض، وفي بناء مفاهيم النّصر وأخلاقياته، وقيم التّمهيد للمهدي عليه السلام؟

وكيف يمكن أن نعي مفاهيم الثّأر تلك، في مواجهة التّحديات التي نواجهها في عالمنا المعاصر، وظروفنا التي نعيش؟

وهل يعدّ هذا الأمر صحيحاً، عندما نعطي لهذه المواجهة هذا البعد الدّيني؟

وإلى أين سوف تتجه الأمور بناءً على هذا الفهم، وهذا المعتقد؟ وما الذي تقوله لنا مفاهيم الثّأر على مستوى المستقبل، وقادم الأيام؟

هذا، وسوف نحاول في هذا البحث الإجابة على جميع تلك الأسئلة؛ لكن لا

بد في البداية من تحديد معنى الثّأر وحقيقته؛ لننتقل بعدها إلى معالجة بقية القضايا وموضوعاتها:

١ ـ معنى الثأر وحقيقته:

جاء في المعجم الوسيط أن: «ثأر القتيل وبه - ثأراً: أخذ بدمه، ويقال: ثأر الثّأر: أدركه. و- القاتل: أخذه بقتله»(١٤).

وفي ترتيب كتاب العين للخليل: «...الثّأر: الطّلب بالدّم. ثأر فلان لقتيله، أي: قتل قاتله..»(١٥).

فهناك قتيل، وقاتل، ومن يثأر للقتيل من القاتل، أي إنّ هناك ثلاثة عناصر أساسيّة للثّأر، بغض النّظر عن: من القتيل، ومن القاتل، ومن الذي يثأر، وكيف، ولماذا، وسبب الثّأر، وهدفه...؟

وعندما نطرح كلّ هذه المتعلقات من خلال الأسئلة السّالفة، فلأن الإجابة على هذه الأسئلة، هي التي تحدد طبيعة الثّأر وحقيقته، والتي قد تختلف بين مورد وآخر، وحالة وأخرى، تبعاً للإجابات التي تقدم.

قد يكون للثّأر بُعد شخصي، أو عشائري، أو قبلي، أو مذهبي، أو عنصري...؛ وقد يكون له بعد أيديولوجي، أو ديني، أو إصلاحي، أو أخلاقي، أو إنساني، أو سوى ذلك.

وقد يرتبط الثّأر بمشروع الأنبياء، والأطروحة الإلهيّة على هذه البسيطة، عندما يتضمن ذلك البعد الأيديولوجي والدّيني والتّاريخي، وما تعرض له ذلك المشروع وتلك الأطروحة على مدار التّاريخ، وفي سالف الأيام، من صدّ ورفض وحرب، ومن قتل للأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام، والعدوان عليهم وعلى مواليهم وأتباعهم، والتّعرض لهم بشتى أنواع الأذى والظّلم والاضطهاد.

وهنا، حتى نعي حقيقة ذلك الثّأر، علينا أن ندرك حقيقة قتل الإمام الحسين عليه السلام، وما جرى معه في كربلاء.

إنّ قتل الإمام الحسين عليه السلام ليس قتلاً شخصياً، أي ليس قتلاً لشخص بمجرده؛ بل هو قتل لإمام ابن إمام أبو أئمة تسعة؛ هو خاتم أصحاب الكساء، وسبط خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وأب خاتم الأوصياء (المهدي عليه السلام).

لقد مثّل قتل الإمام الحسين عليه السلام ذروة الانقلاب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وخلاصة العدوان على المشروع الإلهي، ومشروع الرّسل والأنبياء على هذه البسيطة.

لقد كان واضحاً للجميع من هو الحسين عليه السلام، وما الذي يعنيه ويمثّله. ولقد كان معروفاً مقامه ومنزلته، وموضعه من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فكان العدوان عليه وعلى أولاده وأصحابه وحرمه، ذروة البغي والإجرام، وخلاصة الظّلم والعدوان على النهج الإلهي، ومشروع الرّسل والأنبياء على مرّ الدّهور وكرّ العصور.

كذلك انّ الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام ليس مجرد شخص أو أمّة أو قوم؛ بل هو نهج الظّلم والفساد والإفساد، وسبيل البغي والانحراف عن الرّسالة الإلهيّة، ومدرسة الأنبياء الرّسل.

إنّ قاتل الحسين عليه السلام هو منهج الإجرام والعدوان على مشروع الأنبياء وأوصيائهم وأتباعهم، وعلى جميع القيم والمعاني التي يتضمنها ذلك المشروع، وتتجلى في اجتماعه وخطابه وشعائره.

وبناءً على ما تقدم، نستطيع القول، بأنّ الثّأر الوارد في تلك النّصوص الدّينيّة، ممن قتل الإمام الحسين عليه السلام، هو بمعنى الثّأر من ذلك النّهج الممتد على مرّ التّاريخ، وفي جميع عهود الأنبياء والرّسل(١٦). أي هو ثأر من نهج الإجرام والظّلم والطّغيان والعدوان، والذي ظهر بأشنع صوره في قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه؛ أمّا كيف يحصل ذلك الثّأر، فهو ما سوف نفصّل الحديث فيه لاحقاً.

٢- كيف يحصل الثأر؟

بما أنّ قاتل الإمام الحسين عليه السلام هو ذلك النّهج الذي ينظر إلى أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بمنظار الحقد والبغض، ويتعامل معهم بمنطق الإقصاء والإلغاء، ويمارس بحقهم منهج العدوان والإجرام، ويسعى ثقله إلى ظلمهم وقتلهم وأذيّتهم؛ فإنّ الثّأر من ذلك النّهج، يتمثل في القضاء عليه وعلى رموزه، ويتجلّى في مواجهة من ينتمي إليه ومن يناصره، ويعمل على مساعدته وإعانته.

إنّ الثّأر من ذلك النّهج، يعني القضاء على من يتمسك بمضامينه، ويروّج له، ويدعو إليه، ويسعى إلى تحقيقه، ونشر دعوته.

إنّ الثّأر هنا، هو بمعنى محو كلّ ذلك التّراث، الذي ما زال يقدّم التّبرير لقتل الحسين عليه السلام، وقتل شيعته إلى عصرنا الحالي، وأيامنا التي نعيش.

إنّ ما يعنيه الثّأر هنا، هو مواجهة أي جهة ـ مهما كانت ـ ما زالت تحمل موروث البغض لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وتتعامل معهم بالظّلم والعدوان، مواجهةً تقوم على المعاملة بالمثل، وبالتّالي هي تهدف إلى مجابهة تلك الجهة والقضاء على عدوانها، طالما هي تسعى إلى ممارسة شتّى ألوان الإلغاء والإجرام والعدوان والعنصريّة، تجاه جميع من ينتمي إلى أهل البيت عليهم السلام وقيمهم وتراثهم.

ونستطيع أن نقول بعبارة شاملة: إنّ الثّأر لقتل الحسين عليه السلام، هو بمعنى الثّأر من نهج البغض لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وتكفيرهم وظلمهم والعدوان عليهم. بما يعنيه ذلك الثّأر من القضاء على أي عدوان يصدر ممن ينتمي إلى ذلك النّهج، وينخرط فيه، ويرتبط به من قريب أو بعيد، أو يساعد على تمكينه، أو يعين عليه بالقول أو الفعل.

أمّا لماذا الثّأر للإمام الحسين عليه السلام، يتمثل في ما ذكر؛ فلأنّ النّهج الذي قتل الحسين عليه السلام ما زال مستمراً في رجاله، ودعاته، والمنضوين فيه، والمعينين عليه.

وبناءً عليه فإنّ هؤلاء شركاء في قتل الحسين عليه السلام والعدوان عليه، طالما هم يمارسون العدوان على نهجه وشيعته. وبذلك أمكن القول إنّ عقابهم هو ثأر للحسين عليه السلام وأهله وأصحابه.

أمّا فيما يرتبط بما جاء في مجمل الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، من تركيز على موضوع القتل، فلا بد من بيان ما يلي:

إنّ النّصوص الدّينيّة ذات الصّلة بموضوع الثّأر، تصرّح بأنّ الإمام المهدي عليه السلام سوف يقتل من ذراري قتلة الحسين عليه السلام، من يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها، وأنّه سوف يقتل من المنافقين الكفرة الفسقة...، وأنّ الله تعالى سوف يقتل بالحسين عليه السلام سبعين ألفاً وسبعين ألفاً، بالمقارنة مع نبي الله يحي عليه السلام، حيث قد يكون ذكر ذلك العدد من باب كثرة من يقتل بالحسين عليه السلام، وذلك لكثرة من شرك - وما زال - في نهج قتل الحسين عليه السلام والعدوان عليه، إلى غيرها من النّصوص؛ حيث قد يفهم من تلك النّصوص، أنّ الثّأر يحصل فقط وفقط بالقتل فقط، أو أنّه لا طرق أُخر لتحقيق ذلك الثّأر، والوصول إلى أهدافه وغاياته؛ وهو ما يقتضي أكثر من بيان:

قد ذكرنا سالفاً، أنّ الذي قتل الحسين عليه السلام ومازال يقتله إلى الآن، هو ذلك النهج والمشروع الذي عادى رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وشيعتهم، واعتدى عليهم، ومازال يفعل إلى حاضر الدّهر وأوان اليوم؛ وعليه فإنّ الثّأر يتمثّل في إسقاط ذلك النهج ومشروعه بجميع ما يحتويه، والقضاء عليه وعلى من يناصره، أو ينضوي فيه.

ولا شك - في هذا الحال - أنّ قتل المعتدين والمجرمين، الذين يناصرون مشروع الإجرام والعدوان على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، هو من أهم أوجه الثّأر للإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ ذلك المشروع موجود بوجودهم، وهو مستمر فيهم؛ فمتى ما تمّ القضاء عليهم، فإنّ أهم أسس ذلك المشروع تسقط بسقوطهم، وتنتهي بزوالهم.

لكن ما نريد الإلفات إليه، هو أن حدود الثّأر أبعد من ذلك، وغاياته تتعدى الوجود البشري لمشروع القتل والعدوان على الحسين عليه السلام؛ لأنّ لذلك المشروع أبعاداً أُخر، ثقافيّة وفقهيّة وأيديولوجيّة واجتماعيّة وسياسيّة وإعلاميّة. لايزول ذلك المشروع بكل مفرداته إلا بزوالها جميعها، فهو لا يقتصر على الوجود البيولوجي لأولئك القتلة المجرمين، ومن يناصرهم.

نعم قد يكون المراد بقتل من يرتضي قتل الحسين ويفتخر به ويصوّبه، هو القضاء على ذلك المشروع بجميع منضوياته ومفرداته، وإزالته بجميع أبعاده وجهاته، واقتلاعه من عروقه وجذوره، إلى غير رجعة أو سبيل عودة.

٣- ممن الثأر ؟

إنّ النّصوص الدّينيّة ذات الصّلة بموضوع الثّأر، يمكن تقسيمها في مجملها إلى قسمين، قسم يتحدث في مبدأ الثّأر، ومن الذي يَطلب به، والقسم الآخر يتحدث في متعلق الثّأر، ومن الذي يُطلب منه، حيث ذكرت تلك النّصوص، أن العنوان الذي يقع عليه فعل الثّأر، ويؤخذ منه؛ هو:

١- ذراري قتلة الحسين بفعال آبائها؛ وأولاد قتلة الحسين؛ ذرية قتلة الحسين؛ نسل ولد قتلة الحسين.

٢- ذراري قتلة الحسين، ممن يرضى فعال آبائه ويفتخر بها؛ الأخلاف، لرضاهم بما فعل أسلافهم.

٣- المنافقون الكفرة الفسقة.

وهذا نص تلك الروايات، بحسب ترتيب العناوين التي ذكرت:

١- عن الإمام الصّادق عليه السلام: «القائم والله يقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها»(١٧).

عن الإمام الصّادق عليه السلام: في قول الله تبارك وتعالى ﴿فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، قال: «أولاد قتلة الحسين عليه السلام»[18].

عن أحدهما عليهما السلام في قوله: ﴿فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ قال: «إلا على ذريّة قتلة الحسين عليه السلام»[19].

عن أحدهما عليهما السلام في قوله: ﴿فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ قال: «لا يعتدي الله على أحد، إلا على نسل ولد قتلة الحسين عليه السلام»[20].

٢- عن الهروي: قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام: يا بن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: «إذا خرج القائم (عجّل الله تعالى فرجه) قتل من ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها»، فقال عليه السلام: «هو كذلك»، فقلت [أي السّائل]: وقول الله عزّ وجلّ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، قال [أي الرّضا عليه السلام]: «صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق، فرضي بقتله رجل في المغرب، لكان الرّاضي عند الله شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم (عجّل الله تعالى فرجه) إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم...»[21].

يُسأل الإمام زين العابدين عليه السلام: «يا بن رسول الله كيف يعاتب الله ويوبخ هؤلاء الأخلاف على قبائح أتى بها أسلافهم، وهو يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾؟ فقال زين العابدين عليه السلام: «...لأن هؤلاء الأخلاف أيضاً راضون بما فعل أسلافهم، مصوبون ذلك لهم، فجاز أن يقال: أنتم فعلتم، أي إذ رضيتم قبيح فعلهم. إنّما يجمع النّاس الرّضا والغضب.

أيّها النّاس، إنّما عقر ناقة صالح واحد، فأصابهم الله بعذابه بالرّضا لفعله، وآية ذلك قوله عزّوجلّ: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۝٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠﴾، وقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾...»[22].

أي إنّ المراد من ذكر الآيتين، هو أنّ الله تعالى نسب الفعل في الآية الأولى إلى رجل واحد (..فَعَقَرَ)؛ ثم نسب الفعل نفسه في الآية الثانية إليهم جميعاً، (فَعَقَرُوهَا)؛ فكيف صحَّ أن ينسب عقر الناقة إليهم جميعاً، مع أنّ الذي عقرها رجل واحد؟

والجواب: أنهم لما رضوا بفعله، صحّت النسبة إليهم. ولما شملوه برضاهم، شملهم الله تعالى بعذابه.

٣- وفي كلام للإمام الحسين عليه السلام مع ولده زين العابدين عليه السلام: «...يا ولدي يا علي، والله لا يسكن دمي، حتى يبعث الله المهدي، فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً»[٢٣].

وفي مقام مناقشة تلك العناوين التي تتحدث في ذراري، أو أولاد، أو نسل أو ذريّة قتلة الحسين عليه السلام، أو تلك التي تقيّد هذه العناوين بمن يرضى بفعل آبائه ويفتخر به، أو الأخلاف الذين يرضون ويصوبون فعل أسلافهم؛ ينبغي القول، إنّه قد يفهم البعض من ذلك، أنّ الثّأر هو من أولاد قتلة الحسين عليه السلام من أصلابهم مهما كانوا، وإلى أي النّهجين أو المشروعين انتموا؛ على حين أنّ ما طرح حول متعلق الثّأر، هو أنّه ينال فقط أولئك، الذين ما زالوا ينضوون في مشروع قتل الحسين عليه السلام وينتهجونه ويناصرونه.

بل إنّ ما يفهم من تلك الرّواية، التي وردت عن الإمام الرضا عليه السلام، أو تلك التي وردت عن الإمام زين العابدين، هو ذلك المعنى الذي ذكرناه، من أنّ الثّأر هو من ذلك النّهج الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام، وممن ينضوي فيه، وينتمي إليه؛ فهنا يجب القول، إنّ الثأر لا ينال أولاد القتلة لمجرد كونهم أولاداً لهم؛ بل إنّ الأمر يتعدّى البعد البيولوجي لوجودهم إلى البعد الأيديولوجي لمنهجهم، والدّليل على ما نقول:

إنّ تلك الرّوايات تذكر أنّ علّة الثّأر من أولئك الذّراري، هو أنّهم يرضون

قتل الحسين عليه السلام، ويفتخرون به ويصوّبونه؛ وعليه، لو أن أحداً آخر غير أولئك الذّراري، رضي بقتل الحسين عليه السلام، وصوّبه، وافتخر به؛ ألا يكون مورداً للثّأر؟

ولو فرضنا في المقابل، أنّ أحداً من أولئك الذّراري لم يرتض قتل الحسين عليه السلام، ولم يصوّبه ولم يفتخر به؛ هل يصح عندها أن يكون مورداً للثّأر؟

أي إنّ ما نريد قوله، هو إنّ تلك الرّوايات، تفصح عن أنّ علّة الثّأر هي الرّضا بقتل الحسين عليه السلام وتبنيه والافتخار به، وليس مجرد التّناسل الطّبيعي من قتلته؛ وإلا لماذا تعلّل تلك الرّوايات قتل أولئك الذّراري، بما يتعدى ذلك التّناسل البيولوجي؛ فليس ذلك إلا ليقال، بأنّ الثّأر يتجاوز ذلك التّناسل البيولوجي، وأنّه ليس إلا ممن يتبنى ذلك النّهج الذي قتل الحسين عليه السلام، وما زال ينتهجه إلى الآن.

ثمّ قد نقول، بأنّه إذا كان من قتل الإمام الحسين عليه السلام،هو ذلك المشروع القائم على البغض والعداوة لمحمد وآل محمد وشيعتهم والعدوان عليهم، وإذا كانت الذّريّة هي الاستمرار لآبائها بوجودها؛ فقد يكون المراد بالذّريّة أو النّسل أو الأولاد في تلك الرّوايات، من يمثّل بوجوده استمراراً لمشروع البغض والعداء لآل محمد، والعدوان عليهم، سواءً أكان نسلاً بيولوجياً لقتلة الحسين عليه السلام، أم كان نسلاً أيديولوجياً لهم، إذ إنّ من يحمل في قلبه البغض والعداء لآل محمد وشيعتهم، فهو بعداوته وعدوانه استمرار لقتلة الحسين عليه السلام. وإنّ من يمارس العدوان عليهم، هو بالفعل من ذراري قتلة الحسين عليه السلام. وهو وإن لم يكن ذريّة بيولوجيّة لأولئك القتلة، لكنّه ذريّة أيديولوجيّة لنهجهم، ومشروعهم، وديمومة عدوانهم.

أمّا لماذا يكون الثّأر من أولئك؛ فلأنّ المشروع الذي قتل الحسين مازال قائماً بهم؛ ولأنّ قتل الحسين مازال مستمراً فيهم. فإنّ البغض الذي قتل الحسين مازال يعتلج في صدورهم، وإنّ العدوان الذي انتهك حرمة الحسين ما برح في جوارحهم، وإنّ السّيوف التي تناوشت جسد الحسين عليه السلام ما فتئت في أيديهم؛ فالبغض واحد، والعدوان متصل، والإجرام هو نفسه الذي كان. وهؤلاء بما

يفعلون، إنّما يعيدون تلك الجرائم التي حصلت في كربلاء، ويستنسخون بفعلهم ما جرى في عاشوراء. فالإجرام الذي بلغ ذروته في ذاك اليوم لم يقفل بابه، والعدوان الذي علا في تلك الأرض لم يقطع سببه، ما فلّ وما كلّ، وما زالت طبوله تقرع إلى اليوم الحاضر، والدّهر الذي نعيش.

نحن لا نجافي الحقيقة عندما نقول، بأنّ ذاك الذي يحمل مشروع قتل الحسين عليه السلام، هو قاتل للحسين عليه السلام، بمعزل عن أي زمن وجد فيه، أو أرض سعى عليها، فهو شريك في دمه، وفي انتهاك حرمته. ولن يكون ظلماً أو عدواناً أن يناله الثّأر، ويشمله الانتقام؛ لأنّه بما يفعل، مازال يقتل الحسين عليه السلام، ويشرك في دمه؛ إنّ قتل الحسين عليه السلام لم يتوقف مذ بدأ في عاشوراء، وانتهاك حرمته لم ينحصر مذ شرع في كربلاء.

إنّ أولئك – بفعلهم ونهجهم - ما زالوا يقتلون الحسين كلّ يوم، ويعتدون على حرمته في كلّ أرض؛ ولذلك هم بحق قتلة للحسين عليه السلام، وبحق يمكن القول، إنّ الثّأر للحسين عليه السلام في الثّأر منهم، وهدم بنيانهم، والقضاء على إجرامهم وعدوانهم، وفسادهم في الأرض.

٤- لماذا الثأر؟

أي إنّ السؤال المطروح هنا، هو أن ما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام، هل يستحق كلّ هذا الثّأر من الإمام المهدي عليه السلام، بحيث يكون من أهم وظائف الإمام الثّأر من قتلة الحسين عليه السلام، ومن يرضى بقتله ويصوّبه وينتهجه ويفتخر به؟

إنّ الجواب على هذا السؤال قد يكون واضحاً، عندما ندرك معنى قتل الحسين عليه السلام والعدوان عليه، وعندما ندرك في المقابل فلسفة ظهور المهدي عليه السلام ومشروعه، والذي يهدف إلى إقامة العدل بأرقى تجليّاته، وإقامة الدّين بأبهى صوره وأجمل معانيه، وتحقيق كلّ معاني الإصلاح ومواجهة الظّلم والفساد.

إنّ قتل الحسين عليه السلام هو خلاصة العدوان على مدرسة الأنبياء والرّسل عبر التّاريخ، وهو غاية العلو في الأرض مرّ الدّهر، وهو الواقعة التي أسفر فيها نهج الظّلم والفساد عن حقيقته، بأشنع ما فيها، وأقبح ما لديها.

وبما أنّ نهج العدوان والظّلم ذاك، قد تمثّل بأسوأ أشكاله، وأطغى صوره، في قتل الحسين عليه السلام، بما يعنيه ذلك من ذروة الظّلم والطّغيان؛ فلم يكن لنهج العدل الإلهي أن يتحقق بأرقى معانيه، إلا إذا عمل على هدم نهج الظّلم بأطغى صوره، وأعتى مبانيه.

وبما أنّ مشروع العدل الإلهي بأسمى معانيه، قد تمثّل بالمهدي وظهوره. وبما أنّ مشروع العدوان والظّلم بأقبح ما لديه، قد ظهر في قتل الحسين عليه السلام ونحره؛ عليه، لم يكن لمصباح العدالة المهدويّة أن يشتعل إلا بقبس الحسين عليه السلام، ولم يكن لظهور المهدي عليه السلام أن يشرع إلا باسم الحسين عليه السلام والثّأر له.

إنّ ما تقدّم حول مشروع العدالة المهدويّة، وعلى لسان الرّسول صلى الله عليه وآله: «ليملأها [الأرض] قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»(٢٤) لا يمكن تحقيقه، إلّا من خلال هدم المشروع المعادي لمشروع الأنبياء والرّسل ومدرستهم، أي ذلك المشروع الذي قام على بغض الأنبياء والأئمة، والعدوان عليهم وقتلهم، وارتكاب الظّلم بحقهم، وفعل الفساد والطّغيان في البلاد، واتخاذ الإجرام سنّة، والعلو طريقة.

إنّ العدالة المهدويّة لا يمكن تحقيقها، إلا من خلال القضاء على مشروع الظلم والجور، واستئصال نهج الفساد والعدوان. خصوصاً عندما ندرك، أنّ هذا المشروع لم يكتفِ بما ذكر، وإنّما عمل على فعله باسم الدّين والإسلام؛ ليكون ذلك سبباً إلى قوته، وسلّماً إلى تمكينه؛ ولينالوا في الآن نفسه من الدّين، ويشوهوا مدى جهدهم الإسلام.

٥- من يقوم بالثأر؟

يظهر من العديد من النّصوص الدّينية ذات الصّلة، أنّ الذي يقوم بالثّأر حصراً هو الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره، حيث قد يفهم من ذلك، أنّ تحقيق الثّأر مرتبط فقط وفقط بعصر الظّهور وخروج الإمام فقط، فهل يمكن الذّهاب إلى هذا الاستنتاج، أنّه لا ثأر ولا طلب له، إلا من قبل المهدي عليه السلام وأنصاره في عصر الظّهور؛ أم أنّه يمكن الإسهام في الثّأر وطلبه، على يد الممهدين للإمام عليه السلام في عصر التّمهيد؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال تتصل منهجياً بتحديد من يتعلّق به، ويقع عليه فعل الثّأر؛ فإذا قلنا بأنّ ذلك الثّأر، سوف ينال من ذلك النّهج الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام، وممن يتبنى قتله ويرضاه ويفتخر به، وممن ينتمي إلى ذلك المشروع، الذي ينظر بعين البغض والعداوة للحسين عليه السلام وشيعته؛ فمعنى ذلك أنّ الثّأر قد بدأ منذ شهادة الحسين عليه السلام، وأنّه استمر على مرّ العصور وكرّ الدّهور، وأنّه لن يتوقف إلاّ عندما يصل إلى غايته، ويبلغ مرامه في عصر الظّهور، حيث يكون كمال الثّأر وذروته.



والسّبب في ذلك، أنّ نسل ذلك المشروع لم ينقطع مذ بدأ، وأنّ ذيوله ما زالت تتوالى مذ كان، وأنّك تجد له في كل عصر من ينعق بصوته، ويحمل فرّيته.

وإذا كان الثّأر للحسين عليه السلام موجوداً في كلّ عصر ودهر، فمعنى ذلك أنّ القيام بالثّأر ليس محصوراً بأنصار المهدي في عصر الظّهور؛ بل إنّ الإسهام في مشروع الثّأر مفتوح بابه في عصر التّمهيد، لمن شاء أنّ يكون من أنصار الحسين عليه السلام، والممهّدين للمهدي عليه السلام عدله وثأره.

بل إنّ طلب الثّأر في عصر الغيبة له رتبته ومقامه؛ لأنّه في الوقت الذي ينصر الحسين عليه السلام وقضيته، فهو يمهّد للمهدي عليه السلام ثأره وعدله. فهو ينصر الحسين عليه السلام ولم يره، ويمهّد للمهدي عليه السلام ولم يدركه، فهو بما يطلبه من ثأر، قد

نال شرف الوصل بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام؛ ليكون من أنصار الحسين عليه السلام وأنصار المهدي عليه السلام، وممن ثأر للحسين عليه السلام، ومهّد للمهدي عليه السلام طلب الثّأر، وقيام العدل.

من هنا أمكن القول، إنّ من يثأر للحسين عليه السلام في أي آن كان أو زمان، فهو من أنصار المهدي في غيبته، كما أنصاره في ظهوره. وإنّ من يطلب بالثّأر، هو من أنصار الحسين عليه السلام في عصر التّمهيد، كما كان أنصار الحسين، مع الحسين في عاشوراء.

ومما يشهد على ذلك، ما جاء عن الإمام الصّادق عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾، قال: «قتل أمير المؤمنين، وطعن الحسن بن علي(عليهما السّلام)، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، قتل الحسين بن علي عليه السلام، ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا**﴾، قال إذا جاء نصر الحسين بن علي عليه السلام، ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ**﴾، قوماً يبعثهم الله قبل قيام القائم عليه السلام، لا يدعون وتراً* لآل محمد إلا أحرقوه، ﴿**وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا**﴾»(٢٥).

حيث انّ المراد، أنّ هؤلاء العباد الذين يبعثهم الله قبل قيام القائم عليه السلام، لايتركون ظالماً لآل محمد صلى الله عليه وآله إلاّ نالوا منه، ولا مظلوماً من آل محمد صلى الله عليه وآله، إلاّ ثأروا له، فكيف إذا كان المظلوم الحسين عليه السلام؟

عن الإمام الصّادق عليه السلام أيضاً: «قتل بالحسين مائة ألف، وما طُلب بثأره، وسيطلب بثأره»(٢٦).

فإن يُقتل بالحسين عليه السلام، معناه أنّه نوع من أنواع الثّأر للحسين عليه السلام؛ أمّا قوله عليه السلام: «وما طلب بثأره" فمعناه، أنّ ذاك القتل بالحسين عليه السلام والثّأر له، ليس هو ذلك الثّأر المذخور إلى يوم الظّهور على يد المهدي عليه السلام، فذاك له حديث آخر، ويوم قريب».

ونحو ذلك الحديث، قول الإمام الباقر عليه السلام: «والله، لقد قُتل قتلة الحسين عليه السلام، ولم يطلب بدمه بعد»[٢٧].

وهذا ما يدل على أنّ مشروع الثّأر من قتلة الحسين عليه السلام، لم يندثر بقتل من قتله فعلاً في كربلاء، وأنّ قافلة الثّأر سيبقى لها أنصار ومريدون، ورجال وأبدال، إلى يوم الظّهور وأوان الخروج.

٦- متى الثأر؟

يرتبط الجواب على هذا السؤال، بما حددناه من معنى لحقيقة الثّأر، وعلى من يقع. فبما أنّ الثّأر هو ممن ينتمي إلى قتلة الحسين عليه السلام في العقيدة والفعل والممارسة، ومن يرضى بقتله ويفتخر به، وينضوي في مشروع العدوان عليه وعلى شيعته، وبما أنّ هؤلاء ما زالوا يتناسلون منذ زمن الحسين عليه السلام، وسيستمرون إلى عصر الظّهور؛ عليه يمكن القول، إنّ زمن الثّأر لم ينقطع منذ شهادة الحسين عليه السلام، وإنّ سيله لم ينحسر منذ عاشوراء، وأنّه سيتصل بزمان المهدي وظهوره؛ فما كان من هؤلاء نسل، فإنّ الثّأر بهم موجود؛ ومتى ما كان لهؤلاء أثر، فإنّ الثّأر منهم قائم.

ويمكن القول بتعبير آخر: إن الثّأر موجود في عصر ظهور الإمام عليه السلام، وزمان خروجه؛ أمّا في عصر غيبته وأوان استتاره، فمتى ما كان من ينضوي في مشروع قتل الحسين والعدوان عليه، وكان في المقابل نصرةٌ للحسين، أنصار للمهدي؛ كان هناك ثأر للحسين، ومن يأخذ به.

أي إنّه في عصر الظّهور، هناك ثأر، ومن يثأر. أمّا في عصر الغيبة، فإنّ تحقق الثّأر مشروط بوجود من يرتضي قتل الحسين عليه السلام وينتمي إلى العدوان عليه، وبوجود شيعة للحسين ومحبين له، وأنصار للمهدي وممهّدين له.

وعليه، لا أوان للثّأر ولا زمان له، وإنّما يرتبط وجوده بوجود من يَطلب الثّأر

ويُطلب منه، ومن يَأخذ به ويُؤخذ منه، فكما أنّ كلّ أرض كربلاء، فيمكن أن تعلو في كلّ أرض للثّأر راية؛ وكما أنّ كلّ عصر هو عصر الحسين عليه السلام، فكلّ زمان هو زمان ثأره؛ وكما أنّ كلّ يوم عاشوراء، فإنّ في كلّ يوم نصرة وثأر.

٧- في فلسفة الثأر:

إنّ الثّأر هنا لا يعني التّشفي، ولا ينبع من شهوة الانتقام، وليس مشروعاً للتشجيع على العنف الأعمى، أو القتل الغرائزي، وليس المراد منه التّغلب، أو الانزلاق إلى أي فعل غير إنساني. ولن يكون من الصّحيح إسقاط ما يمارس من ثأريات متخلّفة أو وحشيّة على مفهوم الثّأر وفلسفته، كما يطرح لدى الإمام المهدي عليه السلام وثأره.

إنّ حقيقة الثّأر هنا، تقوم على أنّه لا يمكن لبنيان العدل أنّ يرتفع، إلا إذا هدم بنيان الظّلم، وأنّه لا يمكن لصرح الحق أن يقوم، إلاّ إذا صرم فرع الباطل، وأنّه لا سبيل لمسيرة الإصلاح أن تبدأ، إلاّ بالقضاء على الفساد وجذوره.

إنّ كنه الثّأر هنا، يعني أنّه لا يمكن لقيم البرّ والخير والسّلام أن تسود، إلاّ بالنيل من أيادي الجور والعدوان والإجرام، ومن ذاك المشروع الذي ما زال يوغل كلّ يوم، في ارتكاب ما يرى وما لا يرى من مجازر ومظالم، ويعيث في الأرض فساداً وطغياناً، باسم الدّين تارةً، وباسم غيره أخرى.

إنّ فلسفة الثّأر في عزائية الحسين عليه السلام، تعني استئصال ذلك النّهج الذي يدّمر الإنسان، ويطيح بكلّ معاني الإنسانيّة، ويمارس أعتى درجات التّوحش والإجرام. إنّها تعني أنّ جولة الباطل والعدوان، لابدّ من أن تنتهي في يوم كان قدراً مقدوراً. وأنّ ذاك النّهج، لا أمل له في البقاء، ولا رجاء له إلى الدّوام.

إنّ تلك الفلسفة تعني، أنّ على جميع قوى الخير والعدل أن تستجمع قواها، وأن تدرك أنّ الفعل الوحيد الذي يجدي مع امتدادات الجاهليّة، ومنطق التّكفير،

ونسل العدوان من رحم الإجرام؛ هو فقط وفقط باقتلاع أصوله فقط، وبتر فروعه، واسقاطه وجميع أركانه وبنيانه.

أمّا لماذا يحصل ذاك باسم الحسين عليه السلام والثّأر له، فذلك لأنّ قضيّة الحسين تمثّل خلاصة الظّلم الذي تعرض له خط الأنبياء وذروته؛ ولأنّ مدرسة الحسين، هي المدرسة الأقدر على هدم مشروع الظّلم ومحق نسله وذريته، ولأنّ عاشوراء الحسين تعني جرح العدل والدّين والإنسانيّة، والذي لن يلتئم كَلْمُه، ولن يَشفى ألمه، إلّا بالثّأر من نهج الظّلم والعنصريّة، ونسل العدوان والجاهلية.

٨- الثأر والتمهيد للمهدي عليه السلام:

إذا كان التّمهيد للإمام المهدي عليه السلام من أهم الوظائف في عصر الغيبة، وإذا كان التّمهيد من سنخ أهداف الظّهور وغاياته، وإذا كان الطّلب بثأر الحسين عليه السلام من أهم غايات الظّهور ومشروعه؛ فعندها، لابدّ من أن يكون التّمهيد للثّأر بالثّأر، والإعداد له.

بتعبير آخر: إن فعل التّمهيد يجب أن يكون منسجماً مع مشروع الظّهور ومتماهياً معه، فإن كان من أهم أهداف الظّهور إقامة العدل، فعندها لابد من أن يكون التّمهيد لذاك العدل بالعدل نفسه وإقامته.

كذلك إذا كان من أهم أهداف الظّهور، هدم مشروع ظلم الأنبياء وقتل الأئمة، والقضاء على جميع المنضوين فيه والتّابعين له؛ فهنا ينبغي أنّ يكون التّمهيد من السّنخ نفسه، بمعنى العمل على مواجهة جميع المعتدين والمجرمين، الذين يعملون على قتل من ينتمي إلى مشروع الأنبياء وأوصيائهم، والعدوان عليهم؛ لأن في مواجهة هؤلاء، ودفعهم، وقتالهم، والقضاء على نهجهم وفكرهم؛ فعل تمهيد للإمام المهدي عليه السلام وخروجه.

وهذا لا يلغي وظيفة الإمام المهدي عليه السلام ولا يتعدى عليها؛ لأنّ أي ثأر



يمكن أن يحصل قبل الظّهور، ومهما كبر؛ لن يعدو أن يكون مجرد ممهّد للثّأر الأكبر ومعدٍّ له؛ وسيبقى أقل بكثير من مستوى ذلك الثّأر، الذي سوف يقوم به الإمام، ويحصل على يديه وبفعله.

كذلك إذا كان لا بدّ من منابذة قتلة الحسين عليه السلام في كلّ عصر، ومنازلة نسل العدوان عليه وعلى شيعته في كلّ دهر؛ فمعناه، أنّ ذلك الثّأر هو أمر لابدّ من حصوله، في كلّ عصر، وأوان دهر.

وبتعبير آخر: إذا كان لا بد من الدّفاع عن النّفس والعرض والمال، في وجه من يبغي إجراماً وعدواناً؛ فمعنى ذلك أنّ قضيّة الثّأر والتّمهيد له تحصيل حاصل، وغاية قائمة؛ لأن ذاك الثأر سوف يكون مرتبطاً بالدّفاع عن من يوالي الحسين، وينتمي إليه ويشايعه. أي أنّه متى ما كان عدوان وإجرام، كان قتال ودفاع؛ ومتى ما كان قتال ودفاع، كان ثأر من قتلة الحسين وظالميه، وتمهيد للثّأر بالثّأر.

٩- حقيقة الوصل بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام ودلالاته:

إنّ ما يعنيه قتل الإمام الحسين عليه السلام – كما ذكرنا - هو ذروة العدوان على المشروع الإلهي، ومشروع الأنبياء والرّسل على مر التّاريخ. وإنّ ما يحويه خروج الإمام المهدي عليه السلام، هو ذروة انتصار مشروع الأنبياء وأوصيائهم طوال الدّهر؛ ولذلك لا يمكن لمشروع الأنبياء في ذروة انتصاره وتمكّنه، إلا أنّ يهدم مشروع العدوان على الدّين والنّبيين، في خلاصة ظلمه وتجبّره.

ثمّ إنّ الله تعالى لم يكن ليذر قتل الأنبياء والأوصياء دون عقاب دنيوي، فكيف بقتل الحسين بن علي عليه السلام؛ فكان خروج الإمام المهدي عليه السلام بما يمثله من أعلى درجات القسط والعدل، والانتقام من الظّلم والعدوان، والقضاء على الإجرام والطّغيان؛ المظهر الأنسب والأفضل، لإزالة جميع مظاهر العدوان والإجرام بحق الأنبياء ورسالاتهم وأوصيائهم، والثّأر منه، ومن جميع وُلدهِ ونسله، وأصله وفرعه.

وعليه إذا كان الحسين عليه السلام يمثّل قمة المظلومية، فإنّ المهدي يمثّل قمة الثّأر من الظّلم. وإن كان قتل الحسين يعني ذروة طغيان الظّلم، فإنّ خروج المهدي يعني ذروة انتصار العدل. وإن كانت مأساة الحسين تحكي سنام العلو والعدوان، فإنّ ثورة المهدي عليه السلام تحكي رواية الثّأر من بني العدوان وجميع المجرمين، وممن والاهم وشايعهم.

إنّ حقيقة الوصل بين الحسين والمهدي، تعبّر عن إقامة التّوازن في الفهم والتّربيّة والخطاب. بين ما يمثّله الحسين، وما يعنيه المهدي. فإذا كان الحسين يعبّر عن الشّعور بفداحة الظّلم، فإنّ المهدي يعبّر عن الشّعور بضرورة إقامة العدل. وإذا كان الحسين ومقتله يفضي إلى تنمية الشّعور بكره الظّلم والظّالمين، فإنّ المهدي يشير إلى حب من يحمل العدل ويسعى لإقامته. وإذا كان قتل الحسين يدعو إلى مواجهة الظّلم وزمرته، فإنّ المهدي وخروجه يهدي إلى نصرة العدل وأهله؛ وإن كانت ثورة الحسين تربي على تقبيح الفساد وفعله، فإنّ ثورة المهدي تهب الأمل بانتصار الإصلاح ونهجه.



١٠- قتل الحسين والتربية على الثّأر:

إنّ شهادة الحسين عليه السلام وما حصل معه في كربلاء، قد أفرزا خطاباً يتضمن أكثر من بعد تربوي، يشمل - فيما يشمله – كره الظّلم والفساد، والتّعاطف مع المظلوم، ونصرة الحق، والثّورة على الباطل، فضلاً عن قيم التّضحية، والفداء، والإيثار، والصّبر، والإخلاص، والشّجاعة، والعزة، والإباء، والحب، والرّحمة، والثبات، والبطولة.

لكن من الواضح أن مشروع الإمام المهدي عليه السلام يتضمن تأكيداً على موضوع الثّأر، بما يعنيه ذلك من أنّ كلّ ما تقدم من قيم ومعانٍ، لا يكتمل دوره ولا يبلغ هدفه، من دون القضاء على منبع الإجرام، واجتثاث جذور العدوان، وإزالة أصل الظّلم، ومعاقبة كلّ من ينتمي إلى زمرة القتلة والمجرمين والمفسدين.

وهذا يعني ـ فيما يعنيه ـ أن يكون الخطاب العاشورائي متراوحاً بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام، أي بين قيم كربلاء، ومعاني الظّهور؛ بين جراح المأساة، والتّوق إلى الثّأر؛ بين التّملي من روح كربلاء، والاستعداد لإقامة العدل؛ بين توهّج الإرادة من حرارة عاشوراء، والإعداد للثّأر من الجور والظّلم والعدوان، في كلّ أرضٍ وكلّ زمان.

وهذا يعني أن يتضمن الخطاب الحسيني توازناً بين التّربية على مظلوميّة الحسين، والتّربية على ثأر المهدي. حيث ينبغي تّأكيد وجوب حضور قضية الثّأر المهدوي في الخطاب الحسيني، وأنّه يجب العمل على تكوين ثقافة الثّأر بشكل واعٍ وهادف، وأن يكون الخطاب الحسيني هو الحاضن لتلك الثّقافة، والحامل لها، والنّاطق عنها وبها؛ لأنّه لا يمكن – بحال من الأحوال - فصل المظلوميّة الحسينيّة عن الثّأر المهدوي.

كذلك يجب أن يكون المجتمع الحسيني مشدوداً دائماً إلى قضيّة الثّأر وملتفتاً إليها، كقضيّة حيّة في التّاريخ والحاضر؛ لأنّ مشروع الحسين ما زال ينبض بالحياة، ولأنّ قتلة الحسين عليه السلام مازالوا يشركون في دمه وقتله، ولئلّا يخبو خطاب الثّأر ووهجه؛ ولأنّ نصرة الحسين صداها ما انطفأ، وللعدوان ناب ما زال يضرس.

إنّ ما تقدم، يتضمن أهميّة التّربية على معاني الثّأر وقيمه، وأن يكون هذا البعد التّربوي حاضراً بقوة، وبشكل واعٍ وهادف ومتوازن في أي خطاب أو بيان أو منهج، حتى يتمّ الإعداد الصّحيح والمستديم، والتّمهيد الحق والمتواصل. وحتى يمكن لنا أن نستفيد بشكل حكيم وبنّاء من تلك الرّوح المتوقدة التي تولدها كربلاء. وحتى يمكن لنا أن نستثمر بطريقة جادة وهادفة، تلك الطّاقة الجياشة التي تصنعها عاشوراء، لأجل ذلك، لا بد من حضور ثأر المهدي، إلى جنب شهادة الحسين. ولا بد من تفاعل ثقافة الثّأر، مع ثقافة النّحر؛ ولا بد من تمثّل كلّ قيم الثّأر ومعانيه، إلى جانب مآسي كربلاء، وجراحها النّازفة.

١١- لماذا أخر الله تعالى الثّأر إلى عصر الظهور ؟

إنّ من الأهميّة بمكان طرح هذا السؤال، حتى لا يظن أحدٌ هواناً للحسين على الله تعالى، وحتى لا يجهلنّ أحدٌ معنى قتل الحسين، وحقيقة الظّهور وفلسفة الثّأر، وكيف أن الله تعالى يمهِل ولا يُهمل، وأنّه يملي لمن يشاء، فيما يشاء.

هذا، ولا بد من تفصيل الجواب فيما يلي:

أولًا: لابدّ من القول، إنّ الثّأر للإمام الحسين عليه السلام لم يتوقف مذ قُتل الإمام الحسين عليه السلام: لأنّ قتلة الإمام الحسين – كما ذكرنا – موجودون في كلّ عصر، إذ تجد في كلّ دهر من رضي بقتل الحسين عليه السلام ويفتخر به ويدعو إليه، ويعمل على قتل شيعته ومحبيه ومواليه. وهؤلاء بقتلهم ذاك، يقتلون الحسين من جديد. وبدعوتهم إلى سفك دمهم، يدعون أبداً إلى سفك دمه.

من هنا أمكن القول، إنّه في كلّ دهر ثأر، وإنّ قافلة الثّأر لم تزل، ولا تزال إلى زمن الظّهور وخروج المهدي عليه السلام، سوى أنّ الثّأر الأكبر سيكون على يديه، والانتقام الأعظم يحين عند خروجه.

ثانياً: أمّا تأخير الثّأر الأعظم إلى عصر الظّهور، فيعود لارتباطه بالإمام المهدي عليه السلام وفلسفة الخروج وأهداف القيام؛ حيث يمكن القول، إنّ إزالة الظّلم والفساد في أوسع تجلياته، والقضاء على جميع رموزه ومنضوياته، واقتلاعه من جذوره وأصوله؛ كلّ ذلك لا يمكن أن يحصل إلاّ على يد المهدي عليه السلام ويوم ظهوره، لعللٍ كثيرة؛ منها ما يرتبط بما يؤتيه الله تعالى من أسباب القوّة والنّصرة والتّأييد، فضلاً عن ابتلاء الأمّة على مرّ التّاريخ بقضيّة الحسين عليه السلام، حتى يُعرف من يكون مع قتلته ومنهم، ومن يكون من أنصاره ومعهم، وحتى ﴿**يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[٢٨]، و﴿**لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾[٢٩].

كما أنّ الله تعالى يمهل ولا يهمل، إمهاله إن حصل، فعن حكمة. وإن أملى،

فلغاية. فليس الإمهال هنا إمهال غفلة، ولا الإملاء إملاء تفريط.

وسوف يكون من المناسب، أن نذكر في هذا المورد حديثاً للإمام زين العابدين عليه السلام، يبيّن فيه عظيم ما اقترفه قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ويشير فيه إلى قضيّة الحكمة في تأخير عقاب من أُخّر عقابه؛ حيث ذكر الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام أنّ "علي بن الحسين عليه السلام كان يذكر حال من مسخهم الله قردة من بني إسرائيل، ويحكي قصتهم؛ فلما بلغ آخرها، قال: إنّ الله تعالى مسخ أولئك القوم لاصطياد السّمك، فكيف ترى عند الله عزّ وجلّ، يكون حال من قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وهتك حريمه؟ إنّ الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدّنيا، فإنّ المعدّ لهم من عذاب الله في الآخرة، أضعاف أضعاف عذاب المسخ.

فقيل له: يا بن رسول الله، فإنّا قد سمعنا منك هذا الحديث، فقال لنا بعض النّصاب؛ فإن كان قتل الحسين باطلاً، فهو أعظم عند الله من صيد السّمك في السّبت؛ أفما كان يغضب الله على قاتليه، كما غضب على صيادي السّمك؟!

قال علي بن الحسين عليه السلام: «قل لهؤلاء النّصاب؛ فإن كان إبليس معاصيه أعظم من معاصي مَن كفر بإغوائه، فأهلك الله من شاء منهم، كقوم نوح وفرعون، ولم يهلك إبليس، وهو أولى بالهلاك؛ فما باله أهلك هؤلاء الذين قصّروا عن إبليس في عمل الموبقات، وأمهل إبليس مع إيثاره لكشف المخزيات؟

ألا كان ربّنا حكيماً بتدبيره وحكمه فيمن أهلك، وفيمن استبقى؛ فكذلك هؤلاء الصّائدون للسمك في السّبت، وهؤلاء القاتلون للحسين عليه السلام، يفعل في الفريقين ما يعلم أنّه أولى بالصّواب والحكمة، لا يُسأل عمّا يَفعل، وعباده يُسألون»(٣٠).

١٢- من دلالات الثأر:

إنّ دلالات عديدة يمكن أن تستفاد من قضيّة الثّأر من قتلة الحسين عليه السلام،

والتي يمكن أن نذكر منها:

إنّ قتل الحسين عليه السلام قضيّة لا تخبو، وسوف تبقى ملتهبة حتى ظهور المهدي عليه السلام، وتحقيق الثّأر وبلوغ أهدافه.

إنّ سنّة الله تعالى في الأنبياء وأممهم، ومن اعتدى عليهم، لن تتعطل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، حيث انّ من اعتدى على سبط الرّسول صلى الله عليه وآله ووصيه الحسين عليه السلام، سينال عقابه في الدّنيا، وأضعافه في الآخرة.

إنّ الله تعالى قد وعد بنصر مشروع الأنبياء والرّسل في نهاية التّاريخ، وهو ما سوف يحصل من خلال ثورة المهدي عليه السلام وعند ظهوره، لكن باسم الحسين، ومظلوميّة الحسين، وما تعنيه وما تمثّله، وتحت راية الثّأر، وشعار المهدي وأنصاره: «يا لثارات الحسين».

إذا كان مقتل الحسين عليه السلام يمثّل قضيّة التّاريخ، وإذا كان خروج المهدي يمثّل قضيّة المستقبل؛ فإنّ الوصل ما بين أواني التّاريخ والمستقبل، إنّما يحصل من خلال مشروع الثّأر وتجلياته.

إنّ الخروج المهدوي، ما كانت لتكتمل ارهاصاته، ولا لتنضج مقدماته، من دون شهادة الحسين عليه السلام ومقتله، بما يمثّله من قضيّة ملهمة، وطاقة محركة، وغاية توقد الإرادة، وتهب الفعل المهدوي جملة المسوّغات لنهجه ووظائفه.

إنّ شهادة الحسين عليه السلام ما كانت لتكتمل أهدافها، ولا لتبلغ غاياتها، من دون الثّأر المهدوي ومشروع الثّأر، بما يعنيه هذا المشروع من هدم لأركان الظّلم والعدوان والعنصريّة، وما يعنيه من محو لجميع أشكال الإجرام والكراهيّة.

إنّ سر الوصل بين الحسين عليه السلام والمهدي عليه السلام تتجلى أحرفه، من تلمس هذه الحقيقة، أن العدالة المهدويّة في نهاية التّاريخ، تستمد روحها من المظلوميّة الحسينيّة في كبد النّبوة وجوهر الدّين، ومن معنى، أنّ ثورة الإصلاح الحسيني

ستبقى تتراكم، وتزداد توهجاً، على مرّ الزّمن وسير الفلك؛ إلى أن تؤتي أكلها كاملاً يوم الظّهور المهدوي، انبعاثاً، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً، كما ملئت ظلماً وظلاماً وجوراً.

الخاتمة

إنّ ما يُستفاد من خلاصة ما تقدم، أنّ الثّأر لقتل الإمام الحسين عليه السلام ليس ثأراً شخصياً، بمقدار ما هو ثأر من ذلك المشروع الذي قتل الحسين، مشروع له جذوره في الماضي وامتداداته في التّاريخ، وفروعه في التّراث والإعلام والثّقافة والتّربية والخطاب والسّياسة، ويقوم على ركني البغض لأهل بيت الرّسول صلى الله عليه وآله والعدوان عليهم، وعلى كلّ من يرتبط بهم، أو ينتمي إليهم.

إنّ الثّأر هنا يصبح ضرورة إنسانيّة، وواجباً أخلاقياً، ومقدمة لازمة لإقامة الحق، وتحقيق جميع معاني العدل والإصلاح.

الثّأر هنا، لا يحمل أي بعد مذهبي أو شخصي أو عشائري؛ فهنا لا يراد الثّأر من مذهب، أو العدوان على أحد. إنّه ثأر لرفض العدوان، فكيف يمارسه؟ إنّه ثأر لكنس الإجرام، فكيف يقدم عليه؟ إنّه ثأر لبتر الظّلم، فكيف يقع فيه؟

إنّه ثأر الإنسانيّة من عدوها؛ لأنّه في الحسين تكثّفت كلّ معاني الإنسانيّة والفضيلة، فعندما يُثأر للحسين، فإنّه يثأر من كلّ معاني الظّلم والعدوان والإجرام والفساد والبغي والطّغيان.

وما ينبغي التّأكيد عليه، هو أنّنا لا نقدم تصوراً صراعياً للعلاقات في الاجتماع الإسلامي أو الاجتماع العام، ولا يُراد لهذا البحث أن يقدم مادة دافعة إلى تأزيم تلك العلاقات، وزيادة توتيرها. وإنّما هو بمثابة توصيف صريح لما حصل



ويحصل، ومحاولة لاستثمار كلّ عناصر القوّة ثقافياً لحماية الوجود والدفاع عن الذّات.

إنّ ما يطرحه هذا البحث هو بمثابة رؤية واقعيّة للأحداث، سواء في التّاريخ أو الحاضر أو المستقبل، فهي رؤية تصف الواقع كما هو، وتتحدث عن وجود مشروع عدواني عنصري تتبناه أكثر من جهة، تمارس القتل والإجرام بحق طائفة من المسلمين، توالي أهل بيت النّبي ﷺ، وتدين لهم بالحب والمودّة. حيث لا دافع لكلّ أعمال القتل الوحشي، والإجرام الحاقد؛ إلاّ البغض والكراهيّة، وشهوة الإجرام، وأكثر من فقه أو تراث تشّكل باسم الدّين، على إيقاع السّلطة واستبدادها وتغوّلها، عندما شرت بثمنٍ بخس ذمماً من علماء البلاط، فكان هجين التراث على شاكلة من أراد قصده، ومن دوّن، لكنه أسفر عن وجهه باسم الله وبأقلام فقهاء السّلطان، ويراع الدّرهم والدّينار.

إنّ سفاحاً قد حصل بين استبداد السلطة وتوحّشها، وبين زيغ من علماء السوء وطمعهم، فكان وليدهم على شاكلتهم تراثاً يحمل شبهاً من عنف السلطان وتوحّشه، وعنصرية وتكفيراً باسم الدين وأئمته، تراث حوى أخبث ما في السلطان من صفات، وأسوأ ما في علماء البلاط من نعوت، من صفات، لكنه يستولد بتشوّهاته شروعاً، يستنسخ أقبح ما في ذاك التراث من وضع وتحريف وضلال وتوحّش وإجرام.

ولا أعتقد أنّ وجود ذلك المشروع وتمظهراته يحتاج إلى جدال، أو أنّه محل نقاش؛ لأنّه كان موجوداً في مجمل التّاريخ الإسلامي؛ ولأنّه أبان عن نفسه في حاضر دهرنا، قتلاً وعدواناً، وظلماً وإفساداً، وإيغالاً في الدماء، وشرهاً إلى الإجرام. هذا ولا يحتاج ذو عينين إلى كثير جهدٍ، حتى يعرف عمّا نفصح، وإلى أي بلاء نشير.

كلّ ما في الأمر، أنّ هذه الرؤية تسهم في استنهاض كلّ مكامن القوّة في الوعي الجمعي، والثّقافة المجتمعيّة، لتلك الجماعة المستهدفة، من أجل تحصينها بمختلف



عناصر القوّة، للدّفاع عن نفسها، وحماية وجودها.

وخصوصاً عندما يتصل الأمر بتلك الثّقافة، التي تملك تأثيراً بالغ الأثر في تثوير الإرادة، واستنهاض الهمم، وانبعاث الأمم، وتشكيل الوعي، وتحشيد القوى بهدف امتلاك أعلى درجات القوّة، للدّفاع عن الذّات، وحماية الوجود، وبناء الحاضر.

وإن قيل لنا، بأنّ هذا الفعل الدّفاعي والحمائي، هو حق؛ بل واجب، ولكن لماذا تعطونه هذا البعد الأيديولوجي؟؛ فالجواب ما يلي:

إنّ هذا البعد الأيديولوجي هو أيضاً توصيف للواقع، وليس اسقاطاً عليه. بمعنى أنّ وجود تلك الجماعة مستهدف لهويتها فقط، أي لارتباطها بأهل البيت عليهم السلام وولائها لهم، ومن هنا حقّ لها أن تدافع عن وجودها باسم هويتها، أي باسم الحسين والثّأر له.

إنّ هذه الجماعة تملك رؤيتها للتّاريخ والحاضر والمستقبل، فيما يتصل بموقفها من ذلك المشروع العنصري والعدواني الذي يستهدفها، ويستهدف وجودها، ومساره، وما سوف يؤول إليه؛ ومن حقها أن تعبّر عن رؤيتها تلك بشكل إنساني وحضاري، لكن يحق لها في الوقت نفسه، أن تبرز كامل رؤيتها تجاه ذلك المشروع، وتاريخه، ومآلاته في قادم الأيام.

إنّ من حق تلك الجماعة؛ بل من واجبها، أن تبحث عن جميع عناصر القوّة في تراثها، وفكرها، وثقافتها، وتاريخها، وكلّ ما لديها، من أجل الاستفادة منه، وتوظيفه في حماية ذاتها، والدّفاع عن وجودها، وصناعة حاضرها، والحفاظ على هويتها؛ فكيف إذا كان الأمر متصلاً بآلم الذّكريات في وجدانها الجمعي (كربلاء)، وبأرقى الشّعائر في ثقافتها المجتمعيّة (عاشوراء)، وبأسمى المعاني في وعيها الدّيني (شّهادة الحسين عليه السلام)، وأبلغ المعتقدات أثراً في صناعة الأمل، والثّقة بالنّصر، وديمومة ثورة العدل والإصلاح (خروج المهدي وفلسفة الظّهور).

* هوامش البحث *

١- مولى محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م،ط١، ج ١٢، ص ٣٦٧.

٢- جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في وصفه لأصحاب القائم (عجّل الله تعالى فرجه): "... وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنّون ان يقتلوا في سبيل الله، شعارهم، "يا لثارات الحسين عليه السلام"، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر..." (ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٨٨ م، ط ٢، ج ١١، ص ١١٤).

٣-الصّدوق، علل الشّرائع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٨م، ط١، ج١، ص٢٦٨.

٤- الطّوسي، الأمالي، دار الثّقافة للطباعة والنّشر والتّوزيع، قمّ، ص١٤١٤ هق، ط١، ص٤١٨؛ أيضاً باختلاف يسير: الكليني، الكافي، تصحيح وتعليق: علي الأكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٦٣ هش، ط٥، ج١، ص٤٦٥، حيث ورد في المتن: "لما كان من أمر الحسين بن علي عليه السلام ما كان، ضجت الملائكة إلى الله بالبكاء، وقالت: يفعل هذا بالحسين صفيّك وابن نبيّك؟ قال: فأقام الله لهم ظلّ القائم عليه السلام، وقال بهذا أنتقم لهذا".

(*) نجُدُّهم: أي نقطعهم ونزيلهم.

٥- م ن، ٥٣٤.

٦- المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣ م، ط٢، ج ٤٥، ص ٢٩٨.

٧- م ن.

٨- م ن، ج ٤٤، ص ٢١٨.

٩- م ن، ج ٤٥، ص ٢٩٩.

١٠- -م ن، ص٢٩٨، السّيوطي، الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنّشر، ج ٤، ص ٢٦٤ (باختلاف يسير).

*ـ الذّحول: ج الذّحْل: أي الثّأر.

١١- عباس القمي، مفاتيح الجنان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م، ط ١، ص٥٩٨.

١٢- م ن، ص٥٢٠-٥٢١.

١٣- م ن، ص٥٢٨.

١٤- المكتبة الإسلاميّة، استانبول، ط ٢، ص ٩٢.

١٥- إعداد: محمد حسن بكائي، مؤسسة النّشر الإسلامي، قمّ، ١٤١٤ه ق، ط١، ص١١٤.

١٦- إذا كان العدوان على الحسين عليه السلام يمثّل خلاصة العدوان على الأنبياء والرسل، فإنّ الثأر



يمثّل خلاصة الثأر للأنبياء والرسل؛ ومن هنا اقترن الثأر للأنبياء وأبنائهم بالثأر للإمام الحسين عليه السلام، حيث جاء في مخاطبة الإمام المهدي في دعاء الندبة: "... أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، اين الطالب بدم المقتول بكربلاء..."

١٧- الصّدوق، ثواب الأعمال، منشورات الشّريف الرّضي، قمّ، ١٣٦٨ه ش، ط ٢، ٢١٧.

١٨-المجلسي، بحار الأنوار، م ن، ج٤٥، ص٢٩٨.

١٩- الحر العاملي، وسائل الشّيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التّراث، قمّ ١٤١٤ه ق، ط٢، ج١٦،ص١٤٢.

٢٠- المجلسي، بحار الأنوار، م س، ص٢٩٨.

٢١- الصّدوق، علل الشّرائع، م س.

٢٢- المجلسي، بحار الأنوار، م س، ص٢٩٦.

٢٣- م ن، ص٢٩٩.

٢٤- علي ابن بابويه القمي، الإمامة والتّبصرة، مدرسة الإمام المهدي، قمّ، ١٤٠٤ه ق، ط١، ص١٢٠.

٢٥- المجلسي، بحار الأنوار، م س، ص٢٩٧.

* الوِتْر: "ظُلامة في دمّ" والمقصود بها من ظُلم، بأنّ قتل له أحد أرحامه.

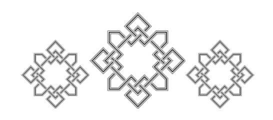
٢٦- م ن، ص٢٩٨.

٢٧- م ن.

٢٨- سورة الأنفال، الآية ٤٢.

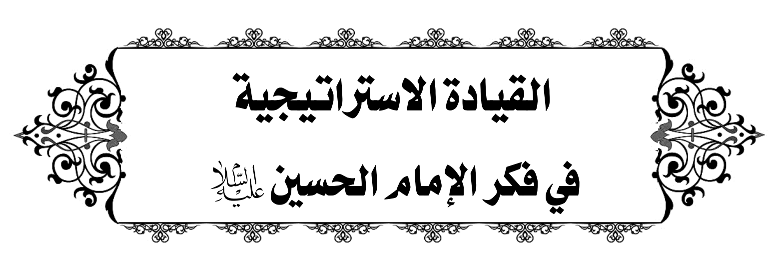
٢٩- سورة الأنفال، الآية ٣٧.

٣٠- الطّبرسي، الاحتجاج، دار النّعمان للطباعة والنّشر، النّجف الأشرف، ١٩٦٦م، ج٢، ص٤١؛ المجلسي، بحار الأنوار، م س، ص٢٩٢.









(نهضته المباركة إنموذجاً)

حيدر الجد

المقدمة

أسهمت الإدارة الاستراتيجية في بلورة الكثير من الأفكار والدراسات فيما يخص الحقل الإداري حيث قدمت نظريات وافتراضات كانت غائبة، ولم يلتفت إليها أحد من قبل إلى أن دخلت الإدارة حيزاً واسعاً تنوعت فيه المشارب والاتجاهات.

لقد فسرت الإدارة اليوم وبالخصوص إدارة الأعمال عدداً من الظواهر والأحداث على ضوء ما تكتشفه وخصوصاً فيما يتعلق بالدراسات الاستراتيجية، الأمر الذي جعلني أفكر في إسقاطٍ تطبيقي رجعي لهذه الدراسات على النهضة المباركة لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام؛ لنرى مدى تطابق ما توصلت إليه مع الآليات الاستراتيجية التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام بدأً من إصداره أول إعلانٍ لنهضته حينما قال لمن أراد منه أن يبايع يزيداً خليفة للمسلمين في بعض جوابه: (...، وإن يزيد شارب الخمور ورأس الفجور وقاتل النفس المحترمة ومثلي لايبايع مثله) بدأً من ذلك حتى استشهاده على ثرى كربلاء.

لقد كانت واقعة كربلاء معركة مصيرية حاسمة ولكنها لم تكن معركة

عابرة التقى فيها جيشان كما هو الحال في المعارك الأُخر، فانتصر أحدهما وانهزم الآخر في ساعة؛ ليقفل فيها التاريخ أحداثها ويضعها صفحة من صفحات كتابه، فقد سجلت هذه الواقعة حضوراً مهماً على مستوى التاريخ البشري، فهي الواقعة الوحيدة التي تم الحديث عنها وهي بعد لم تقع، ذلك بحسب ما أخبر به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله زوجه السيدة (أم سلمة) عن مقتل سبطه الإمام الحسين عليه السلام كما في حديث القارورة، أو ما أخبر به الإمام علي عليه السلام ابن عباس أثناء السير إلى واقعة صفين ومرورهم بأرض كربلاء، وما أخبر به الإمام الحسن عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام عند وفاته حيث قال: (ولا يوم كيومك يا أبا عبد الله)[1]، ثم تستمر هذه الواقعة محفزاً لنهضات وثورات هنا وهناك وتبقى معانيها السامية ليومنا هذا.

وتأسيساً لما ذكرنا عن محاولتنا لتقصي مهام الإمام الحسين عليه السلام كقائد ميداني يضع استراتيجيات معينة واضحة المعالم حاولنا أن نجيب على السؤال المهم في البحث وهو:

هل كان الإمام الحسين عليه السلام مخططاً لأبعاد هذه الحرب، مستعملاً الأساليب العسكرية باستراتيجياتها المعنوية والمادية؟، وهذا يعني إنه وعلى بالرغم من يقينه التام بما ستؤول إليه نتيجة الحرب من استشهاده واستشهاد رجال أسرته وأصحابه وسبي أهل بيته ونهب ماله وحرق أبياته، سيقوم بدور القائد بكل ما تعنيه هذه الكلمة أم سيقتصر دوره القيادي ـ باعتباره إماماً ـ على الوعظ والإرشاد، ثم يقاتل القوم ساعة هو وأصحابه؛ ليقتلوا وينتهي كل شيء.

هذا التساؤل المطروح نجد جوابه فيما سنعرضه من فعاليات قام بها الإمام الحسين عليه السلام تثبت قيادته العسكرية الناجحة على الرغم من قلّة جيشه ومعداته الحربية والتي سنعقد فيها مقارنة بين الجيشين قبل بيان تلك الفعاليات.

أولاً- مفهوم الاستراتيجية:

يرجع أصل كلمة استراتيجية إلى المصطلح اليوناني (Straregos) الذي



استعمل أثناء الحرب التي نشبت بين الإغريق والفرس في عام ٥٠٦ قبل الميلاد؛ ليعبر عن فن قيادة الجيوش. لذلك فإن نقل هذا المصطلح إلى حقل الإدارة سيعني بصورة أولية في الأقل فن الإدارة أو القيادة(Fewrer &Chahrbaghi 1995).

وبشكل أكثر تحديداً يرى (Sharplin1985) أن مصطلح (استراتيجية) هو الكلمة الإغريقية (Strategica) التي تعني فن القيادة العامة أو الكيفية التي يكون فيها المرء قائداً عاماً.

ولعل أفضل تعريف للاستراتيجية قدمه هيلموث فون (١٨٠٠-١٨٩١) حيث قال: (إن الاستراتيجية أكثر من علم، إنها تطبيق المعرفة على الحياة العملية، وهي تطور الفكر إلى حد يمكنه من تعديل الفكرة الأصلية المرشدة في ضوء المتغيرات المستمرة، إنها فن التدبر تحت وطأة أصعب الظروف) (الحسني، ٢٠١٤).

ثانياً- القيادة الاستراتيجية (Strategic leadership):

تعرف القيادة الاستراتيجية على إنها عملية يلجأ إليها القائد بغية تحقيق رؤية استراتيجية واضحة ومفهومة من خلال التأثير في الثقافة التنظيمية وتخصيص الموارد بغية تشخيص الفرص والتهديدات(Mageel1998) على حين يراها ويت (قدرة الشخص على التوقع، والتخيل والمحافظة على المرونة والتفكير بطريقة استراتيجية والعمل مع الآخرين للشروع في تنفيذ التغيرات التي سوف تخلق مستقبلا حيوياً في المنظمة (Witt2001).

في حين يرى (العيساوي وآخرون، ٢٠١٢) بأن القيادة العامة الاستراتيجية تعني (فن قيادة شاملة لجميع مجريات أرض المعركة في سبيل تحقيق الغرض النهائي الذي قد يكون النصر (ربح المعركة) ، احتلال إقليم معين، الدفاع عن إقليم معين من اجتياح العدو له ... إلخ) ، ولغرض تحقيق النصر فقد وجد الإغريق (Stoner&Freeman1988) إن من الضروري للقائد العام وفي سبيل تحقيق أي

هدف (أن يكون قادراً على تحديد خطوط الإمداد الصحيحة وتقرير ساعة الصفر بالإضافة إلى إدارة علاقات الجيش مع الشعب والساسة والدبلوماسيين فالاستراتيجية ليست مجرد قتال في أرض المعركة).

ثالثاً- أهمية القيادة الاستراتيجية:

تعد القيادة الاستراتيجية العملية التنظيمية المستمرة من جهة ومجموعة الخصائص الشخصية المنفردة في شخص معين التي تساهم في تحقيق استمرارية هذه العملية في المنظمة من جهة أخرى؛ لذلك تتمتع بأهمية كبيرة على مستوى المنظمات المعاصرة وتقارب وجهات النظر في تحديد أهمية القيادة الاستراتيجية بالآتي:

- تشجيع العمل الجماعي؛ لأنها ليست مهمة الإدارة العليا-حصراً- أو المديرين التنفيذيين فقط، بل هي مسؤولية جماعية وانسجام عال في العمل.
- تنمية قدرة القادة على التأثير في السلوك البشري، كذلك الأفكار والمشاعر الخاصة بالأفراد العاملين.
- تهيئة الاستجابة السريعة والصحيحة للتغيرات الحاصلة في بيئة العمل التنافسي.
- تحديد التوجه المستقبلي للمنظمة باعتماد المنهجية العلمية في تشخيص البيئة الخارجية والداخلية وتحديد الفرص والتهديدات ومواطن القوة والضعف؛ لأنها تعتمد التخطيط المسند بالرؤية المستقبلية (الربيعي، ٢٠٠٨).

وهذا يعني انّ القيادة مسؤولة عن وضع استراتيجية تعتمد الرؤية المستقبلية الدقيقة في تحقيق النجاح الذي تصبو إليه، وتأسيساً على ذلك فالقيادة ممثلة بالقائد

العام سيكون لها الدور الأساسي والمحوري في صنع الاستراتيجية التي تتكون من ثلاث مراحل رئيسة، وهي كما حددها المهتمون بعلم الإدارة والإدارة الاستراتيجية على النحو المألوف والشائع:

صياغة الاستراتيجية.

تنفيذ الاستراتيجية.

تقييم ومراقبة الاستراتيجية.

رابعاً- العوامل المساعدة في نجاح القائد:

يستعين القائد الإداري الناجح بمجموعة من العوامل التي تساهم في تحقيق أهداف منظمته بطريقة اقتصادية وفي جو نفسي مريح للعاملين معه وهذه العوامل يمكن إدراجها كما يلي:

- امتلاك القائد الرؤية الصحيحة القائمة على الحكمة والعلم بأمور المنظمة والعاملين.

- طاقة التمكن وسعتها التي تحقق له القدرة على الإلمام بالمعلومات الضرورية واستعادتها في اللحظة المطلوبة كلما لزم ذلك.

- سعة المعرفة وتنوعها وما يترتب عليها من معالجة للمواقف عبر توازنات معرفية دون إهمال احد جوانبها.

إدارة الموقف واختصاره على الأدوار القيادية دون الدخول في أدوار روتينية غير مرنة في وصف المهام القيادية العقائدية الصحيحة التي تمثل القيم العليا التي يسعى القائد إلى تحقيقها والدفاع عنها.

الفطنة وبعد النظر وقدرته على اشتقاق المعاني من المواقف.

الشجاعة وسرعة حسم المواقف الحرجة واتخاذ القرارات الحازمة عند الضرورة.



القدرة البدنية وقدرته على ممارسة مهامه دون تمهل أو كلل.

الإلمام بأصول الإدارة والطمأنينة على ممارسة العملية الإدارية.

الشخصية النافذة والماضي المجيد حيث يحتل الصدارة الطبيعية وليست المفضلة أمام المجتمع الداخلي والخارجي، فضلاً عن ضرورة حضوره المتوازن نفسياً وأخلاقياً بين الآخرين(الربيعي، ٢٠٠٨).

لقد حاز الإمام الحسين عليه السلام جميع العوامل التي ذكرناها آنفاً والتي جعلته قائداً فذاً يفوق بفكره الاستراتيجي قواد الطراز الأول كما سنتعرض لمواقفه فيما سيأتي من البحث.

خامساً - الإمام الحسين عليه السلام واستراتيجيته:

لعل الكثير يقول إن الإمام الحسين لم يحقق النصر في ساحة الحرب بل استشهد، فكيف يمكن أن نعد إستراتيجيته ناجحة في تأدية الغرض الذي وضعت من أجله؟، والجواب على هذه التساؤل يقودنا إلى إن النصر الذي أراده سيد الشهداء عليه السلام لم يكن نصراً دنيوياً مؤقتاً يمكث سنين ثم يرحل، نعم بالمفهوم المادي يزيد بن معاوية كان منتصراً فقد استطاع جيشه أن يقضي على الجيش المقابل ولكن كم كانت لذة النصر وكم دامت آثاره؟ المتتبع لحياة يزيد يجده لم يتحسس فائدة نصره فقد عاد نصره المادي وبالا عليه، أما الإمام الحسين عليه السلام فقد حقق نصراً باهراً لازال وبعد مرور ١٤٠٠ سنة نجد طراوة نهضته وحرارة شهادته تأخذ كل القلوب والمشاعر.

لنطبق مراحل إعداد الاستراتيجية التي ذكرها المهتمين بدراسة الإدارة الإستراتجية مع تلك التي ما قام به الإمام الحسين عليه السلام من خطوات بدأ بصياغة الاستراتيجية وختاماً بالتقييم والمراقبة.

صياغة الاستراتيجية: وتتضمن صياغة رسالة ورؤية وأهداف تعبر عن

وجود المنظمة، فالرسالة تمثل صورة الواقع للمنظمة، وتحتوي بين ثناياها تاريخ وتطلعات وأماني المنظمة كما تتضمن تحليل البيئة الداخلية وتحديد نقاط القوة والضعف الموجودة فيها، وتحليل البيئة الخارجية بما فيها من تهديدات تحاول المنظمة ان تدرسها وتدرس مدى تأثرها بها وفرص متوفرة يمكن استغلالها لصالح دعم المنظمة وتقوية وضعها المادي وزيادة مواردها وكسب ميزات تنافسية جديدة تمكنها من البقاء والاستمرار مع منظمات أخرى تحاول بشتى الوسائل أن تسلب منها تلك الفرص.

لقد قام الإمام الحسين بوضع رسالة اختصر فيها سبب حركته المباركة حيث قال: (إني لم اخرج أشراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله) فقد بين عليه السلام في هذا البيان رسالته الإصلاحية إنه لم يطلب ملكاً وإنما طلبه كان ينصب على إنقاذ الأمة من تعسف السلطة الأموية الحاكمة وظلمها، كما قام الإمام بتحديث الرسالة أينما اقتضت الضرورة خصوصاً أثناء طريقه إلى الكوفة:(إلا وإن الدعي ابن الدعي (عبيد الله بن زياد والي الكوفة والبصرة) قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة، وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، إلا وأني راحل بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر).

أما رؤيته فقد كانت معروفة صاغها عليه السلام على وفق المستقبل الذي عرفه، فالشهادة هي غاية ما كان يؤمله حتى قال: (من لحق بنا استشهد ومن لم يلحق لم يشهد الفتح)، فرؤيته عليه السلام مزدوجة: إحداهما تنتهي في كربلاء بانتهاء الدور المادي عند الشهادة والتضمخ بالدماء الطاهرة، والثانية خالدة سرمدية لا يمكن أن تشابهها رؤية أخرى، فهي رؤية باقية ببقاء الدهر، وقد ترجمها بقولهعليه السلام السابق (لم يشهد الفتح)، أي من لم يلتحق بنا لم ينل الفتح الذي وعدنا به، وهو بقاء الذكر إلى

يوم القيامة في الدنيا وطيب المنازل في الآخرة، إضافة للبقاء الأزلي العقائدي والوجداني في ضمائر الأجيال المتلاحقة، كذلك خلود المكان الذي استشهد فيه عليه السلام مع صحبه الكرام، فقد أصبحت كربلاء قبلة للأحرار ومناراً للزائرين.

التحليل الاستراتيجي:

سوف نستعمل نموذج (SWOT) في تحليل البيئتين: الداخلية والخارجية، وقد تشكل هذا الاسم (SWOT) من الحروف الأولى للكلمات (Strength)، ومعناها نقاط القوة، و(Weakness)، ومعناها نقاط الضعف، و(Opperunity)، معناها الفرصة، و(Threat)، ومعناها التهديد، فنقاط القوة ونقاط الضعف يهتمان بتحليل البيئة الداخلية، أما الفرصة والتهديد فيهتمان بتحليل البيئة الخارجية. وهذا التحليل سيختص بوضع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بعد ان بات وقوع الحرب أمراً وشيكاً لا نقاش فيه.

أ ـ تحليل البيئة الداخلية:

المقصود بالبيئة كل الإمكانات والموارد البشرية والمالية، والمؤونة الحربية، ورأس المال المعرفي الذي تمتلكه هذه الجبهة، الأخلاقيات العامة والسلوك المنظمي.

أولاً/ نقاط القوة (Strength):

- إنّ وجود الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء أعطى المعركة وزناً، حيث شكل وجوده إماماً وقائداً في الوقت نفسه نقطة قوة جوهرية، على حين افتقدت هذه النقطة الجبهة المقابلة (الأموية).

- إنّ الرجال من أهل بيته وأنصاره يتمتعون بنظرة بعيدة المدى وهم مستعدون للموت فهم يمتلكون عقيدة ووعياً، مؤمنين بنهضة الحسين عليه السلام ووجوب الدفاع عنه.

- إنّ في مجموع أنصاره من الشخصيات المهمة في مجتمع الكوفة ممن لهم شأن

معروف وسمعة محمودة، وهذا سيؤدي إلى جذب بعض الجنود من المعسكر المقابل الذين غرر بهم عبيد الله بن زياد وساقهم دون معرفة لمن سوف يقاتلون.

ثانياً /نقاط الضعف (Weakness):

- قلة العدد: لا يخفى على أحد الفرق الشاسع في عدد المقاتلين بين المعسكر الحسيني والمعسكر الأموي، فقد بلغ عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في بعض الأرقام ٨٢ رجلاً، منهم ٣٢ فارساً و٤٠ راجلاً كما هو المعروف، ومن المؤرخين من قال كان عددهم ١١٠، وقد وصلت بعض الإحصائيات فيما روي عن الإمام الباقرعليه السلام، إذ قال: كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل(٤)، على حين بلغ عدد الخارجين إلى حربه ٣٠٠٠٠ رجلاً بحسب خبر تكامل الجيوش عند ابن سعد(٥)، ومن الطبيعي أن يكون هذا العدد حاوياً على جميع الصنوف العسكرية المعروفة والسائدة آنذاك، كالخيالة والرجالة والرماة وغيرهم، وإذا أخذنا بالرأي الذي يرى أنّ عدد الأنصار وصل إلى ١٤٥ رجلاً فإن نسبة الجيش الحسيني تبلغ حوالي٠,٤٨٣٪ من الجيش الأموي.

- قلة التجهيزات الدفاعية: أما السلاح فقد قاتل أصحاب الحسين عليه السلام بالسيوف، وغاية ما يصل العدد إليه ١٤٠ سيف أو أكثر منه بقليل، أما رماة السهام فقد كان عددهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، وقد برز منهم هلال بن نافع وأبو الشعثاء الكندي، والظاهر أنهما كانا متخصصين برمي السهام، ماهرين في هذا الفن الحربي آنذاك، الذي لا يجيده إلا القلة.

ب - تحليل البيئة الخارجية:

أولا: الفرص (Opportunities):

- وجود جبهة أموية معادية غير متماسكة بحيث كان الجيش متنوع في التوجهات والرؤى، ولم يكن جيشاً عقائدياً، وإنما تم تشكيله من مرتزقة كانوا

يبحثون عن الغنائم والجوائز أو تم سوقهم للخدمة العسكرية الإلزامية دون رغبة منهم؛ بل جبراً ومن الممكن كسب أكبر عدد من هؤلاء في كربلاء، وبالفعل تم تحول عدداً منهم إلى معسكر الإمام الحسين أيام الموادعة.

ثانياً: التهديدات (Threats)

- تحكم الجبهة الأموية بالمصدر المائي الوحيد الموجود في كربلاء وهو نهر الفرات وفروعه الممتدة آنذاك، فقد شكل هذا الموضوع اكبر تهديد حيث استفاد منه المعسكر الأموي في فرض حالة العطش على المعسكر الحسيني مما أثّر في مجريات الحرب.

- وجود عناصر إرهابية في المعسكر الأموي تمتلك القدرة على استعمال العنف بأقصى درجاته مع النساء والأطفال.

- امتلاك الجبهة الأموية وسائل حربية متطورة في ذلك الوقت من سيوف ورماح ونبال وأقواس، مع وجود ناقلات حربية كالعربات التي تجرها الخيول وغيرها، كذلك حارب البعض ممن لم تتوفر له تلك الآلة بالوسائل البدائية كالحجارة وعظام الدواب، على حين أننا لا نجد في أصحاب الحسين عليه السلام من لجأ إلى هذه الطريقة الرخيصة في الحرب.

- تحكم الجبهة الأموية بالطرق الرئيسة المؤدية إلى كربلاء وقطع كافة وسائل التمويل والدعم الإسنادي (Logistic support) عن الجيش الحسيني، وهذه الخاصية منعت الكثير من الالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام خصوصاً من المناطق البعيدة عن مسرح العمليات في كربلاء.

وعليه فقد امتازت عملية تنفيذ استراتيجية الإمام الحسين عليه السلام في يوم العاشر بالمرونة حيث لم تكن دفاعية بحتة، ولم تكن هجومية بحتة، كذلك لم تكن علاجية أو إنكماشية؛ بل كان يوجهها عليه السلام آنياً حسب تغير الميدان والمستجدات في الساحة.

(ثانياً) تنفيذ الاستراتيجية:

لقد مارس الإمام الحسين عليه السلام الدور القيادي بكل معانيه، منذ خروجه من المدينة المنورة حتى استشهاده في كربلاء، وكان تنفيذ ما وضعه يتطلب أن يقسم نشاطه إلى دورين:

الدور الأول: دور التوجيه المعنوي والتعبئة، وقد مارسه سيد الشهداء منذ خروجه من المدينة وأثناء رحلته حتى وصل كربلاء حيث كان يركز على تعريف جمهور المسلمين بأهداف حركته المباركة وإعلام من سيصحبه من المقاتلين بنيل شرف الشهادة، وكان يستعمل الطريقة المباشرة عند كلامه عن المعركة المرتقبة، ويتجلى هذا الموقف مع عبيد الله بن الحر الجعفي عندما لقيه في حصن بني مقاتل وطلب منه الانضمام لجيشه، فقد كانت محاورته مع عبيد الله الجعفي محاورة كاشفة عن أسلوب الإمام في تعامله مع المقابل بكل شفافية ووضوح، ولما يئس من انضمامه قال: (ما كنت متخذاً المضلين عضدا)[٦].

وقد تمثّل في الإمام الحسين الخلق الإسلامي الرفيع الذي يتوجب على القائد أن يحمله؛ وهو بذلك يسير بسيرة جده وأبيه، فلم يجهز على جريح ولم يتبع شريداً ولم يستعمل ضرورات الحياة ورقة للضغط على الأعداء؛ بل كان عليه السلام يبكي عليهم، لأنهم سيدخلون النار بسبب قتله عليه السلام على أيديهم، وكم تأمّل خيراً في هدايتهم وسعى بكل ما أوتي من قوة لإنقاذ أكبر عدد منهم، ولم يمنعهم الماء كما فعلوا معه، فعندما التقى بجيش الحر كانوا على وشك الهلاك عطشاً، فسقى الجيش عن آخره، وكان يسقي بعض من سيشترك بقتله بيده الكريمة.

الدور الثاني: دور التنفيذ المباشر ، وهو ما قام به من إجراءات ومهام قبيل اندلا ع الأعمال العسكرية، ويمكن إدراجها كما يلي:

١) **الاستطلاع قبل المعركة**: كان هلال بن نافع من اخص أصحاب

الحسين عليه السلام وأكثرهم ملازمة له، خصوصاً في المواقع التي كان يخاف على الإمام من احتمالية تعرضه للاغتيال، ولما رأى الحسين خرج في جوف الليل (ليلة العاشر من المحرم، أي الليلة التي سبقت اندلاع الحرب) إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات تبعه نافع، فسأله الحسين عليه السلام عما أخرجه قال: يا بن رسول الله أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغي، فقال الحسين عليه السلام: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون(٧).

٢) **تأمين الجبهة الداخلية**: والمقصود بالجبهة الداخلية مخيمات أسرته وأصحابه، حيث قام عليه السلام بأعمال عدة منها:

أ- أمر بحفر خندق يحيط بالخيام ويكون على شكل هلال بحيث تكون الخيام خلف الجيش، ويحيط الخندق بالخيام من جهة الخلف(٨).

ب- أمر برمي قصب وحطب بالخندق؛ ليتم إشعاله عند بدء العمليات الحربية حماية للجبهة الخلفية خوفاً من احتمال اختراقها من قبل الأعداء(٩).

ج- أمر أصحابه أن يقرّبُ بعضُهم بيوتَهم من بعض(١٠).

د- أن يدخلوا الأطناب بعضها ببعض(١١).

هـ- أن يكون أصحابه أمام البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وقد حفّت بهم إلا الوجه الذي يأتيّنهم منه عدوهم(١٢).

٣) **تقسيم القطاعات العسكرية**: كان التقسيم السائد آنذاك هو الميمنة والميسرة والقلب والجناحان والساقة، ولكن الإمام ـ نظراً لقلة جيشه ـ اختصر ذلك على (ميمنة وجعل قائدها زهير بن القين، وميسرة وعليها حبيب بن مظاهر الأسدي، وهو عليه السلام كان على القلب، وأعطى الراية بيد أخيه العباس بن علي عليه السلام(١٣).

٤) **فرض أسلوب القتال**: استطاع الإمام الحسين فرض أسلوب الحرب طيلة

ساعات القتال لحين استشهاد أغلب أصحابه، وبيان النقص الواضح فيهم، فقد اختار أسلوب المبارزة الشخصية، حيث يبرز المقاتل ليلاقي نظيره من المقاتلين، فيقتل ويقتل إلى أن يقتل، وقد اعتمد الإمام هذا الأسلوب عندما حمل الهاشميون حملة واحدة وانجلت المعركة عن مقتل خمسين مقاتل منهم فقال عليه السلام: صبراً يا بني عمومتي صبراً يا أهل بيتي، فو الله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً(١٤). فقد أراد الحسين عليه السلام كسب أكبر مدة من الوقت؛ ليبين خلالها ومن خلال خطبه وأحاديثه أهدافه السامية ويحاول هداية أكبر عدد من المضللين الذين جاؤوا للحرب دون معرفة، أو هزتهم العبارات الرنانة التي رفعت بالكوفة التي تمجد جيش الشام، أو خافوا من بطش عبيد الله بن زياد وهو يتوعد من يراه في الكوفة بإنزال أقصى العقوبات بحقه إن لم يلتحق بالقطعات العسكرية المتوجهة إلى كربلاء لحرب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا ما لاحظه قائد المعسكر الأموي عمر ابن سعد لما قال لجيشه: ويحكم اهجموا عليهم هجمة رجل واحد(١٥)؛ لأنه علم إن هذا الأسلوب العسكري الذي تبناه سيدالشهداءعليه السلام سيؤدي إلى استنزاف في أصحابه وضعفهم النفسي والجسدي وقد يتحولون في أي لحظة للمعسكر المقابل، فهم يرون أمامهم فتية وشباب وكهول يرتطمون بالموت ارتطاماً ولا يخشون حرارة السيوف وألم الحديد، فيكاد الشك يأتي عليهم، فقد أيقنوا بالخسارة الجسيمة التي ستلحق بهم جراء خذلانهم ابن رسول الله ونصرهم يزيد الطاغي المجرم، مما جعله يسرع من وتيرة القتال لضمان القضاء على الجيش المقابل في أقصر وقت وبأقل عدد من قتلى جيشه.

٥) **جغرافية أرض الواقعة**: من خلال الحديث المتقدم في فقرة الاستطلاع قبل المعركة نلاحظ ورود كلمات التلاع والعقبات والروابي، فالتلاع جمع تلعة وهو ما ارتفع من الأرض وما هبط منها وهي من الأضداد(١٥)، أما العقبات فهي جمع عقبة، المرقى الصعب من الجبال(١٦)، أما الروابي، جمع رابية فهي المكان المرتفع

من الأرض[١٧]، وهذا الحديث يلقي نظرة على تضاريس أرض الواقعة، فعلى الرغم من بعد الحسين عن نهر الفرات نسبياً بسبب عدم تمكين الحر الإمام الحسين عليه السلام من النزول على أرض قريبة من النهر، إلا أن الحسين نزل أرض وعرة تحيط بها المرتفعات والمنخفضات، وهذا ما يلاحظ في موقع قبره الشريف حيث يقع في منخفض بينما نجد التل الزينبي يرتفع عن الأرض الطبيعية، فقد ابتعد عليه السلام عن الأرض المنبسطة التي تصلح لحركة الخيل، وجعل أرض المعركة تقترب من أرض وعرة حتى يعيق تقدم المشاة والخيالة نحو الخيام، ويجعل أسلوب القتال الذي ستفرضه الظروف بيده ولو لفترة وجيزة.

٦) **التعبئة في ساحة الحرب**: كما بينّا فقد استثمر الإمام الحسين عليه السلام كل فرصة مؤاتية للتعريف بمغزى نهضته المباركة ورسم خطوطها العامة إمام جمهور المسلمين ليبقى التاريخ شاهداً على أحقية وثبته بوجه الطغاة الذين أرادوا وئد الإسلام وضرب قواعده بكل ما أتيح لهم من قوة.

٧) **المباشرة الشخصية بالقتال**: لم يبق الإمام الحسين حينما دارت رحى الحرب في خيمته يراقب الوضع عن بعد، لائذاً بجيشه كما هو الحال مع أعدائه؛ بل كان ينزل الساحة بين تارة وأخرى، فكان يمشي إلى الشهداء في مواضع استشهادهم سواء أكانوا من أصحابه أو من أهل بيته، وكم شدّ بسيفه على قاتلي أنصاره فقتلهم.

٨) **الخبرة والتمرس**: لم يأت الدور القيادي الذي اضطلع به الإمام الحسين عليه السلام من دون ممارسة سابقة، وعلى الرغم من كونه إماماً يمتلك قدرات خاصة مكنته منها الإمامة إلا أن الأوضاع في يوم عاشوراء جرت على طبيعتها، فلم تتدخل قوى غيبية في نصرة سيد الشهداء أو مده بالماء لإنقاذ أسرته من شبح الموت عطشاً. لقد لعبت خبرة الإمام الحسين عليه السلام دوراً هاماً في توجيهه للمعركة، فقد كان مشاركاً في حروب الجمل وصفين والنهروان، فاخذ من أبيه الشيء الكثير في إدارة الحرب وحسم النتائج.

ولما لم يبق معه احد ينصره نزل إلى المعركة؛ ليباشر القتال بنفسه هذا وقد أخذ التعب والحر والجوع والعطش والمصائب المتتابعة بفقد الولد والأخوة والأسرة والأصحاب منه مأخذاً؛ ولكنه لم يخضع ولم يساوم على موقفه، ومع هذه الأمور التي واجهها سيد الشهداء، والتي إذا صادفها القائد بكل تفاصيلها فسيضطر إلى الحلول الحرجة التي لا تفلت من مدار الاستسلام والقبول بالواقع المفروض مهما كان مرّاً، ولكن الإمام الحسين عليه السلام بقى صاحب المبادرة فقد نظم ثلاث حملات بمفرده، وكانت خيام عائلته مركزه الذي ينطلق منه إلى الميدان، وكانت شهادته – وإن كانت بأبشع الصور التي صورها التاريخ حيث الذبح عطشاً - دليلاً على نجاحه اللامحدود في تحقيق هدفه الأسمى.

٩) استخبار عزائم ونوايا الأتباع: القائد الناجح سواء أكان قائداً في الميدان العسكري، أو في الميدان الإداري يكون على مستوى عالٍ في إدراك نوايا أتباعه ومرؤوسيه حتى زملائه الذين يشاركونه الرتبة والمهمة، وهذا يعود غالباً إلى مقدرة القائد في الاستشراف والتفكير وقدرته على قراءة المستقبل من خلال الخبرة المتراكمة لديه، وهذا ما حصل مع الحسين عليه السلام فقد كان يعلم بوضع كل عنصر من عناصر جيشه، حتى من حيث مكانته الاجتماعية ووضعه الأسري، ونرى ذلك جلياً في قول السيدة زينب عليها السلام له عليه السلام: (أخي هل استعلمت نيات أصحابك؟، إني أخاف أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة، فقال لها: لهزتهم وعجمتهم فلم أر فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه)[١٨]، ثم أراد الإمام الحسين أن يتفحص وضع أصحابه عن كثب، فقام بجمعهم ليلة العاشر من المحرم وقال لهم:(هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، وليأخذ كل رجل واحداً من أهل بيتي، فإن القوم يطلبونني وإن ظفروا بي ذهلوا عن غيري). وفي هذا التصريح أوجد الأمام الذريعة الشرعية لأصحابه لكي يتركوه لوحده ولكنهم أصروا على البقاء معه للنفس الأخير، وأن يكون مصيرهم مرتبطاً بمصيره.

شكّل الأنصار مزيجاً من شخصيات انحدرت من مجتمعات كوفية ومدنية ومكية وبصرية وبدوية، وفيهم السيد المطاع فيقومه والعبد المملوك ومابين هاتين الطبقتين تتفاوت طبقات الأنصار، ولم تلعب هذه الطبقية دوراً في تقديم الحر على العبد أو المالك على المملوك؛ بل انزاحت مع المظاهر الدنيوية وأصبحت الشهادة المرتبة العليا التي ألغت الطبقية وشكلت طبقة جديدة بمواصفات مذهلة أسمها طبقة شهداء الطف.

(ثالثاً) التقييم والمراقبة:

وهي حصيلة الاستراتيجية والمقياس الفعلي لمدى نجاحها، حيث تمثل النظرة الحكيمة الفاحصة لجميع المراحل بدأً من الصياغة ومروراً بالتنفيذ وظهور النتائج. ولربّ سائل يسأل: كيف يتم تقييم هذه الاستراتيجية ومراقبتها والقائد العام قد استشهد في ساحة الميدان؟ كيف يمكنه أن يقوم بعملية المراقبة والتثمين وقد انتهى دوره في المعركة أي في آخر مرحلة من مراحل تنفيذ الاستراتيجية؟ والجواب على هذا التساؤل يكمن في السر الأكبر لاصطحاب الإمام الحسين عليه السلام عائلته معه إلى كربلاء، حيث كان قد أعدهم لكي يكملوا الركن الثالث من الاستراتيجية وهو المراقبة والتقييم، والتي تكمن في الدور الإعلامي الذي ستقوم به بعد استشهاده عليه السلام، فالقائد ينتهي دوره الميداني المادي بمجرد قتله، وهنا يأتي دور الإعلام، فإذا كان فاعلاً، محركاً للعواطف والمواقف، كانت حركة القائد خالدة، موفقة إلى حد بعيد في تحقيق أهدافها وديمومتها، وهذا الأمر أدركه تماماً أبوالشهداء عليه السلام، إذ كانت مسألة اصطحاب العيال أمراً لا يفارق تفكيره، فقد فكر في هذا الأمر ملياً، ووجد إن شهادته عليه السلام لا تكون وحدها الحل الشافي لما تمر به الأمة آنذاك من إرهاصات تهدد المجتمع الإسلامي بفك روابطه وإعادة إنتاج مجتمع وثني جاهلي كما كان من قبل، فأعد العدة لتكون العائلة معه، وأن تتحمّل من الأذى ما يطاق، فستشاهد صوراً من العذاب النفسي والجسدي على يد أناس

أجلاف لا يحملون في عقولهم أي فاهمة تربطهم بالطبيعة الإنسانية.

لم يعلن عليه السلام عن السبب الحقيقي في حمله النساء فقد كانت إجاباته عليه السلام إقناعية غايتها إفهام السائل إن الأمر منوط بمشيئة الله جل جلاله، لذا فقد سأله عبدالله بن عباس: (فإن كنت قد عزمت على الرحيل، فما معنى حملك النسوة معك: فقال عليه السلام: شاء الله أن يراني قتيلا، وشاء أن يراهن سبايا على أقتاب المطايا)(١٩).

الخلاصة

نستنتج مما قدمناه في هذا البحث جملة من النقاط وهي:

- ممارسة الإمام الحسين لدوره القيادي من خلال استراتيجية كاملة الأبعاد، واضحة المعالم.
- حققت استراتيجية الامام الحسين الأهداف الرئيسة التي أرادها، فعلى الرغم من استشهاده في أرض المعركة، إلا أنه وبنهضته المباركة عرى وجوه الحكام الظالمين الذين أرادوا الاستئثار بمقدرات الأمة وتذليل رجالها.
- من دلائل نجاح استراتيجية الإمام الحسين انها اصبحت نبراساً للثورات التي تلتها، فقد حدثنا التاريخ بجملة من الثورات حدثت واتخذت من نهضته المباركة شعارا ومنهاجاً لها.
- كانت رؤية الإمام الحسين بعيدة فقد أدرك عليه السلام إن بعد استشهاده واستشهاد أصحابه سينتهي دور تنفيذ الاستراتيجية فقط، مما يتطلب وجود من يكمل الدور الأخير والأهم دور المراقبة والتقييم؛ لذا حمل معه النساء والأطفال؛ لكي يقوموا من بعده بهذا الدور مع وجود ولده الإمام زين العابدين عليه السلام.

* هوامش البحث *

(١) ابن شهراشوب، المناقب، ٢٢٨/٣.

(٢)ابن نما، ذوب النضار، ص٢٩.

(٣) العيساوي، محمد حسين، العارضي، جليل كاظم، العبادي، هاشم فوزي، الإدارة الاستراتيجية المستدامة، مدخل لإدارة التنظيمات في الألفية الثالثة،(٣١-٣٣).

(٤)العلامة المجلسي، البحار، ٤/٤٥.

(٥)المصدر السابق، ٣٨٥/٤٤.

(٦) الصدوق، الأمالي، ص٩٤، مجلس ٣٠.

(٧)الحسن، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، ص٤٦.

(٨)الطبري، تاريخ، ٢٤٠/٦.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) المصدر السابق.

(١١) المصدر السابق

(١٢) المصدر السابق

(١٣)المفيد، الإرشاد، ٩٥/٢.

(١٤)ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص٦٨.

(١٥)البغدادي، خزانة الأدب، ٧٠/٩، الزبيدي، تاج العروس، ٤٦/١١.

(١٦)معلوف، المنجد، ٥١٨.

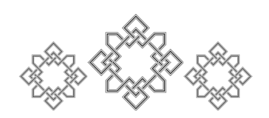
(١٧)ابن كثير، تفسير، ٢٥٦/٣.

(١٨) شرف الدين، المجالس الفاخرة، ص٢٣١.

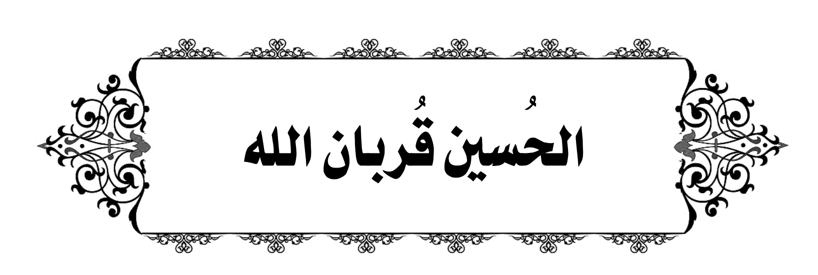
(١٩)القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام، ٢/ ١٦.

(٢٠) الحسني، نبيل، الاستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: ص٢٢.

(٢١) الربيعي، نازك نجم، أبعاد القيادة الاستراتيجية وممارساتها، دراسة تحليلية لفكر وأحاديث وممارسات الإمام علي عليه السلام، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الكوفة، ص(١٣١-١٣٦).







الحُسين قُربان الله

السيد محمود المقدس الغريفي

القُرْبان: بضم القاف جمع قرابين: مصدر من قرب يقرب هو كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من الطاعات يبتغي بذلك القربة له والوسيلة، ومنه تقولُ: قَرَّبْتُ إلى اللهِ قُرْبَاناً، ثم صار عرفاً واصطلاحاً يطلق على الهدي أو الذبيحة(١).

وفي الحديث الشريف: صفة هذه الأمة في التوراة قربانهم دماؤهم. أي يتقربون إلى الله تعالى بإراقة دمائهم في الجهاد، وكان قربان الأمم السالفة ذبح البقر والغنم والإبل، ومنه الحديث: الصلاة قربان كل تقى. أي أن الأتقياء من الناس يتقربون بها إلى الله، أي يطلبون القرب منه بها(٢).

والقرابين من أوائل العبادات التي وجدت على الارض، وإنها من شعائر الله السامية ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾(٣).

والقرآن الكريم يقص علينا قصة ولدي آدم عليه السلام اذ قرّب كل منهما قرباناً فتقبّلَ من احدهما ولم يُتَقَبَّلْ من الآخر، فقال عز وجل ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ**﴾(٤). واستمرت هذه العبادة حتى يومنا هذا مع الاختلاف والتنوع ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ**﴾(٥).

ومن أصدق القرابين الى الله تعالى، قربان خليل الله ابراهيم عليه السلام ولده

إسماعيل عليه السلام، وقربان عبد المطلب بن هاشم ولده عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ السماءَ فدتهما كُلّاً على طريقته، فجعل الله تعالى قربانهما فريضة ثابتة، احداهما في الحج، والاخرى مقدار دية الرجل المقتول، كما باهى بهما النبي محمدصلى الله عليه وآله وافتخر، حيث قال: انا ابن الذبيحين.

فهذا نبي الله ابراهيم حينما امتحنه الله بذبح ولده اسماعيل الذي انتظره عمراً طويلاً، بشوق وأمل وحنين، فأسلم أمره الى المولى الجليل وقدمه لله عز وجل قرباناً صادقاً، كما أسلم اسماعيل أمره لله عز وجل، وانقادا طائعين له، وطلباً لرضاه جل شأنه، فابدله المولى بذِبح عظيم، بعد أن نجحا في الامتحان العصيب، قال تعالى في كتابه العزيز ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٦].

وأما عبدالمطلب بن هاشم فَكان قد تعلق بحلقة باب الكعبة - كما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام - ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشـرة بنين، ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته، فلما بلغوا عشـرة قال: قد وفى الله لي فَلَأُفِيَّن لله عز وجل، فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبدالله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أحب ولده إليه، ثمَّ أجالها ثانية فخرج سهم عبدالله، ثمَّ أجالها ثالثة فخرج سهم عبدالله، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه، فاجتمع نساء قريش ومنعنه من ذلك، واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن، فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك قال: فكيف أعذر يا بنية فإنكِ مباركة – أقول: كأنه نطق على لسانها روح

القدس- قالت: اعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك، وعلى الإبل وأعط ربك حتى يرضى.

فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب بها بالسهام، فخرج سهم عبد الله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة، فضرب فخرج السهم على الإبل، فكبرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تِهامة، فقال عبد المطلب: لا حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات، فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجليه، فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذي كان على الأرض، وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب، وأمر أبو طالب أن ينحر الإبل بالحزورة ولا يمنع أحد منها وكانت مائة.

فكانت لعبد المطلب خمس سُنن أجراها الله عز وجل في الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء، وسن الدية في القتل مائة من الإبل، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس، وسمى زمزم لما حفرها سقاية الحاجِّ.

ولولا أن عبد المطلب حُجة، وأنَّ عزمه على ذبح ابنه عبد الله، شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي صلى الله عليه وآله بالانتساب إليهما؛ من أجلِ أنهما الذبيحان في قوله صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين(٧).

والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل، هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله، وهي كون النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في صلبيهما، فببركة النبي والأئمة صلوات الله عليهم رفع الله الذبح عنهما؛ فلذلك لم يجر السنة في الناس بقتل أولادهم، ولولا ذلك لوجب على الناس كل أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره بقتل أولادهم، وكلما يتقرب الناس به إلى الله عز وجل من أضحية فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة(٨).

ثم أن القربان قربانان: قربان شرعي، وقربان فلسفي، لا ثالث لهما. فأما القربان الشـرعي: فهو المأمور به في الحج من ذبح الحيوانات المذكورة الموصوفة على شرائطها من أجناسها المحمودة السالمة، في المواضع التي يجب ذلك فيها، وأجلها ما كان أكثر ثمناً، وأحسن صورة، وأجود غذاء لمن يأكلها، ممن يفرق فيهم ويشبعهم ويكفيهم. فإذا خرج ذلك من حله ودفع إلى أهله بنفس طيبة، ونية صادقة، كان قرباناً مقبولاً، وكفاية نافعة، ودعاء مستجاباً، فهذا قربان شرعي.

وأما الفلسفي: فهو مثل ذلك، إلا أن النهاية فيه التقرب بالأجساد إلى الله سبحانه بتسليمها إلى الموت وترك الخوف... وأن أعظم القرابين هو ترك النفس محبة الدنيا والزهد فيها، وقلة الخوف من الموت وتمنيه [٩].

فإن في إراقة دم القربان ميل القلب عن حب الدنيا، وبذلها إيثاراً لوجه الله، دون مجرد الدم واللحم، وميل القلب إنما يحصل عند جزم النية والهمة، وإن عاق عن العمل عائق، فـ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ**﴾، والتقوى صفة القلب[١٠].

ومن أروع صور الإيثار بالنفس لوجه الله تعالى ما بذله الامام الحسين في كربلاء، فإنه فدى نفسه لرضى الله تعالى، وقدم أهله وأحبائه في سبيل إحياء الدين، ورسم صوراً رائعة من العطاء والإباء، والرحمة والفداء، ولولا هذا الموقف العظيم لسيد الشهداء عليه السلام لأمسى الإسلام في خبر كان، وقد شهد بذلك العظماء من فلاسفة الغرب، كالمسيو ماربين الألماني في كتابه (السياسة الإسلامية) حيث قال: لا يشك صاحب الوجدان إذا دقق النظر في أوضاع ذلك العصـر، وكيفية نجاح بني أمية في مقاصدهم، واستيلائهم على جميع طبقات الناس، وتزلزل المسلمين، أن الحسين قد أحيا بقتله دين جده، وقوانين الإسلام وإن لم تقع تلك الواقعة، لم تظهر تلك الحسيات الصادقة بين المسلمين لأجل قتل الحسين، ولم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعاً؛ بل كان من الممكن ضياع رسومه

وقوانينه، حيث كان يومئذ حديث العهد[11].

كما أراد الله عز وجل لهذا الدم الزكي أن يروي الارض ويسقيها بلا ذِبح ولا فِداء؛ ليصبح الحسين رمزاً إلهياً في بذل النفس في سبيل الله تعالى وإحياء لدينه الحنيف، بعد أن أعرض عن كل صور الحياة السعيدة ومغرياتها الهنيئة، من ألفة الأهل والأولاد، ومحبة الأخوة والأعمام، واخلاص الأحبة والأصحاب، وحلاوة الغنى والترف والراحة، وعلو المنزلة، وعظم الشأن، ورفعة المقام والجاه، ونحو ذلك من توابع الحياة ومتعها، فنأى عن كل هذه اللذائذ الدنيوية بنفسه الأبية، وتحمل ما تحمل من المحن والمصائب، والفجائع والآلام من شيعة آل ابي سفيان لِلقاء الله عز وجل والفوز بما اعده له في الآخرة، فقرر أن يكون هو القربان الى الله تعالى، مخلصاً صادقاً في بذل النفس والروح وما يستتبعها، وأن يمثل الصورة الحقيقية المنجزة على ارض الواقع، والعنوان الخالد للأحرار والثوار، في إحياء المبدأ والعقيدة على دروب الإنسانية.

إن هذا المعنى الرفيع والمبدأ السامي قد استَقرَتهُ العقيلة زينب عليها السلام واستوحته من تضحية سيد الشهداء وفكره في كربلاء، وهي العالمة غير المُعلمة والفهِمة غير المُفهمة كما وصفها الإمام زين العابدين عليه السلام [12]؛ ولهذا قامت في كربلاء بتقديم أخيها الحسين عليه السلام قرباناً الى الله تعالى، عندما رأته في العراء، مقطع الأوصال، مضمخ بدمه الطاهر، فقد روي أنه لما سير ابن سعد الرؤوس - رؤوس شهداء الطف- ، أقام مع الجيش إلى الزوال من اليوم الحادي عشر من المحرم الحرام، فجمع قتلاه وصلى عليهم ودفنهم، وترك سيد شباب أهل الجنة، وريحانة الرسول الأكرم، ومن معه من أهل بيته وصحبه بلا دفن، تسفي عليهم الصبا (الريح). وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفة ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب، وكن عشرين امرأة. وسيروهن على أقتاب الجمال بغير وطاء، كما يساق سبي الترك والروم، وهن ودائع خير الأنبياء، ومعهن الامام السجاد عليه السلام

وقد أنهكته العلة، ومعه ولده الباقر عليه السلام وله سنتان وأشهر.

فقلن النسوة: بالله عليكم إلا ما مررتم بنا على القتلى. ولما نظرن إليهم مقطعي الأوصال، قد طعمتهم سُمر الرماح، ونهلت من دمائهم بيض الصفاح، وطحنتهم الخيل بسنابكها، صحن وصاحت زينب: يا محمداه هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة. فأبكت كل عدو وصديق. ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت: إلهي تقبل منا هذا القربان!) [١٣].

وفي كتاب الطراز المُذْهَب: أنها - سلام الله عليها وعلى جدها وأبيها وأمها وإخوانها - لما وقفت على جسد أخيها الحسين عليه السلام قالت: اللّهُمَّ تقبل منا هذا القليل من القربان[١٤].

إن هذه الكلمات الجليلة من هذه الحرة الطاهرة، في تلك الوقفة العظيمة التي رأت بها أخاها العزيز بتلك الحالة المفجعة التي كان فيها، تكشف لنا قوة إيمانها، ورسوخ عقيدتها، وفنائها في جنب الله تعالى، وغير ذلك مما لا يخفى على المتأمل[١٥].

فالعقيلة زينب عليها السلام كانت من القانتات، العابدات، المصدِقات بما جاء في الكتاب العزيز وبما بلّغه جدها الرسول الكريم، وكانت تحاكي أُمّها الزهراء عليها السلام في عبادتها وتبتلها، وهي من النساء القلائل اللواتي وقفن أنفسهن وحركاتهن وسكناتهن وأنفاسهن لله عز وجل.

فإنها لم تترك عبادتها لهول ما جرى عليها من المصائب وكثرة المحن وما رأته من الفجائع العظيمة، وقد تحملت ما تحملت من المصائب الجليلة، وقد ثُكلت بأخيها حجة الله في الارض وباقي اخوتها كأنهم البدور، وبأولاد اخوتها وابناء عمومتها ووليها وأصحابهم من خُلَّص شيعة أبيها، رأتهم مُجَزَّرين كالأضاحي، ولكنها مع ما مرَّ عليها لم تفتر عن عبادتها قط، ففي مثير الأحزان:

قالت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام وأما عمتي زينب عليها السلام فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة - أي العاشرة من المحرم- في محرابها تستغيث إلى ربها، فما هدأت لنا عين، ولا سكنت لنا رنة(١٦).

بل ما تركت تهجدها لله تعالى طول دهرها حتى ليلة الحادي عشر من المحرم، مع ما لاقته من المحن والنوائب من هجوم شيعة آل ابي سفيان وجيشهم على خيامهم ورحلها، وما فعلوه من سلب ونهب، وإهانة وضرب، مع تكفلها حال النساء والأطفال ورعايتهم، مع ذل الأسر والسبي وغير ذلك من الرزايا والمحن التي يعجز عن بيانِها الإنسان ويكل عن وصفها اللسان. فقد روى عن الامام زين العابدين عليه السلام أنه قال: رأيتها تلك الليلة تصلى من جلوس. فسألتها: عمة لِمَ تُصَلِّينَ صلاتك عن جلوس. قالت: يا بن أخي، ان رجلاي لا تحملانني(١٧). ويظهر أن تلك الصلاة كانت صلاة فريضة، إذ لا خلاف في جواز الصلاة المستحبة جلوسا.

وروى أيضا عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال : إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام من قيام، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس فسألتها عن سبب ذلك فقالت: أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال؛ لأنّها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال؛ لأنّ القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفا واحدا من الخبز في اليوم والليلة(١٨).

كما نرى منها عمق فكرها الثاقب ونظرتها العميقة للحياة والمواقف، فنجد أن الايمان الصادق، والصبر الجميل، وثبات النفس، والتسليم التام لأمر الله تعالى والرضى بقضائه، راكز في نفسها وجنانها، ويدل على ذلك عِظم موقفها في كربلاء، فقد وقفت على تلك الأجساد الطاهرة بكل شجاعة وصلابة، رابطة الجأش، ثابتة العزم، راسخة الايمان والعقيدة، وقد احتسبتهم عند الله تعالى.

وما أن وقفت على جسد أخيها الحسين عليه السلام حجة الله في الارض، وقد رأته محزوز الرأس، مقطع الأشلاء، مسلوب الرداء، وشيعة آل أبي سفيان وجيش الأعداء يرمقونها بأبصارهم، فرفعت يديها إلى السماء صابرة مطمئنة، بإخلاص وخشوع وقالت: (اللّهُمَّ تقبل منا هذا القربان) فكسرت عين كل ناظر، وأخمدت شماتة الاعداء، وكان عزاؤُها بأخيها أن قدمته قُرباناً الى الله تعالى وطاعة له؛ لتنال أرفع درجات أهل الثواب على المصاب، ويتجلى كلامها حقيقة وواقعا بـ (سمو المعنى في سمو الذات).

فانظر وتأمل قولها (اللّهُمَّ تقبل منا هذا القربان) فالقربان – كما مرَّ عليك- أمر عبادي محض، وأنه من شعائر الله تعالى الحقيقية؛ لأن فيه بذل الغالي والنفيس عن طيب نفس ورضاً، وإن من اسمى القرابين التي فيها البَذل للدم الزاكي والروح؛ القرابين التي تبذل من أجلِ حفظ الدين، والمبادئ العليا، والقيم المثلى.

فيدل ذلك على نقاوة الاخلاص منها عليها السلام وروح العبودية لله تعالى، والتسليم له في كل موطن تبرز فيه، بأرقى صورها ومعانيها ومراتبها، فإن الإسلام يربط بين العقيدة والشعائر، فهو منبثق من العقيدة وقائم على الشعائر.

كذلك يدل هذا على وعي العقيلة زينب عليها السلام وعظم منزلتها وفضل علمها، بما قدمه الإمام الحسين عليه السلام وادراكها اليقيني لمبادئه السامية، في رسم معالم نهضته وأهدافه بوعي وتدبر، وكأنها تقول: إن ما قام به الحسين إنما هو رسالة إلهية متمخضة عن الإخلاص التام، والقربة المطلقة، والعبادة الخالصة؛ لرضى الله عز وجل والدين الحنيف.

وعلى هذا قَدَمت الحسين قُرباناً، قدمته قربان آل محمد لله عز وجل، وهل يوجد أفضل من الحسين، واعز منه، واغلى من وجوده على الارض، وهو حُجة الله، وابن بنت نبيه، وخامس أهل الكساء من العترة المطهرة، وسيد شباب اهل الجنة، أن يُقدِم نفسه قرباناً طاهراً زكياً الى الله تعالى.

فالعقيلة زينب كأنها أعلنت ذلك عن دراية وإخبار بما حُدثت به من أمها وابيها وأخويها، بأن الحسين هو قربان آل محمد، وبيدِكِ مَنْ يقرب هذا القربان الى المولى الجليل؛ لأنّك شريكته في المصاب والهدف، وهذه منزلة رفيعة، ودرجة عالية، ومقام عظيم للعقيلة زينب، بأن تقدم حجة الله في الارض قرباناً الى الله سبحانه وتعالى، حاكت برفعتها ومقامها منازل الانبياء والمرسلين، وبلغت درجات الأوصياء والاولياء عليهم السلام.

وكأن الفكر ينصرف الى أن القربان الإلهي الذي رُفِع عن جدّي الحسين: نبي الله اسماعيل عليه السلام، وعبد الله والد النبي محمد صلى الله عليه وآله؛ ادُخر للحسين عليه السلام؛ ليحظى بالشرف الخالص وهو ابن رسول الله وخاتم النبيين، وأن يرفع بيد شريكته في النهضة الحوراء زينب، ويقدم الى المولى الجليل، قرباناً خالصاً؛ لتنال بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب ؛ ومن ثَّم بعث الروح في رسالة جده المصطفى من جديد، بعد ما أراد الانقلابيون والطلقاء القضاء عليها، وموتها سريرياً، بتجفيف اغصانها، وتَيْبِيْسِ اوراقها، فرواها الحسين بدمه الزكي وأهل بيته وأصحابه، وحمل نفسه الأبية قرباناً لله تعالى، وإن أسلم لذلك جداه - اسماعيل وعبد الله- فجعل الله تعالى قربانهما فريضة ثابتة، احداهما في الحج، والأخرى مقداراً لدية الرجل المقتول.

ولكن أراد للحسين أن يكون قربان السماء وفدائها، ورمزاً لأحرار الإنسانية، وشعلة لثوارها، على اختلاف ألوانهم وتنوع أطيافهم وتغاير أديانهم، فكان قدوة للعالمين؛ بل نعاه الانبياء والمرسلون، واختلطت دِماؤهم بدموعهم لذكراه، فأكرمه المولى وشرفه بأن قال فيه على لسان أولياءه: أنه ثأر الله.

فقد أعطى الحسين كل ما في نفسه للمولى الجليل، ولسان حاله مخاطباً الله عز وجل: أنت الذي أريده، أنت وحدك، أنت يا رب، أنا مُصْغٍ إليك، مأخوذ أبدا بك في صمت، لست أعرف كيف أدرك أسرار إلهامك، إن موسيقاك لتضيء الدنيا

وتسري بأنفاسها في أرجاء السماء، بينما يجتاز فيضها المقدس السدود، ويجرف الأصفاد، إني واثق بك أيها الحق الكريم الذي أشعلت نور الحكمة في عقلي، سأبذل نفسي لألتمسك في جميع أعمالي، أيا قوي إن قوتك تهبني الصبر على العمل(١٩).

فالحسين هو قربان الله في الارض، وثأره من الظالمين، ونور للهداية والإباء لكافة البشر، وما يؤيد هذا أنه ورد ذكره وصفته في الكتب السماوية السابقة ، فهذا يوحنا يخبر عن المذبوح بكربلاء، إذ جاء في سِفره باللغة العِبرية:

(كي أتا نشحطتا وي بدمخا قانيتا لإيلوهيم من كل مشبحا وي لا شون وي كل عم وي گوي وي إيريه وا اشمع قول ملاخيم ربيم قورئيم عوشير وي حاخما وي گبورها وي هدار كاود وي براخا) .

ويعني هذا النصُّ بالعربية: إنك الذي ذبحت، وقدمت دمك الطاهر قرباناً للرب، ومن أجل إنقاذ الشعوب والأمم، وسينال هذا الذبيح المجد والعزة والكرامة وإلى الأبد؛ لأنه جسد البطولة والتضحية بأعلى مراتبها).

فالنص العبري يشير إلى الإمام الحسين عليه السلام من خلال ما جاء على لسان يوحنا بأنه المذبوح الذي ضحى بنفسه وأهل بيته من أجل الله، وأنه سينال المجد والعزة على مر العصور، حيث نجد الإشارة إلى أنه (ذبح، قتل) من خلال صيغة اسم الفاعل (نشحطتا) وهي مشتقة من الفعل (شاحط): (ذبح، قتل) ثم نجد في النص العبري تأكيداً آخر على أن المذبوح يشري دمه الطاهر قربة إلى الله وابتغاء مرضاته، من خلال عبارة: (بدمخا قانيتا) فالفعل (قانيتا) هو بالأصل: (قانا): (اشترى، باع) و(التاء) في (قانيتا) هي (تاء المخاطب). ثم الإشارة إلى نكتة مهمة وهي أن هذه التضحية وهذا القربان الذي قدمه الحسين عليه السلام لكل الشعوب والأمم على اختلاف لغاتهم وقومياتهم بقوله: (من كل مشبحا ولا شون وعم وگوي)، ثم يؤكد النص أنّ الله سيجعل - لسيد الشهداء - المجد والكرامة والعزة، بقوله:

(وي اشمع قول ملاخيم ربيم قورئيم عوشر وي حاخما وي گبورا وي هدار كاوود).

وهذا ما ينطبق على سيد الشهداء المذبوح بكربلاء، الذي انفرد بهذه الخصوصية التي ميزته عن بقية الشهداء على مر التأريخ[٢٠].

بل روي أن إبراهيم عليه السلام مرَّ على كربلاء فشم تربتها وصلى فيها، واشترى أرضها من أهلها، وسماها (كربلاء). وأن في قاموس اللغة الآشورية القديمة الذي وضعه علماء الآثار الغربيون، يذكر أن معنى (كربو- لو) هو: الرجل القربان، ومعنى (كربو- ئيل) قربان الله[٢١].

كما أن الحسين معروف عند الأنبياء والأوصياء السابقين بأنه القربان الإلهي المفجوع الذي تبكي العيون لذكره، وهو القائل عليه السلام: أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن الا استعبر[٢٢].

وأضحى الحسين عليه السلام منقذ البشرية والإنسانية من سباتها، وملهم الشعوب للتضحية والفداء في سبيل العقيدة والمبدأ، بعد أن روى رسالات السماء بدمه الطاهر، وعَبَّدَ طرق الأنبياء من جديد، وأنار دروبها من ظلمة الظالمين، فبكاه الأنبياء والأوصياء، وحزنوا عليه، ولعنوا قاتليه، تعبيراً تضامنياً، وتأييداً سماوياً؛ لأنهم في خط رسالي واحد، وتثبيتاً لظلامته، واستنكاراً لانتهاك حرمته، وهو حجة الله في الارض وابن خاتم الأنبياء والأوصياء، فهذا نبي الله آدم روي أنه لمّا هبط إلى الأرض لم يَرَ حوّاء فصار يطوف الأرض في طلبها فمرّ بكربلاء فاعتلّ [فاغتمّ] وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الّذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتّى سال الدّم من رجله ، فرفع رأسه إلى السّماء وقال: إلهي هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإنّي طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض؟ فأوحى الله إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً فسال دمك موافقة لدمه، فقال آدم: يا ربّ

أيكون الحسين نبيّاً؟ قال: لا، ولكنّه سبط النّبيّ محمّد، فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السّموات والأرض! فقال آدم: فأيّ شيء أصنع يا جبرئيل؟ فقال: العنه يا آدم، فلعنه أربع مرّات، ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّاء هناك(٢٣).

وروى صاحب (الدرّ الثّمين) في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾ أنّه رأى ساق العرش وأسماء النّبيّ والأئمّة عليهم السلام فلقّنه جبرئيل قل: يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلمّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول : وا عطشاه وا قلّة ناصراه، حتّى يحول العطش بينه وبين السّماء كالدّخان، فلم يجبه أحد إلاّ بالسّيوف، وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه، وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النّسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنّان؛ فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثّكلى(٢٤).

وروى أنّ نوحاً لمّا ركب في السّفينة طافت به جميع الدّنيا، فلمّا مرّت بكربلاء أخذته الأرض، وخاف نوح الغرق فدعا ربّه وقال: إلهي طفت جميع الدّنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض؟ فنزل جبرئيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمّد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء. فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات، وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرّات، فسارت السّفينة حتّى بلغت الجوديّ واستقرّت عليه(٢٥).

روي أنّ إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثرت به، وسقط إبراهيم وشجّ رأسه، وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي أيّ شيء

حدث منّي؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه. قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السّموات والأرضين، والقلم جرى على اللّوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنّك استحققت الثناء بهذا اللّعن، فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً، وأمّن فرسه- أي قال آمين- بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: أيّ شيء عرفت حتّى تؤمّن على دعائي؟ فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك عليّ، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى(٢٦).

وروى الصّدوق عن الفضل بن شاذان، قال: سمعت الرّضا عليه السلام يقول: لمّا أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الّذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الّذي يذبح أعزّ ولده بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثّواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم من أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم أفهو أحبّ إليك أو نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحبّ إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أعدائه أوجع لقلبك، أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي، قال يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظلماً وعدواناً، كما يذبح الكبش فيستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجّع قلبه وأقبل يبكي فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثّواب على المصائب، فذلك قول الله عزّ وجلّ (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيم) ولا حول ولا

قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم[٢٧].

وروى أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجليه وسال دمه، فقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟ فأوحى الله إليه: إنّ هنا يقتل الحسين، وهنا يسفك دمك موافقة لدمه، فقال: ربّ ومن يكون الحسين؟ فقيل له: هو سبط محمّد المصطفى وابن عليّ المرتضى، فقال: ومن يكون قاتله؟ فقيل: هو لعين السّمك في البحار، والوحوش في القفار، والطّير في الهواء، فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعى عليه، وأمّن يوشع بن نون على دعاءه ومضى لشأنه[٢٨] .

كما أن عيسى عليه السلام لعن قاتلي الحسين وأمر بني إسرائيل بلعنهم، وقال: من أدرك أيامه فليقاتل معه، فإنه كالشهيد مع الأنبياء، مقبلاً غير مدبر، وكأني أنظر إلى بقعته، وما من نبي إلا وزارها، وقال: إنك لبقعة كثيرة الخير، فيك يدفن القمر الزاهر[٢٩].

وروى الشيخ الصدوق في (إكمال الدين): أن عيسى عليه السلام مرَّ بأرض كربلاء، وتوقف فوق مطارح الطف، ولعن قاتلي الحسين ومهدري دمه الطاهر فوق هذه الثرى[٣٠].

كما أشير الى معركة الطف في سِفر أرميا حيث جاء فيه: (في ذلك اليوم يسقط القتلى في المعركة قرب نهر الفرات، وتشبع الحرب والسيوف، وترتوي من الدماء التي تسيل في ساحة المعركة، بسبب مذبحة رب الجنود في أرض تقع شمال نهر الفرات)[٣١].

إن هذه الوقائع والاحداث والإخبارات التي منبعها السماء تحاكي ما بشـر به رسول الله محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، وأبوهُ أمير المؤمنين علي عليه السلام خاتم الأوصياء، في حق الحسين، فقد روي عن أبي الطفيل قال: استأذن ملك القطر أن يسلم على النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة، فقال: لا يدخل علينا أحد، فجاء الحسين بن علي رضي

الله عنهما فدخل، فقالت أم سلمة هو الحسين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعيه فجعل يعلو رقبة النبي ﷺ ويعبث به، والملك ينظر، فقال الملك: أتحبه يا محمد؟ قال: اي والله إني لأحبه، قال: أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان! فقام بيده فتناول كفاً من تراب، فأخذت أم سلمة التراب فصرته في خمارها، فكانوا يرون أن ذلك التراب من كربلاء (٣٢).

وعن معاذ بن جبل قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متغير اللون فقال: أنا محمد، أوتيت فواتح الكلام وخواتمه، فأطيعوني ما دمت بين أظهركم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله وحرموا حرامه، أتتكم الموتة، أتتكم بالروح والراحة، كتاب من الله سبق أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلما ذهب رسل جاء رسل، تناسخت النبوة فصارت ملكاً، رحم الله من اخذها بحقها، وخرج منها كما دخلها، أمسك يا معاذ واحص، قال: فلما بلغت خمساً قال: يزيد لا بارك الله في يزيد، ثم ذرفت عيناه ﷺ، ثم قال: نعى إليّ حسين، وأتيت بتربته، وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتلوه بين ظهراني قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعاً. قال: واها لفراخ آل محمد من خليفة يستخلف مترف، يقتل خلفي وخلف الخلف، أمسك يا معاذ، فلما بلغت عشرة قال: الوليد اسم فرعون هادم شرائع الاسلام بين يديه، رجل من أهل بيته يسل الله بسيفه فلا غماد له، واختلف فكانوا هكذا، فشبك بين أصابعه، ثم قال: بعد العشرين ومائة يكون موت سريع، وقيل: ذريع، ففيه هلاكهم، ويلي عليهم رجل من ولد العباس(٣٣).

وعن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي رسول الله ﷺ في بيتي، فنزل جبريل فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، وأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله ﷺ وضمه إلى صدره، ثم قال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله ﷺ وقال: ويح وكرب وبلاء،

قالت: وقال رسول الله ﷺ يا أم سلمة: إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل! قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم(٣٤).

وعن شيان بن محرم وكان عثمانياً، قال: إني لمَعَ علي رضي الله عنه إذ أتى كربلاء فقال: يقتل بهذا الموضع شهيد ليس مثله شهداء إلا شهداء بدر، فقلت: بعض كذباته؟! وَثَمّ – أي هناك- رِجل حمار ميت، فقلت لغلامي: خذ رِجل هذا الحمار فأوتدها في مقعده وغيبها، فضـرب الدهر ضربة، فلما قتل الحسين بن علي انطلقت ومعي أصحابي، فإذا جثة الحسين بن علي على رجل ذلك الحمار، وإذا أصحابه ربضة حوله(٣٥).

وروى ابن عساكر عن مدرك الجعفي عن عبد الله بن نجي عن أبيه أنه سافر مع علي بن أبي طالب وكان صاحب مطهرته، فلما حاذوا (نِيْنَوى) (٣٦) وهو منطلق إلى صفين، نادى علي صبرا أبا عبد الله، صبرا أبا عبد الله بشط الفرات! قلت: ومن ذا أبو عبد الله، قال: دخلت على رسول الله ﷺ وعيناه تفيضان، فقلت: يا نبي الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟، قال: بل قام من عندي جبريل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، وقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ فقال: قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة فأعطانيها، فلم يسعني أملك عيني أن فاضتا(٣٧).

وعن عائشة قالت دخل الحسين بن علي رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه، فنزا على رسول الله ﷺ وهو منكب وهو على ظهره فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتحبه يا محمد؟ قال: يا جبريل ومالي لا أحب ابني. قال: فإن أمتك ستقتله من بعدك! فمد جبريل عليه السلام يده، فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك هذا، واسمها الطف، فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله ﷺ خرج رسول الله ﷺ والتزمه في يده يبكي! فقال: يا عائشة إن

جبريل أخبرني أن ابني حسين مقتول في أرض الطف، وان أمتي ستفتن بعدي، ثم خرج إلى أصحابه فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر رضي الله عنهم وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل عليه السلام ان ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة، وأخبرني: أن فيها مضجعه(٣٨).

وبكاه أمير المؤمنين عليه السلام أيضا، فقد روى الصدوق بسنده عن ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل نينوى وهي شط الفرات، قال بأعلى صوته: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع؟ قلت: لا أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي، قال: فبكى كثيراً حتى اخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معه وهو يقول: آه آه، ما لي ولآل أبي سفيان، صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم(٣٩).

وغير ذلك كثير من الروايات المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام التي تخبر بما سيحدث على أرض كربلاء وما يجري على أبي عبد الله الحسين ومظلوميته، وأشارت إلى محل شهادته، والحسين ما زال طفلاً صغيراً.

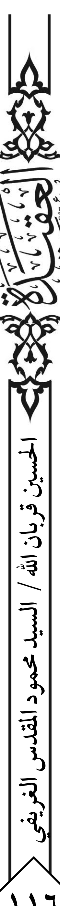
فالحسين هو القربان الذي يفتخر الله به جل شأنه، ويباهي بدمه الأنبياء والأوصياء، وأنه القربان المتقبل، الخالص النقي، وقد بشـر به الباري تبارك وتعالى، وجعله كالسنة الكونية، التي لابد من أن يعيش ذكراها الأنبياء والأوصياء في أفكارِهم، وأن يؤمنوا بها ويسلموا لصاحبها، وأن تخشع قلوبهم لهولها على مدار سير البشرية من نبي الله آدم عليه السلام حتى خاتمهم رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام.

على أنني لا أفهم مدى عِظم هذه الفاجعة عند المولى جل شأنه وقبولها، وربما قد مرّ مثلها أو ما يقاربها في الأمم السالفة؛ ألِعظم هولها، ام النية والبذل لله تعالى كان أقرب وأخلص، أم الواقعة جرت على مَنْ هو أعز وأشرف- وهذا

لا خلاف فيه- ، والله العالم.

ومن هنا قال الامام الحسن لأخيه الحسين ـ وهو الإمام المعصوم الذي لايقول شططاً، ولا ينطق عبثاً، ولا يتكلم لغواً؛ بل كلامه عين الواقع والحقيقة ـ حيث قال له: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله[٤٠]. فإن كلمته هذه تفيد الاطلاق والعموم؛ بأن يوم الحسين أعظم أيام البشـرية وأسماها؛ تقرباً واخلاصاً، تسليماً واطمئناناً، شخصاً وشرفاً، وفاجعة ومصاباً.

إنه يوم تتباهى به السماء، لرجل اعطى كل ما يملك في الوجود لله عز وجل ولمبادئه الحنيفة، ولم يهن، أو يتوقف، أو يتراجع قيد انملة. إنه حقاً ابن السماء! وهب نفسه لها خالصة فأعطته كل شيء، فأضحى كعبة الاحرار، وملهم الثوار، وقربان الله في أرضه، الذي أصبح مرقده الطاهر مختلف الملائكة والأنبياء والناس أجمعين.



* هوامش البحث *

(١) انظر العين – الخليل الفراهيدي – ج ٥ – ص ١٥٣، لسان العرب – ابن منظور – ج ١ – ص ٦٦٤ – ٦٦٥، تاج العروس – الزبيدي – ج ٢ – ص ٣٠٩، المصطلحات – إعداد مركز المعجم الفقهي – ص ٢٠٣٢، معجم ألفاظ الفقه الجعفري – الدكتور أحمد فتح الله – ص ٣٣٢، معجم لغة الفقهاء – محمد قلعجي – ص ٣٦٠، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية – محمود عبد الرحمن عبد المنعم – ج ٣ – ص ٧٩ – ٨٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر – مجد الدين ابن الأثير – ج ٤ – ص ٣٢، لسان العرب – ابن منظور – ج ١ – ص ٦٦٤ – ٦٦٥.

(٣) سورة الحج/ ٣٢.

(٤)سورة المائدة/ ٢٧.

(٥) سورة الحج / ٣٤.

(٦) سورة الصافات/ ١٠٠-١١١.

(٧)الخصال- الشيخ الصدوق ص ٥٦.
(٨)الخصال- الشيخ الصدوق ص ٥٧ .
(٩) رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء - إخوان الصفاء - ج ٤ - ص ٢٧٠ – ٢٧١.
(١٠) جامع السعادات - ملا محمد مهدي النراقي - ج ٣ - ص ٩٤.
(١١) انظر المجالس الفاخرة – السيد شرف الدين ص٩٦.
(١٢) الاحتجاج – الشيخ الطبرسي ج٢ ص٣١.
(١٣) انظر كتاب الأخلاق الحسينية - جعفر البياتي - ص٢٩٢ –٢٩٣ عن كتاب الكبريت الاحمر في شرائط أهل المنبر للقائني البيرجندي.
(١٤) انظر كتاب وفيات الائمة – من علماء البحرين والقطيف ص٤٥٠ عن كتاب الطراز المُذهب في أحوال أم المصائب زينب لميرزا عباس قليخان المستوفي.
(١٥) وفيات الائمة - من علماء البحرين والقطيف ص ٤٥٠.
(١٦) انظر كتاب وفيات الائمة - من علماء البحرين والقطيف ص٤٤٠- ٤٤١ عن مثير الأحزان- للشيخ شريف الجواهري.
(١٧) الصديقة زينب شقيقة الحسين- السيد محمد تقي المدرسي ص٣٩.
(١٨) وفيات الائمة - من علماء البحرين والقطيف ص٤٤١.
(١٩) الثقافة الروحية في إنجيل برنابا - محمود علي قراعة ص ٤٠٨.
(٢٠) أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدس - كاظم النصيري الواسطي ص١١٣-١١٦.
(٢١) الانتصار - العاملي ج ٩ - ص ٣٣٠.
(٢٢) كامل الزيارات- ابن قولويه ص ٢١٥.
(٢٣) بحار الانوار – العلامة المجلسي ج٤٤ ص٢٤٢ .
(٢٤) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ج ٤٤ ص ٢٤٥ .
(٢٥) بحار الانوار – العلامة المجلسي ج ٤٤ص ٢٤٣ .
(٢٦) بحار الانوار – العلامة المجلسي ج٤٤ ص ٢٤٣ .
(٢٧) عيون أخبار الرّضا عليه السلام – الشيخ الصدوق ج ١ ص ١٨٧.
(٢٨) بحار الانوار – العلامة المجلسي ج ٤٤ ص ٢٤٤ .
(٢٩)كامل الزيارات- ابن قولويه ص ٦٧.
(٣٠)) إكمال الدين – الشيخ الصدوق ص ٢٩٥ .
(٣١) أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدس - كاظم النصيري الواسطي- ص ١١٣ – ١١٦.



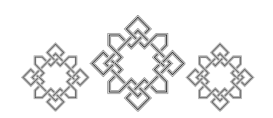
(٣٢) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٩ – ص ١٩٠ ورواه الطبراني .
(٣٣) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٩ – ص ١٨٩ – ١٩٠ ورواه الطبراني .
(٣٤) مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٩ – ص ١٨٩ .
(٣٥)مجمع الزوائد – الهيثمي – ج ٩ – ص ١٩٠ – ١٩١ رواه الطبراني.
(٣٦) نِيْنَوى من القرى المحيطة بكربلاء.
(٣٧) تاريخ مدينة دمشق- ابن عساكر ج ١٤ ص١٨٧–١٨٨، تاريخ الاسلام- الذهبي ج ٥ ص١٠٢.
(٣٨)مجمع الزوائد – الهيثمي ج ٩ ص١٨٨ورواه الطبراني.
(٣٩) الامالي- الشيخ الصدوق ص٦٩٤، الفتوح – ابن اعثم الكوفي ج ٢ص٥٥٢.
(٤٠) الامالي- الشيخ الصدوق ص٦٩٤، الفتوح – ابن اعثم الكوفي ج ٢ص٥٥٢.

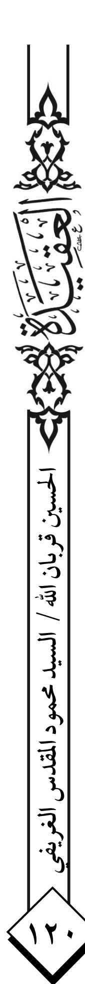
* المصادر والمراجع *

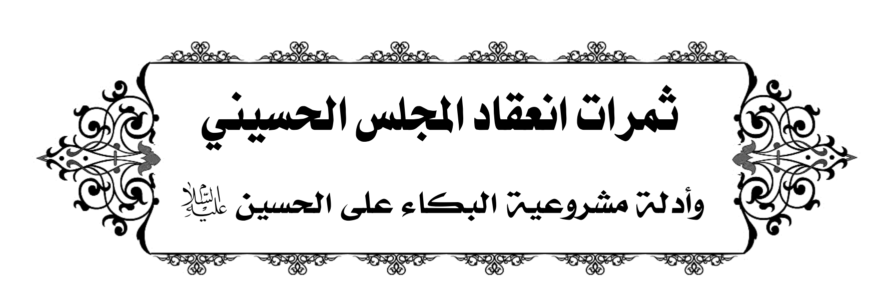
- **القرآن الكريم- كلام رب العالمين.**
- الاحتجاج – الشيخ الطبرسي، تعليق وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان/ ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، نشر دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف.
- الأخلاق الحسينية - جعفر البياتي، الطبعة الأولى/ ١٤١٨، المطبعة مهر، نشر أنوار الهدى.
- إكمال الدين وتمام النعمة – الشيخ الصدوق تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري/ محرم الحرام ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- الامالي- الشيخ الصدوق ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى/ ١٤١٧هـ، نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.
- الانتصار – العاملي، الطبعة الأولى/ ١٤٢٢، نشر دار السيرة - بيروت – لبنان.
- أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدس - كاظم النصيري الواسطي، الطبعة الأولى/ ١٩٩٧م، المطبعة صدر.
- بحار الانوار – العلامة المجلسي، تحقيق محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثانية المصححة/ ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م نشر مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان.
- تاج العروس - الزبيدي / ١٤١٤ - ١٩٩٤م،طباعة ونشر دار الفكر – بيروت.

- تاريخ الاسلام- الذهبي، تحقيق د. عمر عبدالسلام تدمرى، الطبعة الأولى/ ١٤٠٧ - ١٩٨٧م ، طباعة ونشر - دار الكتاب العربي- لبنان/ بيروت.
- تاريخ مدينة دمشق- ابن عساكر- تحقيق علي شيري/ ١٤١٥هـ، طباعة نشـر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.
- الثقافة الروحية في إنجيل برنابا - محمود علي قراعة، نشر دار مصر للطباعة.
- جامع السعادات - ملا محمد مهدي النراقي، تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، طباعة ونشر دار النعمان - النجف الأشرف.
- الخصال- الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري/ ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- الذريعة الى تصانيف الشيعة – الشيخ الطهراني ،الطبعة الثالثة/ ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م نشر دار الأضواء - بيروت – لبنان.
- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء - إخوان الصفاء/ ١٣٧٦ - ١٩٧٥ م، نشـر دار صادر للطباعة والنشر .
- الصديقة زينب شقيقة الحسين- السيد محمد تقي المدرسي ، الطبعة الاولى/ ١٤١٦، منشورات البقيع.
- العين - الخليل الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية/ ١٤٠٩، نشر مؤسسة دار الهجرة - ايران – قم.
- عيون أخبار الرّضا عليه السلام – الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق وتقديم الشيخ حسين الأعلمي/ ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م، طباعة ونشـر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان.
- الفتوح – ابن اعثم الكوفي، تحقيق علي شيري ، الطبعة الأولى/ ١٤١١، طباعة ونشر دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.
- كامل الزيارات- ابن قولويه، تحقيق الشيخ جواد القيومي ولجنة التحقيق، الطبعة الأولى/ عيد الغدير ١٤١٧، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، نشر مؤسسة نشر الفقاهة.
- لسان العرب - ابن منظور / محرم ١٤٠٥هـ، نشر أدب الحوزة.
- المجالس الفاخرة – السيد عبد الحسين شرف الدين، مراجعة وتحقيق محمود بدري، الطبعة الأولى/ ١٤٢١هـ،المطبعة عترت ، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية – قم.
- مجمع الزوائد – الهيثمي/ ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان.

- المصطلحات - إعداد مركز المعجم الفقهي.
- معجم ألفاظ الفقه الجعفري - الدكتور أحمد فتح الله، الطبعة الأولى/ ١٤١٥ - ١٩٩٥م، مطابع المدوخل - الدمام.
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية - محمود عبد الرحمن عبد المنعم، نشر دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
- معجم لغة الفقهاء - محمد قلعجي، الطبعة الثانية/ ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م نشر دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي، الطبعة الرابعة/ ١٣٦٤ ش، نشر مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم – ايران.
- وفيات الائمة - من علماء البحرين والقطيف- الطبعة الأولى/ ١٤١٢ - ١٩٩١ م، نشر دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.







ثمرات انعقاد المجلس الحسيني

وأدلة مشروعية البكاء على الحسين عليه السلام

الخطيب أ.م.د رزاق حسين العرباوي الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين

ونحن نعيش هذه الايام أيام محرم الحرام، أيام عاشوراء، ذكرى ثورة الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام، ابن الزهراء عليها السلام ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا»[1]. وهو رَوْحٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله «حسين مني وأنا من حسين أحبَ اللهُ من أحبَ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[2].

فنعيش أيام هذه الثورة المباركة التي قامت ضد نظام بني أمية المتمثل آنذاك بنظام الطاغية يزيد، شارب الخمور، اللاعب بالقرود والفهود، المعلن بالفسق والفجور، كما يروي المؤرخون . كابن حجر وغيره [3].. ويكفي يزيد (لع) خزياً وعاراً ما قاله ابنه (معاوية الثاني) عندما مات والده يزيد واصفاً إياه بقوله: «... ومن اعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبؤس منقلبه وقد قتل عترة الرسول، وأباح الخمر، وضربَ الكعبة»[4]. فنعيش أيام هذه الثورة التي قامت في مطلع العام ٦١ للهجرة النبوية الشريفة، بعد ان رفض الحسين عليه السلام بيعة يزيد الاجرام بالمدينة

المنورة مدينة جده ﷺ، وخرج الى مكة المكرمة لائذاً بها من جور بني أمية، حتى اذا وصل الى مكة المكرمة كاتبه اهل العراق وبالخصوص اهل الكوفة بقضهم وقضيضهم، طالبين منه المجيء اليهم ومعلنين رفضهم التام ليزيد ونظامه الجائر، وهم على اتم الاستعداد للانضواء تحت زعامة الحسين عليه السلام وقيادته الحكيمة؛ ليُعيد بهم الى الاسلام الاصيل اسلام الحكومة الربانية، الحكومة المحمدية الاصيلة حكومة جده المصطفى ﷺ.

وكان الجهاز المخابراتي والاستخباراتي يتابع حركة الحسين عليه السلام عن كثب وإمعان خطوة بخطوة وساعة بساعة . اين وصل، ومتى وصل، ومن التقى به، ومن زاره ومن سلمَ عليه ومن كتب له.

وأخيراً قرر نظام الفجور ان يغتال الحسين عليه السلام بأي حال كان ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، وعلم الحسين عليه السلام بذلك فخاف من هتك حرمة الكعبة المقدسة، فقرر ان يخرج من مكة يوم الثامن(٨) من ذي الحجة يوم التروية عام ٦٠ للهجرة النبوية الشريفة، قاصداً الكوفة من العراق . وعلم والي يزيد عبيد الله بن زياد، وهو المجرم الثاني في هذا النظام المتهتك فجهز جيشاً بقيادة (الحر بن يزيد)؛ ليصد الحسين عليه السلام عن الوصول الى الكوفة، حتى أُنزل الحسين عليه السلام بأرض فلات، أرض عارية، أرض كربلاء . ويأخذ ابن زياد بأمر يزيد اللعين بتجهيز جيش جرار؛ لمحاصرة الحسين عليه السلام وقتله هو ومن التحق به، وقتل كل من اراد الالتحاق به قبل وصوله الى الحسين عليه السلام وإرعاب وإخافة الذين يميلون الى الحسين عليه السلام، وجاءت الجيوش تترا الى كربلاء بعد ان وصلها الحسين عليه السلام يوم الثاني من محرم الحرام بداية السنة الهجرية الجديدة من العام ٦١هـ.ق.

وتكاملت عدة تلك الجيوش يوم السابع من محرم الحرام التي بلغ عددها قرابة الثلاثين الفاً كما قال الامام السجاد علي بن الحسين عليه السلام: (ازدلف اليه ثلاثون الف رجل يزعمون انهم من هذه الأمة...)(٥). وحاصروا الحسين عليه السلام

ومنعوه وعياله وأطفاله وأهل بيته وأصحابه من الماء وأصابهم الظمأ من يوم السابع من محرم حتى ليلة الحادي عشر من محرم[٦].. وقتلوهم تلك القتلة الشنيعة حتى الطفل الرضيع ورضوا الاجساد واحرقوا الخيام وقطعوا الرؤوس ورفعوها على اطراف الرماح وسبوا النساء والاطفال بعد ان قيدوهم بالحبال والاغلال، يطوفون بهم البلدان حتى اخذوهم الى عاصمة النظام الاموي دمشق الشام بتلك الحال المأساوية التي ابكت كل عين وكسرت كل قلب .

ونحن اذ نعيش هذه الذكرى الأليمة الحزينة، وهذه الحال المأساوية الفظيعة وهذا الانحطاط الشديد في نفوس المسلمين، اذ بَعْدُ لم تبلَ ملابس رسول الله صلى الله عليه وآله، ومـا زال صوت النبي صلى الله عليه وآله يُدَوي في أسمـاعهم (اني تـارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي) [٧]، وقوله صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين أحبَ اللهُ من أحبَ حسيناً، حسين سبط من الأسباط» [٨].

أليست هذه نكبة تصيب المسلمين إذ يُقتل ابن بنت نبيهم ويُفعل به هذا الفعل الشنيع الذي تأباه كل المبادئ الانسانية فضلاً عن المبادئ الاسلامية، ولم ينكر منهم احد، الا افراد على عدد اصابع اليد، فأي انحطاط وصلت اليه النفوس، وأي موت أمات تلك القلوب، وأي ذلٍ وخنوع عاشته تلك الجموع !؟

فنحن نرفض هذا الخنوع والذل وهذا الانحطاط السحيق أولاً، ونعلن عن ولائنا لرسول الله صلى الله عليه وآله ولآله وخصوصاً لولده الحسين عليه السلام ولموقفه الأبي موقف العز والإباء موقف السمو والشموخ ثانياً . وانه ليتم اعلان ولائنا ونصرتنا للحسين عليه السلام ورفضنا لانحطاط تلك النفوس وخنوعها وذلتها ولمن يمشي على ركبهم على مر الأزمان والدهور، رفضنا التام لذاك النظام الاموي المستهتر بكل مبدأ أقرته الأديان والإنسانية . ومن يسير على نهجه، وذلك عبر عدة موارد من أهمها هو ما يأتي:

عقد المجالس على الحسين عليه السلام وذكر ما جرى عليه وما اصابه ونبكي ونتباكى على ذلك، وعقد هكذا مجالس تترتب علها ثمرات متعدّدة :

ثمرات عقد المجالس على الحسين عليه السلام والبكاء عليه:

ان عقد المجالس على الحسين عليه السلام او البكاء عليه تترتب عليها ثمرات متعددة من أهمها:

- اعلاناً مِنا عن الولاء والمحبة والنصرة للحسين عليه السلام ابن بنت نبينا صلى الله عليه وآله، وهو اعلان عن نصرة الاسلام ونصرة نبي الاسلام وهو جد الحسين عليهما السلام.
- اعلاناً منا على السير على دينه ودين ابيه وجده المصطفى صلى الله عليه وآله مهما كلفنا من ثمن ، والسير على هذا هو سير على مبادئ الاسلام الحق .
- بيان ما جرى عليه عليه السلام وعلى اهل بيته وصحبه وعياله وأطفاله من انتهاكات وجرائم مأساوية تتنافى مع كل المبادئ الانسانية والدينية وإدانتها بأشد إدانة وإيصالها الى كل الأجيال جيلا بعد جيل .
- رفض الخنوع والذل والخضوع للظلم والاضطهاد مهما عظمت قوته واشتد ساعده.
- التمسك بمبادئ الدين والتضحية من اجله بالغالي والنفيس.
- التبري من النظام الاموي وممن يسير على دربه ونهجه؛ لأنّه نظام جاهلي بلباس الاسلام.
- اظهار دجل الامويين وانحرافهم ونفاقهم وكيفية وحشيتهم وعدائهم لرسول الله صلى الله عليه وآله قبل فتح مكة وبعد استسلامهم بعد فتح مكة.
- كشف مؤامرات الأمويين ضد الاسلام والمسلمين .
- محاربة الظلم والظالمين وكل الأنظمة الطاغوتية والدكتاتوية مهما عظمت

شوكتها واستحكمت هيمنتها وسطوتها تأسيا واقتداء بالحسين عليه السلام؛ لأنّه ثار ضد الحكم الاموي وكان الحكم الأموي دولة امبراطورية كبيرة يمتد سلطانها عبر قارتين (آسيا وأفريقيا) ولها هيمنة مستحكمة وسطوة غاشمة تسحق كل من يعارضها بكلمة، وعقد المجالس على الحسين عليه السلام تجعله حيا في القلوب ومبادئه التي ثار من أجلها وشعاراته التي هتف بها يوم عاشوراء كشعاره التي هتف به مثلا يوم عاشوراء «وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتثن، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة...» كل هذا يكون مشعلا وهاجا في قلوب وضمائر أهل الإيمان بل في قلب كل إنسان يريد أن يتنفس عبير الحرية كما هتف به الحسين عليه السلام كونوا أحرارا في دنياكم .

أدلة مشروعية البكاء على الحسين عليه السلام :

لو قال لنا قائل كما قالوا : ان الاسلام لا يُجوّز البكاء على الميت، وان البكاء على الميت يؤذيه فإن بكاءكم على الحسين يؤذيه ويُبعدكم عن رضا الله تعالى. فما هو جوابنا على هذه الشبهة او على هذا الاشكال ؟

والجواب على ذلك هو الآتي :

اولاً : نقول من قال لكم ان الاسلام لا يُجوز البكاء على الميت، فإنّه لا دليل على ذلك .

ثانياً : لدينا أدلة كثيرة على اباحة البكاء وجوازه؛ بل على رجحانه واستحبابه لا على اباحته وجوازه فقط .

ودليلنا على نحويين: دليل قرآني ودليل سنّتي.

وقبل ان ابدأ بعرض الادلة احب ان انبه ان البكاء حال غريزية في الانسان متأصلة، وليست حالٌ عارضة وهي تعبير عن صفة الرحمة؛ ولهذا نقرأ عند علماء

النفس والأخلاق انهم لم يجدوا بين الصفات الانسانية كلها صفة افضل واشرف من الرحمة ورقة القلب على الاخرين .

ولذا نجد القرآن الكريم يبين منة الله سبحانه ولطفه ونعمته على الذين اتبعوا عيسى عليه السلام ان جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة، فهذا قرآننا الكريم ينطق عن الحكيم جل وعلا: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً...**﴾[٩]؛ ولذا استدعى هذا الامر بعض الفلاسفة ان يعدلوا عن تعريف الانسان بالحيوان الناطق الى أنه (حيوان ذو عطف) وعليه فلا إنسانية مطلقاً بدون العطف على مصائب الاخرين وبدون الرحمة والرقة على آهات وأنات المظلومين . إذاً البكاء على المظلومين والشهداء وعلى رأسهم الحسين عليه السلام امر طبيعي وعقلائي وظاهرة فطرية في مقابل قسوة القلب والغلظة وموت الضمير . وهي اخطر الامراض النفسية المعبر عنها بموت القلب وقسوته . وهذا ما ينطق به القرآن الكريم كذلك، إذ هو يصف الانبياء و ذراريهم وأتباعهم اصحاب القلوب الحية المتنورة بالإيمان والتقوى بأنهم اذا سمعوا آيات القرآن الكريم يخرون ساجدين باكين، يقول سبحانه: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾[١٠].

فالبكاء إذاً حال طبيعية غريزية في الانسان تعبر عن صفة الرحمة والرقة وعن حياة القلب دون قسوته وغلظته؛ ولذا نجد القرآن الكريم ينكل باليهود ويعبر عن تنكيله وذمه لهم بأنهم قساة القلوب يقول سبحانه: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾[١١].

ولنعد الى بيان ادلة اباحة وجواز البكاء؛ بل على رجحانه ومحبوبيته قرآناً وسنةً:

أولاً : الدليل القرآني على جواز البكاء على الحسين عليه السلام :

١- ما نص عليه القرآن الكريم من بكاء يعقوب لفراق ولده يوسف وهو حي في دار الدنيا حتى ذهب بصره وحتى قيل له ﴿**تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾ [١٢]. و(تفتؤ) أي لا تزال ومعناه انك دائماً تلهج بذكر يوسف عليه السلام [١٣]. ﴿**حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا**﴾ و الحرض المرض والهزال والاشراف على الهلاك أي حتى تصير مريضاً مهزولاً مشرفاً على الهلاك، او المدنف الهالك من شدة الوجع[١٤]، أو يُذيبك الهم [١٥].

واما الآية التي سبقت هذه الآية أي آية ٨٤ من (سورة يوسف) تبين عمق الالم وشدته حتى فقد يعقوب عليه السلام من شدة بكائه على يوسف بصره . يقول سبحانه: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[١٦]. وابيضت عيناه : أي انقلب سواد عينيه بياضاً من كثرة البكاء[١٧]، أو انمحق سوادهما وبدل بياضاً من بكائه[١٨].

ولذا روى الطبري في تفسيره عدة روايات مسندة فيها : ان يوسف عليه السلام سأل جبرئيل ما بلغ من حزن ابيه يعقوب ؟ قال : حزن سبعين مثكلة او ثكلى، والثكلى هي التي لديها ولد واحد ثم مات[١٩].

وروى الطبري في تفسيره ايضاً بسنده عن الحسن ـ وهو الحسن البصري ـ قال: كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب الى يوم رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه، حتى ذهب بصره [٢٠].. وانّ ملك الموت دخل على يعقوب عليه السلام فقال له: أجئت لتقبضني قبل ان أرى حبيبي؟ فقال: لا، ولكن جئتُ لأحزن لحزنك وأشجوا لشجوك[٢١].

وجاء في الكشاف و تفسير النيشابوري قيل : ما جَفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب[٢١].

وفي تفسير النيشابوري نقل ان جبرئيل عليه السلام دخل على يوسف حينما كان في السجن فقال : ان بصر أبيك ذهب من الحزن عليك . فوضع يوسف يده على رأسه فقال : ليت امي لم تلدني، فلم اكن حزناً على ابي [٢٢].

فهذا يعقوب المتبع لملة جده ابراهيم عليه السلام قد بكى على فراق يوسف السنين المتطاولة حتى ابيضت عيناه، وابنه حي في دار الدنيا وقد أُعطي ملك مصر .

٢- بكاء يوسف عليه السلام على ابيه يعقوب على ما لقي من وجد على فراقه وتمنيه ان لم يولد ـ كما سمعت آنفاً في رواية الطبري ـ انه بكى لما كان في السجن ولم يلق اباه بعد . ورواية النيشابوري انه وضع يده على رأسِهِ فقال ليت امي لم تلدني فلم اكن حُزناً على ابي .

٣- حزن ملك الموت لحزن يعقوب، وشجواه لشجوه، كما مر آنفاً في رواية الرازي فملك الموت حزن ليعقوب لما بكى على ولده وهو حي في دار الدنيا .

وياهل ترى البكاء على الحي اولى من البكاء على الميت أو البكاء على الميت أولى! وأيُ ميت! هو وأي قتيل هو! وأي شهيد هو؟! هو الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب اهل الجنة كما قال الرسول صلى الله عليه وآله : (الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة)[٢٣] . فانه لا يدل على جواز البكاء وحسب؛ بل يدل على رجحانه ومحبوبيته؛ وذلك لأننا نقتدي بالرسل والأنبياء، كذلك نستدل به على استمراريته أي استمرار البكاء على الحسين عليه السلام ؛ ذلك لأنّه مازال يعقوب عليه السلام بكى على ابنه ثمانين عاماً فاذا صح في الثمانين صح في المائة واذا صح في المائة صح في المائتين وهكذا في الالف وفي الالفين.

ولهذا استدل الامام زين العابدين عليه السلام على بكائه على ابيه الحسين عليه السلام كل تلك الفترة التي عاشها بعد ابيه الحسين عليه السلام ببكاء يعقوب عليه السلام على ولده يوسف عليه السلام وهو حي، فقد روى الرواة انه سأله احد اصحابه مشفقاً على الامام زين العابدين عليه السلام مما رآه من شدة وجده وبكائه على الحسين عليه السلام فقال : (يا سيدي

اما آن لحزنك ان ينقضي، ولبكائك ان يقل؟) فقال عليه السلام له: (ويحك ان يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم عليه السلام كان نبياً ابن نبي، كان له اثنا عشر ابناً، فغيبَ الله سبحانه واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حي في دار الدنيا، وأنا رأيتُ ابي وأخي وسبعة عشر من اهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويذهب بكائي !؟)[٢٤] وأحب أن أنبه إلى أنّ كل ما ذكرته من الروايات هي تفسيرا وتأييدا للدليل القرآني .

ثانيا : الادلة على جواز البكاء على الحسين عليه السلام من السنة النبوية الشريفة، والسنة هي قول النبي صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره:

١- الدليل الأول بكاء النبي صلى الله عليه وآله على عمه حمزة يوم احد لما استشهد:

جاء في السيرة الحلبية عن ابن مسعود قال : (ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً اشد من بكائه على حمزة، وضعه في القتلة، ثم وقف على جنازته حتى نشق ـ أي شهق حتى بلغ الغشي ـ يقول : يا عم رسول الله، وأسد الله وأسد رسوله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا ذاب يا مانع عن وجه رسول الله)[٢٥].

وذكر صاحب السيرة الحلبية : انه لما عاد النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة سمع نساء الانصار يبكين على ازواجهنَ و ابنائهنَ و اخوانهنَ فقال صلى الله عليه وآله حمزة لا بواكي عليه. وبكى صلى الله عليه وآله ـ ولعله لم يكن لحمزة (ره) بالمدينة زوجة ولا بنت ـ فأمر سعد بن معاذ نساءه ونساء قومه ان يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يبكين حمزة بين المغرب والعشاء، كذلك اسيد بن حضير امر نساءه ونساء قومه ان يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يبكين حمزة – الى ان قال فلما رجع صلى الله عليه وآله من المسجد من صلاة المغرب سمع البكاء فقال ما هذا ؟ فقال نساء الانصار يبكين حمزة. فقال النبي صلى الله عليه وآله : (رضي الله عنكنَ وعَنْ أولادكنَ) .

واخرج الحاكم وصحيحه عن جابر قال :(فقد رسول الله ﷺ حمزة حين فاء الناس من القتال فقال رجل : رأيته عند تلك الشجيرات وهو يقول انا اسد الله واسد رسوله اللّهُمَّ ابرأ مما جاء به هؤلاء ابو سفيان واصحابه واعتذر اليك مما صنع هؤلاء بانهزامهم) . فجاء رسوال الله ﷺ نحوه فلما رأى جثته بكى ولما رأى ما مثل به شهق ثم قال... . (٢٦)

وفي شرح النهج لابن ابي الحديد قال : يعني الواقدي : وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم يعني قتلى احد بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم وتدعوا(٢٧).

ولا شك ان استمرار ذلك منها كما تدل عليه العبارة كان باطلاع رسول الله ﷺ ورضاه وتقريره، فدل فعل النبي ﷺ للبكاء وتقريره للباكيات على جوازه وعلى جواز رفع الصوت به، كما هو معنى البكاء بالمد، وكما يدل عليه حصول الشهيق منه ﷺ .

ونساء الانصار انما كن يبكينَ مع الصوت ولذلك سمع النبي ﷺ بكائهن، وحسبك بقول النبي ﷺ لكن حمزة لا بواكي له، ـ رغم ان مفاد الروايات انه كانت لحمزة بنتاً في المدينة اسمها فاطمة التي جاء بها علي عليه السلام في بداية الهجره مع ركب الفواطم ـ حثاً على البكاء على حمزة من قبل نساء المسلمين؛ لبيان اهمية هذا البطل الضرغام اسد الله وأسد رسوله. و اظهاراً للمحبة له. فالفعل والقول والتقرير منه ﷺ متظافرة على جواز البكاء ولو مع الصوت ورجحانه المؤكد.

وقد استمر البكاء على حمزة من قبل النساء في المدينة المنورة حتى صار الحال اذا اردنَ البكاء على امواتهنَ يبكين اولاً على حمزة عليه السلام بعد سماعهن قول النبي ﷺ لكن حمزة لا بواكي له . وهذا ما ذكره صاحب الاستيعاب قال: ذكر الواقدي قال لم تبكِ امرأة من الانصار على ميت بعد قول رسول الله ﷺ لكن حمزة لا بواكي له

الى اليوم إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت ميتها [٢٨]. وهذا في عصر النبي صلى الله عليه وآله وعصر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من غير نهي عنه وإلا لنقل الينا دليل واضح على ان الجواز والرجحان لم يكن مختصا بالوقت من الوفاة؛ بل يعم جميع الازمان، ولو كان زمن الموت بعيداً، على انه اذا كان جائزاً وراجحاً فلا يتفاوت الحال بين الازمان لعدم الفارق بينها.

٢- الدليل الثاني: على مشروعية البكاء وهو :

بكاء النبي صلى الله عليه وآله على ابن عمه جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة، وبكاء الزهراء عليها السلام على عمها جعفر وندبها له بحضور ابيها واستحسانه ذلك . فقد اخرج البخاري في صحيحه عن انس بن مالك قال : قال النبي صلى الله عليه وآله أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم اخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحه فأُصيب،وان عيني رسول الله صلى الله عليه وآله لتذرفان[٢٩] .

وجاء في الاستيعاب في ترجمة جعفر بن ابي طالب : ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وآله نعي جعفر أتى امرأته اسماء بنت عميس فعزاها في زوجها جعفر ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعماه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (على مثل جعفر فلتبك البواكي)[٣٠]. ففيه تقرير لفاطمة عليها السلام على بكائها وندبها لجعفر بقولها: واعماه، واستحسان لذلك وحثّ عليه بقوله صلى الله عليه وآله: على مثل جعفر فلتبكِ البواكي، فإنه امر وحثّ على البكاء على جعفر وأمثال جعفر من عظماء الرجال بأبلغ عبارة .

٣- الدليل الثالث : بكاء النبي صلى الله عليه وآله على ولده ابراهيم عليه السلام :

جاء في المستدرك على الصحيحين بسنده عن عطاء عن جابر عن عبدالرحمن بن عوف (رض) قال : ثم اخذ النبي صلى الله عليه وآله بيدي فانطلقتُ معه الى ابراهيم ابنه وهو يجود بنفسه، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله في حجره حتى خرجت نفسه قال فوضعه وبكى، قال: فقلتُ: تبكي يا رسول الله وأنت تنهى عن البكاء قال صلى الله عليه وآله: اني

لم انهَ عن البكاء ولكني نهيت عن صوتين أحمقين: ثم نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت، ثم مصيبة لطم وجوه وشق جيوب وهذهِ رحمة ومن لا يَرحم لا يُرحم، ولولا انه وعد صادق وقول حق وان يلحق أولانا بأخرانا لَحَزنا عليك حزناً اشد من هذا وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يُسخط الرب[31]. وجاء في سنن ابن ماجه يسنده عن انس بن مالك شبيه بهذا[32].

فقد ظهر لك من الحديث المتقدم قول الرسول ﷺ انه لم ينه عن البكاء كما زعم المخالف، وان البكاء رحمة ومن صفات المؤمن الرحمة لا القسوة .

وقول الرسول ﷺ من لا يَرحم لا يُرحم . فإذا اخذتك الرحمة على ابي عبد الله عليه السلام ابن رسول الله ﷺ وتتذكر ما جرى عليه وتبكي رحمة لها أتكون مبتدعاً بعد كل ما سمعت فيا للعجب؟ ام يريد المخالفون لنهج محمد ﷺ ان نسدل الستار على جرائم بني امية؟

٤- الدليل الرابع :على جواز البكاء ومحبوبيته على الحسين عليه السلام هو بكاء النبي ﷺ على قبر أمه:

روى مسلم في صحيحة بسنده عن ابي هريرة قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله... [33] قال النووي في شرح صحيح مسلم : رواه ابو داوود في سننه بهذا الاسناد، ورواه النسائي، ورواه ابن ماجه وهؤلاء أي الذين رَوَوْا عنهم كلهم ثقات فهو حديث صحيح بلا شك[34]. فهذا بكاء رسول الله ﷺ على أمه وإقامته المأتم عليها بعد عشرات السنين، حتى بكى وأبكى اصحابه وهي باعتقاد الخصم كافرة . فكيف اذن بالبكاء على الحسين عليه السلام . واخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال خرج النبي ﷺ يوماً الى المقابر فجلس الى قبر منها فناجاه طويلاً، ثم بكى فقال : ان القبر الذي جلست عنده قبر امي واني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي فأنزل علي ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا**

لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (٣٥).

٥- **الدليل الخامس: على جواز البكاء على سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام هو نهي النبي صلى الله عليه وآله عن منع النساء عن البكاء:**

اخرج الامام احمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس حديثاً ذكر فيه موت رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ الى ان قال ـ وبكت النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه . فقال النبي صلى الله عليه وآله لعمر : دعهن يبكينَ ـ الى ان قال ـ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مهما يكون من القلب والعين فمن الله والرحمة ـ الى ان قال ـ وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكي فجعل النبي صلى الله عليه وآله يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها(٣٦).

٦- **الدليل السادس: على جواز البكاء على الحسين عليه السلام ورجحانه ومحبوبيته:**

ما ورد من بكاء النبي صلى الله عليه وآله لأجل هذه المصيبة قبل وقوعها، فيدل على جوازه بعد وقوعها للقطع بعدم الفرق، بل بطريق الأولوية، لان المصيبة بعد وقوعها اعظم وأفجع . وقد بكاه بمجالس متعددة، وهو حثٌّ منه صلى الله عليه وآله على البكاء على الحسين عليه السلام وكأنه صلى الله عليه وآله يبرق برقية لأجيال المسلمين اني بكيتُ على مصيبة الحسين عليه السلام قبل وقوعها؛ لأني أرحل الى ربي عز وجل قبل وقوعها، فلو كنت حاضراً مصيبته لقعدتُ للعزاء كما يقول السيد الشريف الرضي:

لو رسول الله يحيا بعده   قَعَدْ أليومَ عليـه لِلْعزا

وقد بكاه رسول الله صلى الله عليه وآله بعدة طرق اذكر واحدة منها للإيجاز والاختصار :

١- ما ذكره الشيخ ابو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي في كتابه اعلام النبوة فقال ما لفظه : ومن انذاره صلى الله عليه وآله ما رواه عروة عن عائشة قالت : دخل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوحى اليه، فبرك على

ظهره وهو منكب، ولعب على ظهره فقال جبرئيل : يا محمد ان امتَكَ ستفتن بعدك، ويقتل ابنك هذا من بعدك، ومَد يده فأتاهُ بتربة بيضاء وقال : في هذه الارض يقتل ابنك اسمها الطف .

فلما ذهب جبرئيل عليه السلام، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى اصحابه والتربة في يده وفيهم أبوبكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وابو ذر وهو يبكي، فقالوا ما يبكيكَ يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله اخبرني جبرئيل : ان ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني ان فيها مضجعه(٣٧) ، ولاشك ان اصحابه لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما يجرى على ولده الحسين وهو باكي العينين قد بكوا لبكائه . أليس هذا شبيه ما بالمأتم الذي نقيمه على الحسين عليه السلام وهو ان نذكر ما جرى عليه ونبكي تأسياً بالنبي صلى الله عليه وآله ونحن مأمورون بالتأسي به صلى الله عليه وآله ﴿**لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ .

اخبرنا محمد بن الحسن بن الفتح الصوفي حدثنا ابو عروبه الحراني حدثنا حنبل بن اسحاق حدثنا ابن عمي احمد حدثنا وكيع عن عبد الله بن سعيد بن ابي هند عن ابيه عن عائشة وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وآله دخل عليهما وهو يبكي، قالتا: فسألناه عن ذلك، فقال: ان جبرئيل اخبرني ان ابني الحسين يقتل، وبيده تربه حمراء فقال هذه تربة تلك لأرض (٣٨).

والأدلة على جواز البكاء كثيرة جداً منها بكاء آدم عليه السلام على ولده هابيل، ومنها بكاء السماوات والأرض على المؤمن اذا مات كما قال سبحانه : ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ...**﴾ . فقد ذكر السيوطي في الدر المنثور قوله اخرج الترمذي وابن ابي الدنيا في ذكر الموت وابو يعلى وابن ابي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والخطيب عن انس (رض) قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب يصعد منه علمه وباب ينزل عليه رزقه فإذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ**﴾. وذكر

انهم لم يكونوا يعملون على وجه الارض عملاً صالحاً يبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فنفقدهم فنبكي عليهم)[٣٩] . واخرج عبد بن حميد عن مجاهد (رض) قال : ان العالم اذا مات بكت عليه السماء والأرض اربعين صباحاً[٤٠].

واخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : بكى آدم حين أُهبط من الجنة بكاء لم يبكه احد، فلو ان بكاء جميع بني آدم مع بكاء داوود على خطيئته ما عدل بكاء آدم حين أُخرج من الجنة ومكث اربعين سنة لا يرفع رأسه الى السماء[٤١].

وأخرج الطبراني في الاوسط وابن عدي في الكامل واليهتمي في شعب الايمان والخطيب وابن عساكر معا في التاريخ عن بريدة يرفعه قال : لو ان بكاء داوود وبكاء جميع اهل الارض يعدل بكاء آدم ما عدله.

وكان آدم حين اهبط من الجنة بكى بكاء لم يبكه احد، فلو وضع بكاء داوود على خطيئته، وبكاء يعقوب على ابنه، وبكاء ابن آدم على اخيه حين قتله، ثم بكاء اهل الارض ما عدل ببكاء آدم عليه السلام حين أُهبط [٤٢].

يا ترى بعد كل هذا الا يكون البكاء على سيد شباب اهل الجنة الذي تفنن الجيش السفياني الاموي بكيفية قتله وسحق جسده الطاهر ورض اضالعه وقطع رأسه الطاهر ورؤوس صحبه واهل بيته وحملها على الرماح وسبي نسائه واطفاله وهم اسارى مقيدون بالحبال ومعهم زين العابدين عليه السلام مريضا مقيدا بسلاسل الحديد وامام كل هذا الركب الرؤوس الطاهرة مشرعة على الرماح مضمخة بدمائها واطفالهم ينظرون اليهم، الا يكون البكاء عليهم راجحاً مستحباً لا أنه جائزٌ فحسب؟

* هوامش البحث *

(١) صحيح البخاري ج٣ ص١٣٧١ ح٣٥٤٣ . سنن الترمذي ج٥ ص٦٥٧.

(٢) صحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٢٨، المستدرك على الصحيحين . ج٣ ص١٩٤ حو٤٨٢٠ .

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر. ص١٣٤ .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) البحار ج٢٢ ص٢٧٤ .

(٦) انظر الانوار النعمانيه ص٣٤١ و اللهوف ص١٠١ وتذكرة الخواص ص٤٩ نقلاً عن مقتل الحسين للمقرم . ص٣٥٠ .

(٧) حلية الاولياء . ج١ ص٣٥٥ .

(٨) المستدرك على الصحيحين . ج٣ ص١٩٤ ح٤٨٢٠ .

(٩) سورة الحديد : آية ٢٧.

(١٠) سورة مريم : آية ٥٨ .

(١١) سورة البقرة : آية ٧٤ .

(١٢) سورة يوسف : آية ٨٥ .

(١٣) صحيح البخاري الجزء الخامس في التفسير ٤ ص١٧٢٧.

(١٤) الاتقان ج١ ص٣٦٨ .

(١٥) صحيح البخاري الجزء الخامس في التفسير ص١٧٢٧، ولسان العرب ج٧ ص١٣٤.

(١٦) سورة يوسف : آية ٨٤ .

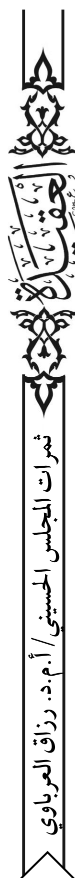
(١٧) فتح القدير ج٣ ص٤٨ .

(١٨) السيوطي، تفسير الجلالين ج١ ص٣١٦ ،و الآلوسي، روح المعاني. ج٣ ص٤٠ و ص٨٠ .

(١٩) الطبري، تفسير الطبري ج١٣ ص٣٠، والسيوطي، الدر المنثور . ج٤ ص٥٠٧ .

(٢٠) الطبري، تفسير الطبري ج١٣ ص٣٢ ،و الالوسي، روح المعاني . ج١٣ ص٤٠.

(٢١) تفسير الرازي في تفسيره . ج٥ ص ٢٣٨ .



(٢٢) الزمخشري ،الكشاف .ج٢ ص٤٥٠، بهامش تفسير الطبري . ج١٣ ص٤٢.

(٢٣) النيشابوري، تفسير النيشابوري . ج١٣ ص٤٤.

(٢٤) صحيح الترمذي ج٢ ص٣٠٦-٣٠٧، صحيح ابن ماجة ج٣ ص١٦٧، فضائل اصحاب النبي، والمستدرك على الصحيحين . ج١٣ ص١٦٧، ومسند احمد. ج٣ ص٣, ٦٢, ٨٢، خصائص النسائي . ص. ٣٦ .

(٢٥) بحار الانوار ج٣ ص ٢٨٢ ج٥ ص١٤٩، وسائل الشيعة ج٣ ص ٢٨٢، اللهوف للسيد ابن طاووس. ص٢٠٩، مسكن الفؤاد. ص١٠٠ الباب الرابع من البكاء .

(٢٦) السيرة الحلبيه .ج١ ص٤٦١، وقد ذكر هذا ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة حمزة بسنده عن جابر بن عبد الله (ره) .

(٢٧) الدر المنثور . ج٢ ص٤٧٦ .

(٢٨) شرح النهج لابن ابي الحديد . ص٣٩٦ .

(٢٩) الاستيعاب . ج١ ص٣٧٤ .

(٣٠) صحيح البخاري .ج٢ ص٣٩٣ ح١٣٠٣ وفي طبعة اخرى ج١ ص٤٢٠ ح١١٨٩، وذكر البخاري كذلك ج٣ ص١١١٥ ح٢٨٩٨، وفي مسند احمد .ج٣ ص١١٣، ١١٧، ومسند ابي يعلي .ج٧ ص٢٠٢ ح ٤١٩٠.

(٣١) الاستيعاب . ج١ ص٣١٢.

(٣٢) المستدرك على الصحيحين . ج٤ ص٤٣ ح٦٨٢٥ .

(٣٣) سنن ابن ماجه .ج١ ص٥١٠ .

(٣٤) ارشاد الساري الهامش ٤/ ٣٢٤ .

(٣٥) شرح النووي، ارشاد الساري ألهامش ٤ ص٣٢٥ .

(٣٦) الاتقان ج١ ص٩٨، ج٤ ص٣٠٢ .

(٣٧) مسند احمد ج١ ص٣٣٥.

(٣٨) اعلام النبوة ص٨٣، الكامل لابن الاثير ج٥ ص٣٦٤ كامل الزيارات . ص٦١ .

(٣٩) تاريخ واسط .ج١ ص١٦٦ .

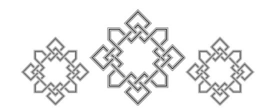


(٤٠) الدر المنثور ج٧ ص٤١١، لباب النقول. ج١ ص١٢٧.

(٤١) الدر المنثور ج٧ ص٤١٢ .

(٤٣) الدر المنثور. ج١ ص١٤١ .

(٤٤) الدر المنثور. ج١ ص١٣١ .







أهمية الشعائر الحسينية وأدلتها العامة

السيد د. صلاح نصر الأعرجي

مقدمة



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد: فلاشك أن للفقه والفقهاء أثراً عميقاً في حياة البشرية جمعاء، لما يحققه من حياة سعيدة ومطمئنة، فالفقه من حيث الأهمية والمكانة أشرف العلوم وأفضلها، وقد وردت به روايات كثيرة دالة على علو مرتبته وعظم منزلته، كيف لا؟! وهو برنامج الحياة المتكامل، وموجه أفعال وممارسات الإنسان على النحو الصحيح.

والقوانين التي صاغها الفقه الإسلامي من أرقى القوانين الضامنة للإنسان سعادته المطلقة، وتمنحه كامل الحقوق، وتعلمه وظائفه من الواجبات والمستحبات والمنهيات والمكروهات والمباحات، بصورة تعطي الحياة ذوقا خاصا ؛ لذلك نجد تعاليم الشريعة الإسلامية تؤكد على التفقه في الدين، والحث على طلب العلم، من خلال النصوص الكثيرة الواردة بهذا الخصوص.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين »[٢] .

وورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً...»[٣]. وبما ان الشريعة الإسلامية تميزت بعالميتها وشمولية احكامها لجميع الوقائع والحوادث ودقائق الامور العامة والخاصة، فلابد من ترتيب القواعد الشرعية العامة المرتبطة بكل مالم يرد فيه نص او اجماع، من خلال استثمار جهود وقدرات الفقهاء واهل الاختصاص في الاستنباط للأحكام الشرعية من مصادرها الاولية ؛ لتأخذ مجالها وتطبيقها في كل مستجدات الحياة، ومواكبة التطور الحضاري ومواجهة الإشكالات المجتمعية الطارئة، أو القضايا الفقهية المعاصرة.

ان فاجعة كربلاء قد القت بثقلها الفكري على الحياة الإسلامية، بحيث عاشت مع المسلمين كأهم محور في حياتهم العقائدية والتشريعية والاخلاقية والسياسية؛ بل لها قوة تحريك نافذة في المجتمع؛ لذلك فان هذه الفاجعة تعد المحرك الاساسي للحركات التحررية ضد الطغاة والظالمين، ومصدر التغيير الاصلاحي لأي واقع فاسد يعيشه المجتمع، وهو الظاهر من كلمات اشهر قادة الثورات في العالم، امثال غاندي، و هوشي منه، والسيد الخميني.

من هنا تظهر اهمية البحث ودوره في ارشاد من يرغب بإحياء الشعائر، ليُنير له السبيل ليسير على هديه، ويكون على بينة من امره، من خلال التعرض للأدلة العامة على جواز اقامة الشعائر الحسينية، فضلا عن مواجهة التشكيك في مشروعيتها، فصيغ عنوان البحث بــ (اهمية الشعائر الحسينية وادلتها العامة)، وتضمن البحث مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناولت في المبحث الاول: مفهوم الشعائر، اما المبحث الثاني: فذكرت فيه اهمية احياء الشعائر الحسينية، وخصصت المبحث الثالث للادلة العامة كعمومات القرآن الكريم التي تنضوي تحت عناوينها الشعائر الحسينية، وما ورد في السنة الشريفة من روايات ودليل العقل.

المبحث الأول
مفهوم الشعائر

المطلب الاول: الشعائر لغةً:

الشعار: يقال للرجل انت الشعار دون الدثار، تصفه بالقرب والمودة، وأَشعَرَ فلان قلبي هماً ـ اي البسه بالهم حتى جعله شعارا ـ ويقال: ليت شعري ـ اي علمي ـ ويقال: ما يشعرك ـ اي ما يدريك ـ وشعرتُه: عقلته وفهمته.

والمشعَر: موضع النسك من مشاعر الحج، وكذلك الشعار من شعائر الحج، والشعيرة من شعائر الحج: وهي البُدن، واشعرتُ هذه البُدن نسكا ـ اي جعلتها شعيرة تهدى، وشعارها ان يوجأ سنامها بسكين فيسيل الدم على جانبها فَتُعرف انها (بدنةُ هديٍّ)، وسبب تسمية البُدن بالشعيرة او بالشعار ؛ هو انها تُشعر ـ اي تُعلم حتى يُعلم انها بُدن للهدي[٤].

واشعَرَه الامر ـ اي اعلمه -، واشعرها: جعل لها شعيره، وشعار الحج مناسكه وعلاماته، والشعيرة والمشعر موضعها، او شعائره: معالمه التي ندب الله اليها وامر بالقيام بها[٥]، فالإشعار: الإعلام، والشعار العلامة[٦]، والشعائر: اعمال الحج، وكل ما جُعِلَ علما لطاعة الله تعالى

المشاعر: مواضع المناسك، والمشاعر: الحواس، والشعار: ما ولي الجسد من الثياب، وشعار القوم في الحرب: علامتهم؛ ليعرف بعضهم بعضا، واشعر الرجل هما: اذا لزق بمكان الشعار من الثياب في الجسد، واشعرته فشعر: ادريته فدرى[٧].

شعاره والاشعار: الاعلام من طريق الحس ومنه المشاعر ـ اي المعالم ـ واحدها مشعر: وهو المواضع التي قد اشعرت بعلاماته، ومنه الشعر ؛ لأنه يقع في الشعور ـ اي التحسس -، ومنه الشاعر ؛ لأنه يشعر بفطنته بما لا يفطن له غيره[٨].

يتحصل مما تقدم ان اللغويين متفقين على ان الشعائر والشعار والشعارة: هو كل ما له اعلام حسي.

المطلب الثاني: الشعائر اصطلاحاً:

١- بحث الطبري تـ (٣١٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...**﴾(٩) مستعرضا تأويلات عديدة في معنى ﴿**لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ...**﴾ قائلاً: (اولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال: ان الله تعالى ذكره أخبر ان تعظيم شعائره وهي ما جعله اعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم من الاماكن التي امرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها، والاعمال التي الزمهم عملها في حجهم من تقوى القلوب، ولم يخصص من ذلك شيئاً، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب كما قال جل ثناؤه، وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك)(١٠).

٢- ذكر الشيخ الطوسي تـــ (٤٦٠هـ) في تبيانه اقوى الآراء في قوله تعالى: ﴿**لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ...**﴾ قائلاً: (معناه: لاتحلوا حرمات الله، ولا تضيعوا فرائضه، لان الشعائر جمع شعيره وهي على وزن فعيله، واشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الامر: اذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلك، واذا كان كذلك وجب حمل الآية على العموم اولى)(١١).

٣- فسر الطـبرسي (ت٥٤٨هـ) معنى قـوله تعالى: ﴿ **لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ...** ﴾ بلا تحلوا حرمات الله ولا تتعدوا حدود الله، والشعائر تحمل على المعالم ـ اي معالم حدود الله وامره ونهيه ـ(١٢).

٤- بحث السيوري الحلي تـــ(٨٢٦هـ) في قوله تعالى: ﴿ **فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾(١٣)، قائلاً: (حرمات الله ما حرمه الله من ترك الواجب، وفعل

المحرمات، ومثله قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[١٤]، وتقديس وتعظيم الحرمات والشعائر هو اعتقاد الحكمة فيها، وانها واقعه على الوجه الحق المطابق ؛ ولذلك نسبها الى القلوب، ويلزم من ذلك الاعتقاد وشدة التحرز من الوقوع فيها وجعلها كالشيء المحمى عنه، كالمرعى الوبيل والى هذا المعنى اشار النبيﷺ في الحديث: « الا وإن لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى أو شك ان يقع فيه »[١٥]، وقيل حرمات الله خمس: البيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام والمحرم حتى يحل)[١٦].

٥- ذكر المحقق الاردبيلي تــ (٩٩٣هـ) في زبدته البدن قائلاً: (البدن جمع بدنه وهي الابل جعلناها لكم من شعائر الله اعلام الشريعة التي شرعها الله، واضافتها الى اسم الله تعظيم لها)[١٧]، وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ...﴾ لا تجعلوا محرمات الله حلالا مباحا ولا العكس، يعني لا تتعدوا حدود الله، فعلى هذا يحمل الشعائر على المعالم اي حدود الله واوامره ونواهيه وقيل هي فرائضه، وقيل: هي جمع شعيره، وهي اعلام الحج ومواقفه، اي لا تجعلوا ترك مناسك الله حلالا فتتركوها، وقيل المراد دين الله لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ اي دينه-[١٨].

٦- قال الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) في ميزانه: (الشعائر جمع شعيره وهي العلامة وكأن المراد بها اعلام الحج ومناسكه)[١٩].

مناقشه وتعقيب:

قد يقال ان الشعائر جمع شعيره: وهي البدن خاصه ولا صلة لها بكل شعار وعلامة شرعية ودينية. هذا الكلام ينافي كتاب الله وسنته الشريفة من حيث ان الله تعالى جعل الصفا والمروة وكل مناسك الحج من شعائره فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٢٠]، وقال: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ

لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٢١]، فنجد في الآيتين وردت (من) للتبعيض: وهي قرينه على كون الشعائر اعم من اعمال الحج، وكذلك هناك روايات تبين افتراق الشعيرة في البدن عن وجوب اصل البدن او غيرها من انواع الهدي، فبعض الروايات دلت على استحباب ان يكون الهدي: (اقرن، فحل سمين عظيم العين والأذن)[٢٢]، وهذا نوع من انواع تعظيم شعائر الله، وهناك روايات دلت على ان يكون الهدي مما حضر عرفة[٢٣]، وهذا فيه دلالة على الاعلام والتبليغ والترويج لفريضة الحج، وقد سميت مناسك الحج مشاعر دون غيرها من العبادات ؛ لأن الحج يمثل تجمعا عالميا للمسلمين في مكان واحد بغض النظر عن القومية واللون والعرق، فالكل يمارسون اعمال الحج التي تحتوي جانباً اعلامياً يُظهِر مدى عظمة هذا الدين، والتآخي والتراحم والتحابب بين افراد الامة الإسلامية.

يبدو مما تقدم ان الآيات الواردة ظاهرة بمنزلة كبرى كلية بالنسبة الى مطلوبية تعظيم الشعائر في جميع الموارد المضافة الى الله تعالى من دون اختصاصها بالموارد المفسرة في كتب اللغة والتفسير، ولا اجمال فيها لكي نسقط الاستدلال بعمومها، فهي بمنزلة كبرى كلية دالة على مطلوبية تعظيم الشعائر مطلقا سواء كانت متعلقة بالحج واعماله واعلامه او غيرهما، فلا اختصاص لها بمناسك الحج، فالشعائر علامات دين الله وطاعته عموما، وجمع الشعيرة والشعار بمعنى العلامات المضافة الى الله تبارك وتعالى.

٧- صرح العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ) باعتبار الأذان من الشعائر[٢٤]، وذكر السيد علي الطباطبائي (ت١٢٣١هـ) ان تعظيم الشعائر يستحب في عدة امور منها: كراهة الاستنجاء باليد التي فيها خاتم منقوش عليه اسم احد الانبياء او الأئمة المعصومين عليهم السلام [٢٥]، واعتبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء تـــــ(١٢٢٨هـ) عدداً

من مظاهر الحزن التي تقام على الإمام الحسين عليه السلام هي من الشعائر[٢٦]، اما البجنوردي تـــ(١٣٩٥هـ) بَيَّنَ ان الشعيرة والشعائر: هي حقيقة لغوية تنطبق على كل ما يمكن ان يكون علامة على الدين، وما ورد من آيات قرآنية هي مجرد مصاديق لهذه الحقيقة، وقال: (ان المراد من حرمات الله، وشعائر الله: مطلق ما هو محترم في الدين وتطبيقها على مناسك الحج ومشاعره من باب تطبيق الكلي على بعض مصاديقه)[٢٧].

فالشعائر عنوان عام يمكن انطباقه على كل ما يمكن ان يكون علامة، او اعلام دين الله، ولا تعني الدين نفسه، وانطباق مفهوم الشعائر على مفهوم الحج هو من باب انطباق العام على افراده.

المبحث الثاني

اهمية الشعائر الحسينية

تعد الولاية للرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام - في نظر القائلين بها ـ جوهر وحقيقة الايمان قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[٢٨]، ومن مصاديق تجسيد مبدأ الولاية هو اقامة الشعائر الحسينية ؛ لانها من ضرورياتها:

ان الله تعالى شرع ولاية الرسول صلى الله عليه وآله، وجعلها على المؤمنين شرطاً في الايمان بالله تعالى فقال: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٢٩]، فالإخلاص لله تعالى لا يتحقق إلا بحبه وحبه الحقيقي لا يتحقق الا في اتباع اوامر ونواهي رسول الله صلى الله عليه وآله والتسليم له والتأسي به لقوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٣٠]، ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ**

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[٣١]، ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣٢]، وغيرها من الآيات[٣٣] التي تبين ان طاعة الرسول صلى الله عليه وآله هي عين طاعة الله سبحانه تعالى، وانها طاعة مطلقة غير مشروطة بشرط او مقيدة بقيد وهذا يدل على ان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء يخالف حكم الله في الواقعة، وإلا كان فرض طاعته تناقضاً منه تعالى وتقدس، ولا يتم ذلك إلا بالعصمة برسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الكلام جار بعينه في اولي الامر[٣٤]، وبذلك تكون مقدمة الولاية هي الحب الذي يعد الوسيلة الوحيدة لارتباط كل طالب بمطلوبه وكل مريد بمراده، الامر الذي يتطلب من القائلين بالولاية الاقرار بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله طاعة مطلقة غير مشروطة بشرط ولا مقيدة بقيد؛ لينتهي الى ولاية الله تعالى.

وقد وردت نصوص كثيرة ومتواترة في محبة المصطفى صلى الله عليه وآله وآل بيته الطاهرين عليهم السلام وكما يلي:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « احبوا الله لما يعدكم به من نعمته، واحبوني لحب الله عز وجل، واحبوا اهل بيتي لحبي »[٣٥].

وقال صلى الله عليه وآله: « اربعة انا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في امورهم عندما اضطروا اليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه »[٣٦].

وقال صلى الله عليه وآله: « اثبتكم على الصراط اشدكم حباً لأهل بيتي »[٣٧].

وبذلك لا يمكن لاحد ان يحب محمداً صلى الله عليه وآله ويبغض علياً عليه السلام وفاطمة واولادهم عليهم السلام؛ لأن علياً عليه السلام نفس محمد صلى الله عليه وآله، وفاطمة عليها السلام بضعته الطاهرة، والحسن والحسين عليهما السلام ولداه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٣٨].

وتضمن هذا الحدث تصريحا من رسول الله صلى الله عليه وآله بأن عترته خير اهل الارض واكرمهم على الله ؛ وهذا هو سر مباهلته صلى الله عليه وآله نصارى نجران، وهذا ما اعترف به اسقف نجران بقوله: (اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله)[٣٩]، فمحبة العترة الطاهرة هي محبة النبي صلى الله عليه وآله ومحبته هي محبة الله تعالى، قال الامام الرضا عليه السلام في حبهم: « ... من احبكم فقد احب الله، ومن ابغضكم فقد ابغض الله، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله، انتم الصراط الاقوم وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء ... »[٤٠].

ومن المعلوم ان الامام الحسين عليه السلام له محبة خاصة في قلب النبي صلى الله عليه وآله إذ قال: « حسين مني وانا من حسين، احب الله من احب حسينا »[٤١]، وقال صلى الله عليه وآله في محبة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: «من احب هذين الغلامين واباهما وامهما فهو معي في درجتي يوم القيامة»[٤٢]، فأداء واجب الولاية يتطلب المحبة للعترة الطاهرة، ومن ضروريات المحبة إظهار الحزن والاسى ونحوهما، والحزن على شهادة الامام الحسين عليه السلام من اعظم الاحزان ألماً ولوعةً في القلوب، فما من مؤمن ذكره الا وبكى، قال ابو عبد الله عليه السلام: « نظر امير المؤمنين عليه السلام الى الحسين عليه السلام فقال: ياعبرة كل مؤمن، فقال: انا يا ابتاه، قال: نعم يا بني »[٤٣]، وقال الحسين عليه السلام: « انا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن الا استعبر»[٤٤]؛ وبما ان اقامة الشعائر الحسينية تتضمن كافة الوان الحزن والاسى على العترة الطاهرة، وحبا فيهم ؛ تكون من ضروريات الولاية، ومن يرتوي من هذه المحبة ويذوب في الحسين عليه السلام يكون على درجة عالية من الاخلاق ؛ لان محبة الحسين عليه السلام تصون نفس المحب من نوازع الانحراف ؛ لأن محبته هي جوهر الدين فقد جعل الله تعالى اجر رسوله صلى الله عليه وآله محبة ذريته فقال تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾[٤٥].

اخذت الآية الكريمة في منطوقها المودة ولم تأخذ المحبة ؛ لأن المودة ابلغ



من المحبة في الدلالة، والود يعني اظهار الحب على الجوارح، فقد ذكر الطباطبائي ان المودة تعني الحب الظاهر اثره على جوارح الإنسان في مقام العمل[٤٦].

وقد اشار الشافعي (٢٠٤هـ) الى الفرض المذكور في الآية الكريمة بقوله:

يـا اهـل بيت رسـول الله حبكم فـرض مـن الله في القـرآن انزله

كفـاكم من عظـيم الشأن انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له[٤٧]

من هنا تظهر اهمية اقامة الشعائر الحسينية ؛ لانها الآثار الظاهرة على جوارح الانسان لإظهار الحب لقربى رسول الله ﷺ، فضلا عن آثارها في بناء الانسان وكما سيأتي في الفصل الثاني.

المبحث الثالث

الادلة العامة على جواز اقامة الشعائر الحسينية

وردت ادلة عامه متعددة على جواز اقامة الشعائر الحسينية سواء أكانت أدلة قرآنية او روائية أو عقلية، نتعرض لأبرزها في هذا المبحث، كما يلي:

المطلب الاول: القرآن الكريم:

دلت العديد من الآيات المباركات على اقامة الشعائر الدينية بصورة عامة، وابرز هذه الآيات هي:

اولا: قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ** ﴾[٤٨] .

ذَكَرَ اغلب العلماء بأن مفهوم الآية الكريمة عام وشامل لكافة علائم دين الله وما فيه عزة ورفعة لكلمة الإسلام[٤٩]، وعلى حد تعبير شيخ العراقيين: ان تلك المواكب في كونها مظهر الحزن والجزع وفي كون البكاء واللطم بها وبغيرها صلة للرسولﷺ واسعادا للعذراء البتول عليها السلام ؛ فهي اعظم الشعائر الاسلامية، ومن

اوضح الدلالات والبرهان عليها هو ما نطق به الفرقان(٥٠) وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وقبور الأئمة عليهم السلام مشاعر وتجري عليها احكام المساجد، وكذا حرمة المؤمن من شعائر الله(٥١)، وكل ما اتخذه المذهب او الطائفة وتحققت به الشعيرة ينطبق عليه عنوان شعائر الله(٥٢).

تعقيب ومناقشة:

ان ما اثبتته الآية الكريمة هو ان تعظيم شعائر الله هي من تقوى القلوب، وذلك فيه عدة امور:

١: منطوق الآية الكريمة دَلَ على ان تعظيم الشعائر ناشيء من تقوى ؛ لان الآية ظاهرة في جملة خبرية في مقام الإنشاء، ومحتفة بقرينة عقلية توجب حملها على المحبوبية ؛ لان الله تعالى اخبر عن حقيقة حسنة وارجعها الى التقوى، فكشف لنا ان تعظيم الشعائر محبوب ملزم عنده، وكل ما هو محبوب ملزم يجب ان يقع في الخارج ؛ لان الاحكام الشرعية تتبع الحسن الذاتي والمحبوبية المولوية، فكل ما هو حسن يأمر به الشرع، وكل ما هو قبيح ينهى عنه، وحملنا للآية المتضمنة لجملة خبرية على الانشاء ؛ لوجود القرينة العقلية التي تفيد المحبوبية، وهذا هو مقتضى الاصل، اما القول بخلاف ذلك يحتاج الى دليل.

٢: تَحَصَّلَ من خلال بيان مفهوم الشعائر انها كل ما يذكر الناس بالله تعالى من علامات او علائم، اما اضافة الشعائر الى الله فهي اضافة تشريفية.

٣: اشعرت الآية الكريمة بأن القلوب التقية هي التي تعظم شعائر الله تعالى، كونها مركز التقوى والشعور بالمسؤولية بإزاء التعاليم الإلهية في قلب الإنسان وروحه، ومنه تظهر آثارها على الجسد، والا فإن هناك الكثير من المنافقين الذين يتظاهرون في تعظيم شعائر الله، فالتعظيم الذي اراده الله تعالى هو الناشيء من القلوب التقية ذات العقيدة الراسخة التي لاشك فيها.

٤: مفهوم الآية الكريمة دلّ على انّ من لا يعظم شعائر الله فقلبه خال من التقوى .

ويمكننا ان نبين بأن تعظيم الشعائر الحسينية هي من تقوى القلوب من خلال القياس المنطقي التالي:

صغرى القياس: الشعائر الحسينية هي من شعائر الله .

كبرى القياس: تعظيم شعائر الله هي من تقوى القلوب .

النتيجة: تعظيم الشعائر الحسينية هي من تقوى القلوب .

وبناء على ما تقدم نستنتج ان كل ما يثبت من احكام وآثار لتعظيم شعائر الله يثبت لتعظيم الشعائر الحسينية، كالوجوب على عموم المؤمنين تعظيم الشعائر الحسينية ونشرها وتطويرها ؛ لانها من تقوى القلوب، والمطلوب تعظيمه هو كل ما صَدَقَ عليه انه شعيرة منها.

ومن المعلوم ان اغلب اعمال الحج هي تكرار لحدث تاريخي وتذكير بحادثة حدثت في عهد ابراهيم الخليل عليه السلام فقد امرنا تعالى بإتخاذ مقام ابراهيم عليه السلام مصلى، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[٥٣]؛ لإحياء ذكرى شيخ الانبياء ابراهيم الخليل عليه السلام، وكذلك امرنا بالسعي بين الصفا والمروة فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾[٥٤]؛ لان هاجر سعت بين الصفا والمروة وهي في اشد حاجة، واعظم فاقة الى ربها وخاصة عندما تنظر الى ولدها يتلوى من العطش في بلد لا ماء فيه ولا انيس، ومن شدة الكرب تصعد الجبل فإذا لم ترَ شيئا جرت الى الثاني فصعدت عليه لترى احدا[٥٥]، وكذلك امرنا تعالى برمي الجمار، وذبح الفداء وغيرها من نسك الحج المشتمل على الاحرام، والوقوف بعرفات، ومبيت المشعر، جميعها تحكي قصة ابراهيم الخليل عليه السلام

وتمثل مواقفه ومواقف اهل بيته ومشاهدهم(٥٦)، أَليسَ من الاولى تخليد وتعظيم سيد الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وآل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، فالذي حدث لهم اعظم مما حدث لإبراهيم الخليل وآل بيته، فقد روى الفضل بن شاذان قال: سمعت الامام الرضا عليه السلام يقول: « لما امر الله عز وجل ابراهيم ان يذبح مكان ابنه اسماعيل الكبش الذي انزله عليه تمنى ابراهيم ان يكون قد ذبح ابنه اسماعيل بيده، وانه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع الى قلبه ما يرجع الى قلب الوالد الذي يذبح اعز ولده عليه بيده فيستحق بذلك ارفع درجات اهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عز وجل اليه: يا ابراهيم من احب خلقي اليك ؟ فقال: يارب ما خلقت خلقا احب الي من حبيبك محمد صلى الله عليه وآله فأوحى الله اليه: أهو احب اليك ام نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي، فقال: فولده أحبّ إليك أو ولدك؟ قال: بل ولده قال: فذبح ولده ظلما على ايدي اعدائه اوجع لقلبك او ذبح ولدك بيدك في طاعتي ؟ قال: يا رب؛ بل ذبحه على ايدي اعدائه اوجع لقلبي قال: يا ابراهيم فإن طائفة تزعم انها من امة محمد صلى الله عليه وآله ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلما وعدوانا كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع ابراهيم لذلك وتوجع قلبه، واقبل يبكي فأوحى الله عزوجل: يا ابراهيم قد فديت جزعك على ابنك اسماعيل عليه السلام، لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام، لأوجبت لك ارفع درجات اهل الثواب على المصائب »(٥٧).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(٥٨).

١: المعروف والمنكر لغة:

المعروف: هو كل ما يحسن من الافعال، وكل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن اليه(٥٩)، والمنكر: هو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه(٦٠)، وذكر الراغب ان المعروف: هو كل فعل يعرف بالعقل او الشرع انه حسن، والمنكر: كل فعل ينكر

بالعقل والشرع [٦١].

٢: المعروف والمنكر اصطلاحا:

هو كل ما امر به رسول الله ﷺ، والمنكر كل ما نهى عنه، فالمعروف هو الطاعة والمنكر هو المعصية[٦٢].

فعليه ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يختص بمورد دون آخر او بمجال دون غيره؛ بل هو شامل لكل ما جاء به الاسلام من مبادئ وقيم وشرائع وقوانين واوضاع وتقاليد، وهذا المعنى ذكره الامام الحسين عليه السلام في كلام له حيث قال: « .... بدأ الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه ؛ لعلمه بأنها اذا اديت واقيمت استقامة الفرائض كلها هينها وصعبها ؛ وذلك ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، واخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها....»[٦٣].

لا خلاف بين الفقهاء في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦٤]، وان الله تعالى جعله من التكاليف الاساسية ؛ لانه غاية الدين كما عبر عنه الامام علي بن ابي طالب عليه السلام: « غاية الدين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود»[٦٥].

وقد اعتمد الفقهاء على الآيات القرآنية في اثبات وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦٦]؛ لوضوح دلالتها حتى قيل: (ان وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة دينية عند المسلمين يستدل بها ولا يستدل عليها)[٦٧].

٣: ابرز الآيات الدالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[٦٨].

الآية الكريمة تخاطب المؤمنين بأنهم مكلفون باختيار امة منهم تؤدي هذه

الفريضة الواجبة[٦٩]، بدلالة الامر (ولتكن)، و(من) في (منكم) للتبعيض[٧٠] الدالة على ان الوجوب كفائي ـ اي اذا قام به البعض سقط عن الآخرين ـ وهذا ما ذهب اليه اغلب الفقهاء[٧١] .

ب - قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[٧٢].

الآية الكريمة تبين ان سبب خيرية الامة هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله تعالى[٧٣]، واستدل الفقهاء بهذا الثناء المنحصر بالمزايا الثلاث على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر[٧٤]؛ بل يكفي اقتران الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالإيمان بالله تعالى ووقوعهما في مستواه، وتخصيص الثناء والمدح بهذه الصفات الثلاث.

٤: الاستدلال على جواز اقامة الشعائر الحسينية:

ان عنوان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر شامل للشعائر الحسينية ؛ ذلك ان الامام الحسين عليه السلام قد نهض لأجل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قال: « لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر »[٧٥]، واقامة الشعائر الحسينية تتضمن احياء ما دأب عليه الانبياء والرسل صلى الله عليه وآله في السعي لتحقيقه في بعثتهم والذي يعد مبدأ التوحيد والتخويف من عذاب يوم عظيم ابرز مظاهره، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[٧٦]، وحذر الانبياء في آيات أخر اقوامهم من عذاب يوم عظيم: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[٧٧]، ومثلما تحث الشعائر الحسينية على ضرورة تفهم مبدأ التوحيد والاستعداد للمساءلة الاخروية، فإنها في الوقت ذاته تحث على ضرورة

تفهم مبادئ العدل الالهي التي تجسدت بإرسال الانبياء واقرار جعل الارض لا تخلو من حجة الى قيام قائمها عليه السلام ، فضلا عن انها تحث الناس على الالتزام بمنهج الحق ونصرته واجتناب الباطل ومحاربته وغيرها من العناوين التي ارادها الشارع المقدس، ليس في الشرع الاسلامي فحسب؛ بل في جميع الاديان والمعتقدات[٧٨]، وبذلك يكون تعظيم الشعائر الحسينية مصداقاً لأداء فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبناءً على ما تقدم يتشكل عندنا قياس حاصله:

صغرى القياس: تعظيم شعائر الحسين عليه السلام امر بالمعروف ونهي عن المنكر.

كبرى القياس: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلوب شرعا.

النتيجة: تعظيم شعائر الحسين عليه السلام مطلوب شرعاً.

وبذلك يكون تعظيم كل شعيره من شعائر الامام الحسين عليه السلام مطلوبة شرعا، ويثبت لها ما ثبت لفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿**يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا**﴾[٧٩].

١: الاسوة لغة:

أسا: الإسوة والأسوة كالقِدوة والقُدوة: هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره، إن حسنا وإن قبيحا وإن سارا وإن ضاراً ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾، فوضعها بالحسنة، ويقال تأسيت به، والأسى: الحزن وحقيقة اتباع الفائت بالغم، يقال اسيت عليه اسى، واسيت له ؛ لذلك[٨٠] قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[٨١].

٢: تفسير الآية ودلالتها:

الآية الكريمة تخاطب المكلفين وترشدهم الى ان الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله في جميع ما يقوله ويفعله حسن عقلاً وجائز شرعاً، لمن كان يطمع في الخير من الله تعالى[٨٢]؛ بدلالة ضمير الخطاب في (لكم) الذي دل على ان التأسي برسول الله صلى الله عليه وآله خصلة جميلة زاكية لا يتصف بها كل من تسمى بالإيمان، وإنما يتصف بها من تلبس بحقيقة الايمان فكان يرجو الله واليوم الآخر ـ اي انه تعلق قلبه بالله فآمن به، وتعلق قلبه باليوم الآخر ـ[٨٣].

وقد قام الدليل على وجوب الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله في جميع افعاله، ويتعزى في جميع احواله[٨٤]، فقال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾[٨٥]، فمنطوق الآية صريح في وجوب الاقتداء[٨٦].

٣: الاستدلال على جواز اقامة الشعائر الحسينية:

بناءً على ما تقدم يبدو ان المؤمنين أُمروا بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله؛ ليتبعوه في الفكر والعمل والحب، ويشاركوه في كل ما يصيبه من حزن وفرح، وهذا التأسي مقيد بمن تعلق قلبه بالله واليوم الآخر، وآمن بهما، وهذه صفات من تلبس بحقيقة الإيمان، ومن المعلوم ان النبي صلى الله عليه وآله هو اول من عقد المآتم وحث عليها، وبكى الحسين عليه السلام، وان سيرة اولياء الله تعالى قائمة على احياء ذكر الامام الحسين عليه السلام والاشتراك في اقامة العزاء عليه بصورة جماعية مشتملة على كافة الوان الحزن والمواساة، وقد تقدم بيان ذلك في مطلب تاريخ اقامة الشعائر الحسينية، وهذا يدل على ان الله تعالى يحب للمؤمنين ان يقتدوا ويتأسوا بالانبياء والاولياء من خلال احياء شعائر الامام الحسين عليه السلام ؛ وبذلك يثبت اصل عام يفيد مشروعية اقامة الشعائر الحسينية وتعظيمها.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٨٧].

١: المودة لغة:

الود: وددت الرجل اوده وداً اذا احببته، والود: المودة[٨٨].

٢: المودة اصطلاحاً:

المودة: هي الحب الظاهر اثره على جوارح الانسان في مقام العمل[٨٩] .

٣: دلالة الآية الكريمة:

دلت الآية الكريمة على وجوب حب آل رسول الله ﷺ [٩٠]، وقد اكدت اكثر كتب التفسير ومصادر الحديث والسيرة والتاريخ ان الآية نزلت في قربى النبي ﷺ: علي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، فعندما نزلت الآية الكريمة قيل: «يا رسول الله ﷺ من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال: علي وفاطمة وابناؤهما عليهم السلام »[٩١]، واستدل الفخر الرازي بهذا الحديث على ثبوت القرابة للأربعة عليهم السلام الذين ذكروا، واذا ثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيد من التعظيم، واستدل بوجوه هي:

أ- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

ب - لاشك ان النبي ﷺ يحب فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام واذا ثبت ذلك وجب على الامة مثله، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٩٢]، ولقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٩٣].

ج - ان الدعاء لآل البيت عليهم السلام منصب عظيم ؛ ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وهو قوله: اللّٰهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وهذا التعظيم

لم يوجد في حق غير الآل، فكل ما تقدم يدل على ان حب محمد آل محمد ﷺ واجب، وقال الشافعي:

ياراكبا قف بالمحصب من منـــى	واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فـاض الحجيـج الى منى	فيضا كما نظــم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل مــحمـــد	فليشهد الثقـلان اني رافـضي[٩٤]

يبدو مما تقدم ان محبة آل البيت عليهم السلام واجبة، وتستلزم اظهار آثارها على الجوارح في مقام العمل، وهذه الخصوصية تنطبق في تعظيم الشعائر الحسينية ؛ لان الذين يعظمون الشعائر الحسينية تجتمع قلوبهم واعمالهم على محبة الامام الحسين عليه السلام، وبما ان الحب والمولاة يختلف من انسان لآخر ومن مظهر لمظهر يكون وجوب الاظهار عينيا اختياريا، عينياً ؛ لأن الجميع مكلف بمودة اهل البيت عليهم السلام، اما تخييريا ؛ لأن كل واحد يظهر مودته وولائه بطريقته الخاصة وبحسب استطاعته، فالبعض من خلال احياء شعائرهم والمشاركة في افراحهم واحزانهم عليهم السلام والبعض من خلال تاليف الكتب والنشر الفكري بحقهم عليهم السلام ونحو ذلك.

المطلب الثاني: السنة الشريفة:

وردت روايات كثيرة في جواز تعظيم الشعائر الحسينية بكافة الوانها، نتناول ابرزها في مقاصد ثلاث وكما يلي:

اولاً: روايات الاصل:

١: « كل شيء هو لك حلال حتى تعلم انه حرام بعينه فتدعه »[٩٥].

الرواية تقضي بان كل شيء محكوم بالحلية ما لم يصل دليل يثبت المنع منه او الالزام به ومن غير ذلك لا معنى لحرمة الاشياء بمجرد الاحتمال.

٢: « كل شيء مطلق حتى يرد فيه النهي »[٩٦].

مفاد هذه الرواية الرخصة في الفعل غير المعلوم ورود النهي فيه[٩٧] كما ان العقل يقضي بقبح عقاب الناس على فعل لم يصل اليهم دليل المنع منه ؛ لذلك اتفق الفقهاء والاصوليون على تأسيس قاعدة (قبح العقاب من غير بيان) واسموها بالبراءة العقلية[٩٨].

فعليه تنطبق اصالة الحلية على الشعائر الحسينية من حيث الاصل الاولي ما لم يرد دليل في التحريم ـ اي كل من يدعي عدم جواز تعظيم الشعائر الحسينية او بعض مصاديقها يطالب بالدليل على النهي، والا اصالة الحلية والاباحة هي الحاكمة.

ثانياً: السنة القولية:

قال الامام الصادق عليه السلام: « احيوا امرنا رحم الله من احيا امرنا »[٩٩].

الرواية بإطلاقها تنطبق على احياء الشعائر الحسينية بكافة اشكالها قديمها وحديثها، حيث قال الامام الصادق عليه السلام: « اجتمعوا وتذاكروا تحفّ بكم الملائكة، رحم الله من احيا امرنا »[١٠٠]، وورد عن شعيب العقرقوفي انه سمع الامام الصادق عليه السلام يقول لأصحابه: « اتقوا الله وكونوا اخوة متحابين بررة في الله متواصلين متراحمين تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا امرنا واحيوه »[١٠١]، الظاهر من هذه الروايات ان جوهرها يؤكد ضرورة وديمومة الحث على التفكير والمناقشة في هذه الشعيرة ومعرفة اسرارها وآثارها بما يحقق جملة امور لعل اهمها:

١- وحدة الصف الولائي تجاه اهل البيت عليهم السلام الذي ينتج عند رفض الظلم والظالمين على مر الدهور، وهو ما جسده اتباع اهل البيت عليهم السلام بشتى الاماكن والازمان بدءً من ثورة التوابين والى يومك هذا الذي يتجلى فيه رفض الظلم والطغيان الصهيوني فضلا عن طغيان البلاط السياسي لولاة الامر المزيفين في عالمنا الاسلامي وبالأخص منطقة الخليج العربي .

٢- التذكار فيما أُثِرَ عن اهل البيت عليهم السلام من عطاء فكري على جميع الصُعد العقائدية والفقهية والاصولية والتفسيرية؛ بل وحتى العلوم التطبيقية .

ثالثا: السنة الفعلية:

ان اول من بكى على الامام الحسين عليه السلام هو جده رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ان هبط الامين جبرائيل عليه السلام ومعه إثنا عشر ملكا محمرة وجوههم، وقد نشروا اجنحتهم واخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله بما سيجري على الامام الحسين عليه السلام ، وعرضوا عليه تربة كربلاء، فبكى وقال: «اللّٰهُمَّ اخذل من خذله، واقتل من قتله، واذبح من ذبحه، ولا تمتعه بما طلب »[١٠٢]، ثم اقام ما يقرب العشرين مأتما[١٠٣]، كذلك انّ سيرة الائمة الاطهار عليهم السلام والصحابة والتابعين لهم جرت على هذا النهج، فكان اول موكب عزاء وتلاقي الاحزان عند قبر الامام الحسين عليه السلام بين سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله والصحابي جابر بن عبد الله الانصاري وجماعة من بني هاشم كانوا قد قَدِموا لزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام، واقاموا المآتم المقرحة للقلوب ثلاثة ايام[١٠٤]، وجرت سيرة الائمة الاطهار عليهم السلام على دعوة الشعراء ؛ لرثاء الامام الحسين عليه السلام، فقد روى الصدوق ان دعبل الخزاعي لما انشد الامام الرضا عليه السلام :

إذا للطمت الخـــد فــاطم عنده   واجريت دمع العين في الوجنات

ارتفعت الاصوات بالبكاء وبكى الامام الرضا عليه السلام [١٠٥].

المطلب الثالث: دليل العقل:

اولاً: العقل يقضي باحترام العظماء من الاحياء والاموات واحياء ذكراهم، كما يقبح إهانة كل ما هو مقدس وعظيم في الدين.

ثانياً: العقل يقضي بحسن تعظيم الشعائر بكافة الوانها، سواء أكانت دينية او وطنية او انسانية، ومكافأة فاعلها بالمدح والثناء.

ثالثاً: ان الشريعة الغراء حثت المكلفين من البشر على السعي الى مرضاة الله

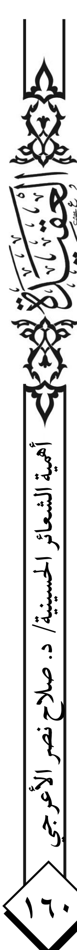
تعالى بشتى الوسائل، فإذا كانت الشعائر الحسينية في اهدافها تسعى الى اشاعة روح التآلف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ هوية المجتمع، وتنبيه الشباب الى خطورة الانحراف الفكري وضرورة الالتزام بالنهج القويم، فضلا عن ايقاد شعلة الثورة في النفوس ضد الظالمين، وهذه الامور يتوقف عليها حفظ الدين وتطبيق احكامه، فلا مانع من اقرار العقل بذلك ما دام انه يفضي بالإنسان الرسالي الى بر الامان.

الخاتمة والنتائج

اولاً: الشعائر عنوان عام يمكن انطباقه على كل ما يمكن ان يكون علامة، او اعلام دين الله، ولا تعني الدين نفسه، وانطباق مفهوم الشعائر على مفهوم الحج هو من باب انطباق العام على افراده.

ثانياً: الشعائر الحسينية هي الآثار الظاهرة على جوارح الانسان لإظهار الحب لقربى رسول الله صلى الله عليه وآله كما امر تعالى في قوله: ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾[١٠٦]، وأداء واجب الولاية يتطلب المحبة للعترة الطاهرة، ومن ضروريات المحبة إظهار الحزن والاسى ونحوهما .

ثالثاً: تواترت النصوص القرآنية والروائية الدالة على جواز احياء واقامة الشعائر الحسينية، فضلا عن دليل العقل.



*** هوامش البحث ***

(١) – سورة التوبة: الآية١٢٢ .

(٢) – ابن أبي جمهور: محمد بن علي بن إبراهيم الاحسائي ٨٨٠هـ، عوالي اللئالي، تــــ: أغا مجتبى العراقي، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، م: سيد الشهداء، قم ـ إيران، حـ ١ ،١ / ٨١.

(٣) - الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق ٣٢٩هـ، الكافي، تـــ: علي أكبر غفاري، ط٥، ١٤٠٤هـ، م: حيدري، ن: دار الكتب الإسلامية، طهران، حـ ٧، ١ / ٣١ .

(٤) - الفراهيدي: الخليل بن احمد ١٧٥هـ، العين، تـــ: د. مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، ط٢، ١٤٠٩هـ، م: الصدر، ن: مؤسسة دار الهجرة، ١ / ٢٥١.

(٥) - الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب الشيرازي ٨٧١هـ، القاموس المحيط، ط، ن: دار العلم للجميع ـ بيروت ـ لبنان، ٢ / ٦٠ .

(٦) – ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (٧١١هـ)، لسان العرب: ط.ن. أدب الحوزة، قم، ١٥٠٤هـ، ٤/ ٤١٣.

(٧) - الجوهري: اسماعيل بن حماد ٣٩٣هـ، الصحاح، تـــ: احمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧هـ، ط، ن: دار العلم للملايين ـ بيروت، ٢ / ٦٩٩.

(٨) - ابن فارس: احمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، تـــ: عبد السلام محمد هارون، ط، ن: مكتبة الاعلام الاسلامي، ١٤٠٤هـ، ٣ / ١٩٣-١٩٤.

(٩) - سورة المائدة: الآية / ٢.

(١٠) - الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان، تـــ: خليل الميس، ط، ن: دار الفكر، ١٤١٥ه ـ ١٩٩٥م، ٦ / ٧٤.

(١١) - الطوسي: محمد بن الحسن، التبيان، تـــ: احمد حبيب قصير العاملي، ط١، ١٤٠٩هـ، م: الاعلام الاسلامي، ٣/ ٤١٩.

(١٢) - ظ: الطبرسي: الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ط١، ١٤١٥ه ـ ١٩٩٥م، ن/ مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ـ لبنان، ٣ / ٢٦٢.

(١٣) - سورة الحج: الآية / ٣٠.

(١٤) - سورة الحج: الآية / ٣٢ .

(١٥) - الحر العاملي: محمد بن الحسن ١١٠٤ه: وسائل الشيعة، تـــ: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ، م: مهر، قم، بـ ١٢، حــ/ ٤٤، ٢٧ / ١٦٧.

(١٦) - السيوري الحلي: مقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد: كنز العرفان، م :القضاء في النجف الاشرف، ن/ دار الاضواء، ١ / ٢٧٥.

(١٧) - الاردبيلي: احمد بن محمد: زبدة البيان، تـــ: محمد باقر البهبودي، ن / المرتضوية لإحياء التراث الجعفري، ٢٣٠.

(١٨) - الاردبيلي، زبدة البيان، ٢٩٥.



(١٩) – الطباطبائي: محمد حسين، تفسير الميزان، تــــ، ن: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ٥ / ١٥٦ .

(٢٠) – سورة البقرة: الآية / ١٥٨ .

(٢١) – سورة الحج: الآية / ٣٦ .

(٢٢) – الحر العاملي: وسائل الشيعة، بــ١٣، حــ٢، ١٤ / ١٠٩ .

(٢٣) – م. ن، بــ١، حــ٦، ١٤ / ٨١.

(٢٤) – ظ: العلامة الحلي: الحسن بن يوسف بن علي، منتهى المطلب، ط، ن: مؤسسة الطبع في الاستانة بمشهد، ط١، ١٤١٥هـ، ٤ / ٣٨٠.

(٢٥) – ظ: الطباطبائي: علي، رياض المسائل، ط ١، ١٩٩٢م، م: دار الهادي، بيروت، ١ / ٢١٧.

(٢٦) – ظ: كاشف الغطاء: جعفر، كشف الغطاء، ن: مهدوي، اصفهان، ١ / ٩٦.

(٢٧) – البجنوردي: محمد حسن: القواعد الفقهية، تح: مهدي المهريزي ومحمد حسين درايتي، ط، ن: الهادي، قم، ايران، ١٤١٩هـ، ٥ / ٢٩٧.

(٢٨) – سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢٩) – سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٣٠) – سورة آل عمران: الآية ١٣٢.

(٣١) – سورة الاحزاب: الآية ٣٦.

(٣٢) – سورة الحشر: الآية ٧.

(٣٣) – سورة المائدة: الآية ٩٢ + سورة الانفال: الآية ١، ٤٦ + سورة المجادلة: الآية ١٣، + سورة التغابن: الآية ١٢ .

(٣٤) – ظ: الطباطبائي: تفسير الميزان، ٤ / ٣٨٩.

(٣٥) – البخاري: التاريخ الكبير، ط. ن: المكتبة الاسلامية، ديار بكر، تركيا، حــــ ٥٦٢، ١ / ١٨٣ + الصدوق: الامالي، حــــ ٥٩٨، ٤٤٦ + الحاكم النيسابوري: محمد بن محمد ٤٠٥ه: المستدرك: ط. ن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ، ٣ / ١٥٠ + الخطيب البغدادي: احمد بن علي ٤٦٣هـ، تاريخ بغداد، تــــ: مصطفى عبد القادر عطا، ط. ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ه ـ ١٩٧٩م، حــــ٢١٤٩، ٤ / ٣٨١ + الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة ٢٧٩ه: سنن الترمذي: تــــ، عبد الرحمن محمد عثمان، ط. ن: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣ه ـ ١٩٨٣م، حــــ٣٨٧٨، ٥ / ٣٢٩.

(٣٦) – زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام ١٢٢هـ، مسند زيد، ط. ن: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ،٤٦٣ + الصدوق: عيون اخبار الرضا عليه السلام ، بـــ٣١، حـــ٤، ١ / ٢٨ + الخزاز القمي: علي بن محمد بن علي الرازي ٤٠٠ه: كفاية الأثر، تـــ: عبد اللطيف الحسيني الخوئي، ١٤٠١هـ، م: الخيام، قم، ن: انتشارات بيدار، ٢٩٩ + الطوسي: الامالي، حـ٣٠ ،٣٦٦، الحر العاملي: وسائل الشيعة، بـــ١٧، حـــ٦، ١٦ / ٣٣٤ .

(٣٧) – الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ٣٨١ه: فضائل الشيعة، ط. ن: كانون انتشارات عابدي، طهران، حــــ٢، ٥ + الراوندي: فضل الله بن علي الحسني ٥٧١هـ، النوادر، تـــ: سعيد رضا علي عسكر، م. ن: دار الحديث، قم، ط١، ١٢٣ + السيوطي: جلال الدين ٩١١ه: الجامع الصغير، ط. ن: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١ه ـ ١٩٨١م، حـ١٥٩، ١ / ٣٠.

(٣٨) – سورة آل عمران: الآية ٦١ .

(٣٩) – الثعلبي: احمد ابو اسحاق ٤٢٧هـ، تفسير الثعلبي، تـــ: ابي محمد بن عاشور، ط. ن: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ه ـ ٢٠٠٢م، ٣ / ٨٥ + البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ٥١٠: تفسير البغوي، تـــ: خالد عبد الرحمن، ط. ن: دار المعرفة، ١ / ٣١٠ + الفخر الرازي: محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني ٦٠٦ه: تفسير الرازي، ط. ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ، ٨ / ٨٥ + ابي السعود: محمد بن محمد العمادي ٩٥١ه: تفسير ابي السعود، ط. ن: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢ / ٤٦ + الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني ١٢٧٠ه: تفسير الآلوسي، ط١، ١٤١٥هـ، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ٣ / ١٨٩.

(٤٠) – الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ٢ / ٦١٣ + الطوسي: تهذيب الاحكام، ٦ / ٩٧ + محمد المشهدي: المزار، ٥٢٨.

(٤١) – احمد بن حنبل: مسند احمد، ٤ / ١٧٢ + البخاري: الادب المفرد، ط. ن: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦ه ـ ١٩٨٦م، ٨٥ + الحاكم النيسابوري: المستدرك، ٣ / ١٧٧ + الترمذي: سنن الترمذي، ٥ / ٣٢٤ + المجلسي: بحار الانوار، ٤٣ / ٢٦١ + البروجردي: جامع احاديث الشيعة، ٢١ / ٤٧١.

(٤٢) – بن قولويه القمي: كامل الزيارات، حـــ١٢٨، ١١٧ + المجلسي: بحار الانوار، ٤٣ / ٢٧١.

(٤٣) – بن قولويه: كامل الزيارات: بـــ٣٦، حـــ١، ٢١٤.

(٤٤) – بن قولويه: كامل الزيارات: حـ٣، ٢١٥.
(٤٥) – سورة الشورى: الآية ٢٣.
(٤٦) – ظ: الطباطبائي: تفسير الميزان، ١٦ / ١٦٦.
(٤٧) – ابن حجر: احمد بن محمد بن علي ٩٧٤هـ، الصواعق المحرقة، ط. ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢ / ٤٣٥ + القندوزي: سليمان بن ابراهيم الحنفي ١٢٩٤هـ، ينابيع المودة لذوي القربى، تـــ علي جمال اشرف، ط. ن: دار الاسوة، ط١، ١٤١٦هـ، ٣ / ٣٥٢ + الشلبنجي: مؤمن بن حسن الشافعي المدني ١٣٠٨هـ، نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار، ط. ن: مطبعة القاهرة، مصر، ١٢٩٠هـ، ١٠٥.
(٤٨) – سورة الحج: الآية ٣٢.
(٤٩) – ظ: الطوسي: مجمع البيان، ٣ / ٢٦٤، ٧ / ١٥٠، كاشف الغطاء: كشف الغطاء، ٥٤ + النجفي: محمد حسن ١٢٦٦ه: جواهر الكلام، تـــ: عباس قوجان، ط٢، ١٤٠٦هـ، م: خورشيد، ن: دار الكتب الاسلامية، ٦ / ٩٨.
(٥٠) – شيخ العراقيين: عبد الرضا آل كاشف الغطاء: الانوار الحسينية والشعائر الاسلامية، ط. ن: مؤسسة كاشف الغطاء، النجف الاشرف، ١٤٢٣ه ـ ٢٠٠٢م، ٦ ـ ٧.
(٥١) – كاشف الغطاء: كشف الغطاء، ٥٤.
(٥٢) – النجفي: جواهر الكلام، ٦ / ٩٨.
(٥٣) – سورة البقرة: الآية ١٢٥.
(٥٤) – سورة البقرة: الآية ١٥٨.
(٥٥) – الشنقيطي: محمد بن محمد المختار الجكني١٣٩٣ه: اضواء البيان، تـــ: مكتب البحوث والدراسات، ط. ن: دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ه ـ ١٩٩٥م، ٤ / ٤٨١.
(٥٦) – الطبطبائي: تفسير الميزان، ١ / ٢٩٩.
(٥٧) – الصدوق: الخصال، ١ / ٥٨ + عيون اخبار الرضا، ٢ / ١٨٧.
(٥٨) – سورة آل عمران: الآية ١٠٤.
(٥٩) – ابن منظور: لسان العرب، ٤ / ٤١٣.
(٦٠) – م. ن: ٥ / ٢٣٣.
(٦١) – ظ: الراغب الاصفهاني: مفردات غريب القرآن، ٣٣١.
(٦٢) – ظ: الطبرسي: مجمع البيان، ١ / ٤٨٣.

(٦٣) – ابن شعبة البحراني: الحسن بن علي بن الحسين ق ٤، تحف الحقول، تـــ: علي اكبر غفاري، ط٢، ١٤٠٤هـ، ن: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ٢٣٧.

(٦٤) – ظ: الطوسي: التبيان، ٢ / ٥٤٩ + العلامة الحلي: مختلف الشيعة، تـ، ط. ن: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤١٣هـ، ٤ / ٥٦

(٦٥) – الآمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي ٥٥٠ه: غرر الحكم، ط. ن: مكتب الاعلام الاسلامي، ط٢، ١٤٢٠هـ، حـ٣٨، ٢ / ٥٠٥.

(٦٦) – الطوسي: التبيان، ٢ / ٥٤٩ + كاشف الغطاء: كشف الغطاء، ٤١٩ + النجفي: جواهر الكلام، ٢١ / ٣٥٢ + الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله البغدادي ١٢٧٠ه: روح المعاني، ط. ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ٤ / ٢١.

(٦٧) – محمد جواد مغنيه١٤٠٠ه: التفسير المبين، ط. ن: مؤسسة عز الدين، ط٢، ١٩٨٣م، ٨٠، للتفاصيل اكثر: ظ: القاضي عبد الجبار: عبد الجبار بن احمد الهمداني المعتزلي٤١٥ه: شرح الاصول الخمسة، تـــ: عبد الكريم العثمان، ن: مكتبة وهبه، ١٩٦٥م، ١٤٢، ٧٤٢ + المختصر في اصول الدين، تـــ: د. محمد عماره، مطبوع ضمن (رسائل العدل والتوحيد)، ط. ن: دار الهلال، ط١، مصر، ١٩٧١، ٢٤٨ .

(٦٨) – سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٦٩) – المراغي: احمد مصطفى: تفسير المراغي، ط. ن: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٥م، ٢ / ٢٢ .

(٧٠) – الزمخشري: الكشاف، ط. ن: مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١٣٨٥ه ـ ١٩٦٦م، ١ / ٤٥٢.

(٧١) – ظ: الطوسي: التبيان، ٢ / ٥٤٩ + الشوكاني: فتح القدير، ١ / ٣٦٩ + الزمخشري: الكشاف، ١ / ٤٥٢ .

(٧٢) – سورة آل عمران: الآية ١١٠ .

(٧٣) – ظ: المراغي: تفسير المراغي، ٤ / ٣٠ .

(٧٤) – ظ: المفيد: المقنعة، ٨٠٨ + كاشف الغطاء: كشف الغطاء، ٤١٩ + النجفي: جواهر الكلام، ٢١ / ٣٥٢ .

(٧٥) – احمد بن اعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ٥ / ٢١ + محسن الامين: لواعج الاشجان، ٣٠ + د. ابراهيم بيضون: التوابون، ٧٦ .

(٧٦) – سورة النحل: الآية ٣٦ .



(٧٧) – سورة الاعراف: الآية ٥٩.
(٧٨) – ظ: جعفر البياتي، الاخلاق الحسينية، ط١، ١٤١٨هـ، م: مهر، ن: انوار الهدى، ١٨ ـ ٢٠.
(٧٩) – سورة الاحزاب: الآية ٢١ .
(٨٠) – الراغب الاصفهاني: مفردات غريب القرآن، ١٨ .
(٨١) – سورة المائدة: الآية ٦٨ .
(٨٢) – الطوسي: التبيان، ٨ / ٣٢٧ .
(٨٣) – ظ: الطباطبائي: تفسير الميزان، ١٦ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
(٨٤) – ظ: القرطبي: محمد بن احمد الانصاري ٦٧١ه: الجامع لاحكام القرآن، ط١، ١٤٠٥ه ـ ١٩٨٥م، م: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ن: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤ / ١٥٥ .
(٨٥) – سورة الانعام: الآية ٩٠.
(٨٦) – ظ: الشهيد الاول: ذكرى الشيعة في احكام الشريعة، ٣ / ٤٦٦ .
(٨٧) – سورة الشورى: الآية ٢٣.
(٨٨) – ابن منظور: لسان العرب، ٣ / ٤٥٤.
(٨٩) – ظ: الطباطبائي: تفسير الميزان، ١٦ / ١٦٦.
(٩٠) – ظ: الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي ٦٠٦هـ، تفسير الرازي، ط. ن: دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٢٧ / ١٦٧.
(٩١) – احمد بن حنبل: مسند احمد، ١ / ٢٤٨، ٢٩٤، ٣٢٠ + الطبراني: المعجم الكبير: ١١ / ٣٥١ + المجلسي: بحار الانوار، ٢٣ / ٢٣٢.
(٩٢) – سورة الاعراف: الآية ١٥٨.
(٩٣) – سورة النور: الآية ٦٣.
(٩٤) – ظ: الفخر الرازي: تفسير الرازي، ٢٧ / ١٦٦.
(٩٥) – الكليني: الكافي، حـ٤٠، ٥ / ١١٣ + الطوسي: تهذيب الاحكام، حـ٩، ٧ / ٢٢٦ + الحر العاملي: وسائل الشيعة، بـ٤، حـ٤، ١٧ / ٩٨.
(٩٦) – الصدوق: من لا يحضره الفقيه، حـ٩٣٧، ١ / ٣١٧
(٩٧) – ظ: الانصاري: مرتضى ١٢٨١هـ، فرائد الاصول: تـ: لجنة تحقيق تراث الشيخ الاعظم، ط١، ١٤١٩هـ، م: باقري، قم، ن: مجمع الفكر الاسلامي، ٢ / ١٢.
(٩٨)– ظ: الانصاري: فرائد الاصول، ٢ / ٦٣.

(٩٩) – الطوسي: الامالي، ١٣٥ + الحر العاملي: وسائل الشيعة، ١٨ / ٦٦.

(١٠٠) – الصدوق: مصادقة الاخوان، تـــ: علي الخراساني الكاظمي، ١٤٠٢ه ـ ١٩٨٢م، ن: مكتبة الامام صاحب الزمان، الكاظمية، العراق، ٣٨ + الحر العاملي: وسائل الشيعة، حــ٩، ١٢ / ٢٢.

(١٠١) – الكليني: الكافي، حــ١، ٢ / ١٧٥ + الحر العاملي: وسائل الشيعة، حــ٨، ١٢ / ٢٢.

(١٠٢) – ابن اعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ٤ / ٣٢٤ + بن قولويه القمي: كامل الزيارات، حــ٨، ١٣٢.

(١٠٣)– تقدم ذكرها في تاريخ الشعائر الحسينية، ٦٠.

(١٠٤) – ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ١١٤.

(١٠٥) – الصدوق: عيون اخبار الرضا عليه السلام، ١ / ٢٩٧.

(١٠٦) – سورة الشورى: الآية ٢٣.



* المصادر والمراجع *

١– الاردبيلي: احمد بن محمد ٩٩٣ه: زبدة البيان، تـــ: محمد باقر البهبودي، ن / المرتضويه لإحياء التراث الجعفري .

٢– الانصاري: مرتضى ١٢٨١ه فرائد الاصول: تــ: لجنة تحقيق تراث الشيخ الاعظم، ط١، ١٤١٩هـ، م: باقري، قم، ن: مجمع الفكر الاسلامي .

٣– الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب الشيرازي ٨٧١هـ، القاموس المحيط، ط، ن: دار العلم للجميع ـ بيروت ـ لبنان .

٤– الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني ١٢٧٠ه: تفسير الآلوسي، ط١، ١٤١٥هـ، ن: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥– الآمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي ٥٥٠ه: غرر الحكم، ط. ن: مكتب الاعلام الاسلامي، ط٢ .

٦– البجنوردي: محمد حسن ١٣٩٥ه: القواعد الفقهية، تـــ: مهدي المهريزي ومحمد حسين درايتي، ط، ن: الهادي، قم، ايران، ١٤١٩ه .

٧– البخاري: البخاري: محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبه الجعفي (٢٥٦هـ): التاريخ الكبير، ط. ن: المكتبة الاسلامية، ديار بكر، تركيا .

٨– البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ٥١٠هـ: تفسير البغوي، تـــ: خالد عبد الرحمن، ط. ن: دار المعرفة .

٩- ابن شعبة البحراني: الحسن بن علي بن الحسين ق ٤، تحف الحقول، تـــ: علي اكبر غفاري، ط٢، ١٤٠٤هـ، ن: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
١٠- الخطيب البغدادي: احمد بن علي ٤٦٣هـ، تاريخ بغداد، تـــ: مصطفى عبد القادر عطا، ط. ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١١- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة ٢٧٩ه: سنن الترمذي: تـــ، عبد الرحمن محمد عثمان، ط. ن: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٢- الثعلبي: احمد ابو اسحاق ٤٢٧هـ، تفسير الثعلبي، تـــ: ابي محمد بن عاشور، ط. ن: دار احياء التراث العربي، بيروت.
١٣- جعفر البياتي، الاخلاق الحسينية، ط١، ١٤١٨هـ، م: مهر، ن: انوار الهدى .
١٤- ابن أبي جمهور: محمد بن علي بن إبراهيم الاحسائي ٨٨٠هـ، عوالي اللئالي، تـــ: أغا مجتبى العراقي، ط١، ١٤٠٣ه ـ ١٩٨٣م، م: سيد الشهداء، قم ـ إيران، حـ ١ ،١ / ٨١ .
١٥- الجوهري: اسماعيل بن حماد ٣٩٣هـ، الصحاح، تـــ: احمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧هـ ط، ن: دار العلم للملايين ـ بيروت .
١٦- ابن حجر: احمد بن محمد بن علي ٩٧٤هـ، الصواعق المحرقة، ط. ن: دار الكتب العلمية، بيروت .
١٧ ـ العلامة الحلي: الحسن بن يوسف بن علي، منتهى المطلب، ط، ن: مؤسسة الطبع في الاستانة بمشهد، ط١، ١٤١٥هـ.
+ مختلف الشيعة، تـ، ط. ن: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢ .
١٨- الخزاز: علي بن محمد بن علي الرازي ٤٠٠ه: كفاية الأثر، تـــــ: عبد اللطيف الحسيني الخوئي، ١٤٠١هـ، م: الخيام، قم، ن: انتشارات بيدار .
١٩- الخطيب البغدادي: احمد بن علي ٤٦٣هـ، تاريخ بغداد، تـــ: مصطفى عبد القادر عطا، ط. ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ .
٢٠- الفخر الرازي: محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني ٦٠٦ه: تفسير الرازي، ط. ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥ه .
٢١- الراوندي: فضل الله بن علي الحسني ٥٧١هـ، النوادر، تـــ: سعيد رضا علي عسكر، م. ن: دار الحديث، قم، ط١ .
٢٢- الزمخشري: الكشاف، ط. ن: مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١٣٨٥ه ـ ١٩٦٦م .
٢٣- زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام ١٢٢هـ، مسند زيد، ط. ن: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان .
٢٤- السيوري: مقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد: كنز العرفان، م :القضاء في النجف الاشرف، ن: دار الاضواء

٢٥- السيوطي: جلال الدين ٩١١ه: الجامع الصغير، ط. ن: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١ه ـ ١٩٨١م.
٢٦- ابي السعود: محمد بن محمد العمادي ٩٥١ه: تفسير ابي السعود، ط. ن: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان .
٢٧- الشلبنجي: مؤمن بن حسن الشافعي المدني ١٣٠٨هـ، نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار، ط. ن: مطبعة القاهرة، مصر، ١٢٩٠ه .
٢٨- الشنقيطي: محمد بن محمد المختار الجكني١٣٩٣ه: اضواء البيان، تـ: مكتب البحوث والدراسات، ط. ن: دار الفكر.
٢٩- الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ): علل الشرائع: تـ، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، ط. ن: المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥ه- ١٩٦٦م + عيون اخبار الرضا: ط. ن، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ه ـ ١٩٨٤م + معاني الاخبار: تـ، علي اكبر غفاري، ط. ن: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ه.
٣٠- الطباطبائي: علي، رياض المسائل، ط ١، ١٩٩٢م، م: دار الهادي، بيروت.
٣١- الطباطبائي: محمد حسين، تفسير الميزان، تـ، ن: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.
٣٢- الطبرسي: الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ط١، ١٤١٥ه ـ ١٩٩٥م، ن/ مؤسسة الاعلمي ـ بيروت ـ لبنان.
٣٣- الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان، تـ: خليل الميس، ط، ن: دار الفكر، ١٤١٥ه ـ ١٩٩٥م.
٣٤- الطوسي: محمد بن الحسن ٤٦٠هـ، التبيان، تـ: احمد حبيب قصير العاملي، ط١، ١٤٠٩هـ، م: الاعلام الاسلامي.
٣٥- كاشف الغطاء: جعفر، كشف الغطاء، ن/ مهدوي، اصفهان.
٣٦- الحر العاملي: محمد بن الحسن ١١٠٤ه: وسائل الشيعة، تـ: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ، م: مهر، قم .
٣٧- القاضي عبد الجبار: عبد الجبار بن احمد الهمداني المعتزلي٤١٥ه: شرح الاصول الخمسة، تـ: عبد الكريم العثمان، ن: مكتبة وهبه، ١٩٦٥م + المختصر في اصول الدين، تـ: د. محمد عماره، مطبوع ضمن (رسائل العدل والتوحيد)، ط. ن: دار الهلال، ط١، مصر .
٣٨- شيخ العراقيين: عبد الرضا آل كاشف الغطاء: الانوار الحسينية والشعائر الاسلامية، ط. ن: مؤسسة كاشف الغطاء، النجف الاشرف، ١٤٢٣ه ـ ٢٠٠٢م .



٣٩- ابن فارس: احمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة، تـــ: عبد السلام محمد هارون، ط، ن: مكتبة الاعلام الاسلامي، ١٤٠٤ه.

٤٠- الفراهيدي: الخليل بن احمد ١٧٥هـ، العين، تــ: د. مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، ط٢، ١٤٠٩هـ، م: الصدر، ن: مؤسسة دار الهجرة .

٤١- القرطبي: محمد بن احمد الانصاري ٦٧١ه: الجامع لاحكام القرآن، ط١، ١٤٠٥ه ـ ١٩٨٥م، م: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ن: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت .

٤٢- القندوزي: سليمان بن ابراهيم الحنفي ١٢٩٤هـ، ينابيع المودة لذوي القربى، تـــ علي جمال اشرف، ط. ن: دار الاسوة، ط١، ١٤١٦ه .

٤٣- الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق ٣٢٩هـ، الكافي، تـــ: علي أكبر غفاري، ط٥، ١٤٠٤هـ، م: حيدري، ن: دار الكتب الإسلامية، طهران .

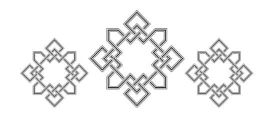
٤٤- محمد جواد مغنيه١٤٠٠ه: التفسير المبين، ط. ن: مؤسسة عز الدين، ط٢، ١٩٨٣م.

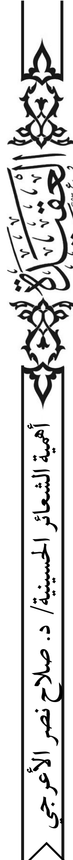
٤٥- النجفي: محمد حسن ١٢٦٦ه: جواهر الكلام، تــــ: عباس قوجان، ط٢، ١٤٠٦هـ، م: خورشيد، ن: دار الكتب الاسلامية .

٤٦- المراغي: احمد مصطفى: تفسير المراغي، ط. ن: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٥م .

٤٧- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (٧١١هـ): لسان العرب: ط. ن، ادب الحوزة، قم، ايران .

٤٨- الحاكم النيسابوري: محمد بن محمد ٤٠٥ه: المستدرك: ط. ن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ.







فلسفة الموت عند الإمام الحسين عليه السلام

أ.م.د. عباس علي الفحام

المقدمة

لا ريب في أن الكتابة عن عظيم مثل الحسين عليه السلام شرف وكرامة، فضلا عن أنه فرصة للبحث عما هو جديد وسط زحام البحوث الرائعة حول هذه الشخصية الإنسانية الإسلامية الكبيرة، ومن هنا جاء بحثنا بعنوان (فلسفة الموت عند الإمام الحسين عليه السلام) محاولا ترسم طريق جديد في البحث عن خبايا هذه الفلسفة، وقد وضعت لها خطة دراسة شملت تمهيدا ومبحثين، ضم التمهيد موضوع (الموت وكرامة الشهادة) وتحدثت فيه عن هبة الله لعباده المخلصين في نيل الشهادة ولاسيما أئمة أهل البيت عليهم السلام.

أما المبحث الأول فقد جاء بعنوان (الموت في فكر الإمام الحسين عليه السلام)، وبحثت فيه فكر الإمام عليه السلام في خلال عباراته للموت فكانت بالعنوانات الآتية: السعادة، والقلادة والوله، والعسل والحق.

وأما المبحث الثاني فقد درست فيه مسيرة الحسين عليه السلام نحو الموت وأسميته (رحلة الحياة) وضم أسس تلك الرحلة وهي:

أولاً: وضوح الغاية.

وثانياً: التسليم المطلق لله تعالى.

وثالثاً: الواقعية.

هذا وقد اعتمدت الصبغة التحليلية في النصوص الحسينية لمحاولة الوصول إلى رؤية الحسين عليه السلام وفلسفته للموت، ومن هنا كان جل اعتمادي على المصادر التاريخية التي وثقت كلامه عليه السلام، فضلا عن بعض معاجم اللغة والكتب النقدية والفكرية.

ويبقى همنا من ذلك كله تقديم هذه الحقيقة الخالدة التي اتخذها جميع الأحرار شعارا لهم ولقضاياهم المشروعة عبر تاريخ الإنسانية وحاضرها ومستقبلها، أسال الله تعالى التوفيق في هذا العمل إنه ولي حميد.

التمهيد

الموت وكرامة الشهادة

افتخر الشعراء الفرسان بطلب الموت في ساحات الوغى في التراث العربي قبل الإسلام، وعدوا ذلك جزءا من البطولة والشجاعة. وفي الإسلام اكتسب طلب الموت بعدا قدسيا، تمثل في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وعد الظفر بالشهادة في سبيل الله تعالى فوزا عظيما لا يناله إلا ذو حظ عظيم، وبشر الله تعالى الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فقال سبحانه: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ**﴾(١).

وفعلاً ارتبطت مفردة الشهادة بالعاقبة الحسنة وأصبحت أمنية المؤمنين.

ومما يلفت الانتباه إكرام الله تعالى لأحبائه بهذه النهاية السعيدة، ولاسيما النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين، ولو استعرضنا خواتيم حياتهم؛ لأدركنا

الفلسفة الجديدة للموت التي طرحها الإسلام في كرامة الشهادة، فجميعهم قضوا شهداء، إما بحد السيف وإما بالسم غيلة على يد عتاة عصورهم، فالرسول الكريم قضى مسموما بأكلة اليهودية غيلة، والإمام علي عليه السلام (ت٤٠هـ) قضى شهيد صلاته بسيف الشقي المرادي، والحسن الزكي(ت٥٠هـ) مات مسموما بجنود عسل معاوية، والحسين(ت٦١هـ) قضى شهيد ثورته على يد زبانية يزيد، والإمام علي زين العابدين(ت٩٥هـ) سمه الوليد بن عبد الملك، والإمام الباقر(ت١١٧هـ) مات مسموما على يد هشام الأموي، والإمام الصادق(ت١٤٨هـ) توفي مسموما بتدبير أبي جعفر المنصور، والإمام الكاظم (ت١٨٣هـ) قضى شهيد سجونه مسموما على يد هارون الرشيد، والإمام الرضا (ت٢٠٣هـ) قضى شهيد غربته مسموما على يد المأمون بن الرشيد، والإمام محمد الجواد (ت٢٢٠هـ) قضى شهيدا على يد المعتصم العباسي، والإمام الهادي(ت٢٥٤هـ) قضى مسموماً على يد المعتز العباسي، والإمام الحسن العسكري (ت٢٦٠هـ) مات مسموما على يد المعتمد العباسي[٢]، وهكذا قضى أبناؤهم وأحفادهم قتلا وتشريدا. ولا ريب في أن هذه الظاهرة تدل على مجموعة من الإشارات ينبغي الوقوف عليها ومنها:

أولاً: إن ذلك يدل على فاعلية أئمة أهل البيت وعمق تأثيرهم في مجتمعاتهم، الأمر الذي يقض مضاجع طغاة عصورهم بسبب خوفهم من انقلاب الناس عليهم وفقدان سلطتهم.

ثانياً: إن هؤلاء الطغاة يمثلون قمة الشر في أزمانهم؛ لأن من يقدم على جرائم قتل أولاد الأنبياء بدم بارد لابد من أن يكون من أشقى الأشقياء.

ثالثاً: إن لهؤلاء كرامة من الله تعالى تمثلت بالشهادة التي حباها الله تعالى لأودائه. وعلى حد تعبير الإمام زين العابدين مخاطبا عبيد الله بن زياد: «أبالقتل تهددني يا ابن زياد، أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة»[٣]. ومثله قول أبي عبد الله الصادق: «والله ما منا إلا مقتول أو شهيد»[٤].

رابعاً: الشعور المستحوذ على الطغاة بأحقية أهل البيت بخلافة الرسول الكريم ﷺ، وهو هاجس لايقوون على إخفائه إلا بإزالة الأئمة المعصومين من طريقهم. وقد توسل الطغاة العباسيون من أجل هدفهم في إضعاف التأثير العلوي في نفوس الناس مختلف الوسائل من الترغيب والترهيب فابتدعوا مذاهب فقهية جديدة، ووظفوا إعلامهم المتمثل بالشعر في ادعاء قرباهم من النبي ﷺ بحجة أنهم أولاد العم وأولئك أولاد البنت وقام شاعرهم مروان أبي حفصة يقول[5]:

أنّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لبني البناتِ وراثـــةُ الأعمامِ

بل لم يخف الرشيد ذلك فاحتج على الكاظم بأنه أولى بالخلافة منه بحجة أحقيته بوراثة النبي ﷺ، فقال له الإمام الكاظم: «لو عاش رسول الله ﷺ وخطب إليك ابنتك أكنت تزوجه ؟ قال: إي والله. قال: فلو عاش فخطب إلي أكان يحل لي أن أزوجه؟ قال: لا. قال: فهذا جواب ما سألت»[6]. فغضب الرشيد.

خامساً: النضال السلمي الذي انتهجه أئمة أهل البيت عليهم السلام من أجل إحداث التغيير وتعديل المسار، لاسيما بعد فاجعة كربلاء، الأمر الذي حير الطغاة في التعامل معه، فلجأوا إلى أسلوب التصفية الهادئة - إذا صح الكلام - بطريقة السم غيلة وغدرا.

المبحث الأول

الموت في فكر الإمام الحسين عليه السلام

ارتبطت مفردة الموت في المأثور الأدبي العربي بالشر ومعانيه بشكل عام، باستثناء تغني الفرسان بالموت والحرب من جهة الشجاعة والإباء، وقد حملت صور الشعراء كراهية للموت ورسمت له صورا بشعة كررها الشعراء كثيرا على مر العصور، مثل قول أبي ذؤيب الهذلي راثيا أبناءه :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كـل تميمــة لا تنفع

وقول ابن الرومي راثيا ولده الصغير[٧] :

ألا قاتــل الله المنايــا ورميهــا من القوم حبات القلوب على عمد

وفي العصر الحديث مثل هذه الصور كقول الجواهري [٨]:

أنا أبغض المــوت اللئيم وطيفه بغضي طيــوف مخاتــل نصاب

يهب الردى شيخوختي ويقيتها بكهــولتي ويقيتهــا بشبابي

ذئب ترصدني وفــوق نيوبــه دم إخوتي وأقــاربي وصحـابي

أما في مأثور أهل البيت عليهم السلام فلن تجد مثل هذه المعاني، ففي قول الإمام علي عليه السلام أكثر من صورة للموت ليس فيها مثل هذه الحدة من الكراهية كوصفه له بأنه: «زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب»[٩]. وقد لخص الإمام علي عليه السلام فلسفته في إقبال الموت عليه على أنه فوز حين أطلق صيحته المشهورة (فزت ورب الكعبة)[١٠] عندما ضرب رأسه الشريف ابن ملجم، وهو ساجد لله تعالى في صلاة الفجر، وهي صيحة فرح أذهلت الإنسانية وأبانت عن عمق ذوبانه في الله تعالى، واختزلت في ثلاث كلمات أكثر من ستة عقود من الجهاد والتفاني في الإخلاص للخالق العظيم. فهو لم يعلن فوزه هذا في مناسبات شبيهة بمثل هذه الضربة يوم الخندق مثلا، ولم يطلق صيحة الوجع على الإطلاق؛ بل أعلنها ربحا ومجازا نحو حياة أبدية خالدة تحت رحمة الخالق العظيم. وتلك لا ريب فلسفة عملية عميقة قدمها الإمام علي عليه السلام وورثها من بعده ولده عليهم السلام وتبعها الأحرار في مختلف العصور.

بهذا البصر النافذ نظر الحسين عليه السلام إلى إقباله على الموت، بوابة عظيمة من بوابات العبور إلى الفوز بالشهادة ورضوان الله تعالى وإحياء دين المصطفى صلى الله عليه وآله

ورفض الظلم والطغيان؛ لذلك كانت تعبيراته ناظرة إلى أبعد من زمانه الذي عاشه، إلى العصور كلها، وكأنه يعلم أنه سيكون شعار الأحرار وطالبي الحرية ورافضي الظلم عبر المستقبل الإنساني، فالتمس لأفكاره زيادة على ما ورث من آبائه من قيم البطولة والشهادة كلمات تستعمل في معاني الحب والاشتياق وقلما تستعمل في صور الموت، في ظاهرة تستحق من الباحثين الوقوف عليها مليا لاستجلاء خباياها وخفاياها، وكان أقلها روعة استبساله في الإيمان بفكرته والتضحية دونها ورؤيته للفوز الحقيقي المستقبلي على الرغم من يقينه بخسارته العسكرية الآنية، بعبارة ثانية قدم الحسين عليه السلام معنى جديدا للانتصارات والانكسارات في الحروب لا يمكن تبيانه إلا بالنظر الفاحص إلى قصة الحسين عليه السلام وعمق كلماته. ويمكن تلمس بعض الوقفات:

■ **السعادة:**

قال الحسين عليه السلام في مكة حين عزم على بدء الإعلان عن ثورته والمسير إلى العراق: «لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما»[11] . بهذا الحصر والقصر بأسلوب النفي والاستثناء، ينفي رؤيته للموت بغير رؤية الفرح والسعادة، والحياة مع الظلم والطغيان سوى الضجر والبرم. إن ذلك الموت الذي يقضي على الأنفاس ويقطع الآمال بكل ما يحمل من معاني التعلق بالحياة لا يعني للإمام سوى السعادة، سعادة لا يبصرها غيره؛ لأنها تتعلق بقيم غالية اختير لإحيائها وإن كان الثمن غاليا بقيمة دم الحسين وأبنائه وصحبه إلا أن الغاية أغلى وأثمن إنها إحياء الدين الإسلامي وسنة الرسول صلى الله عليه وآله، نعم إن ثمن دماء الحسين غال وخسارته بهذه الطريقة عزيزة نعم هي كل تلك المعاني التي نحيي لأجلها ذكراه على مدى القرون الماضية غير أن الهدف الأسمى يستحق ذلك، فالأمة التي استساغت لنفسها هذا الركون وهي ترى وتسمع كيف تسعى السلطة الأموية علنا لتشويه صورة الإسلام وتغيير شكله ومضمونه – أقول – إن الأمة لا يوقظ نومتها غير هذا

الثمن العظيم ولا ينبهها من نومتها سوى صيحات الحسين عليه السلام (ألا هل من ناصر ينصرنا) و(انسبوني معرفة من أنا) وغير صرخات أطفاله العطشى وسبي نسائه الثكلى كأسارى الديلم والروم.

لكل ذلك يسمي الحسين عليه السلام موته سعادة؛ لأنه حقق اختيارا إلهيا لهذه المهمة العظيمة؛ ولأنه أنجز واجبا أنيط به ونبأه بتفاصيله وفداحته جده العظيم وأبوه البطل صلوات الله عليهما وعلى آلهما.

■ **القلادة والوَلَه :**

يتداعى إلى الذهن حين تطلق لفظة (القلادة) منظر الفتاة ومعاني النعومة والانشداد إلى الحياة وملذاتها، غير أنها هذه المرة تخالف المخزون الذهني بقلب صورتها على وفق فلسفة الحسين عليه السلام، فقد قال عليه السلام في خطبته ذاتها التي عزم فيها على التوجه إلى العراق الذي هو رمز معارضة الطغيان على الرغم مما يقال عنه من غدر للحسين عليه السلام: «الحمد لله وما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف»(١٢). لا أذكر أحدا قدم للموت صورة جميلة في الظاهر سوى هذه الصورة التي تحمل فكراً عظيماً بعظمتها، فالإمام يريد أن للموت أثرا على المرء لابد منه وهو لصيق به، و لا يمكن نزعه عنه، وعقد له شبها يخالف ما أثر من الصورة المأثورة المنفرة عن الموت وذكر سماعه بالنسبة لغير الحسين وآل الحسين عليهم السلام، صورة أثر خط قلادة الفتاة المطوق لجيدها، وفي إيحاء الطوق المستبطن في معنى القلادة ما يشير إلى حتمية انقياد المرء إلى الموت، والانقياد يتم في العادة من الرقبة إمعانا في رسم صورة الاستسلام، على الرغم من أن ظاهر الصورة قلادة وفتاة، ويبدو أن اختيار الفتاة دون غيرها لولعها بديمومة لبس الحلي ديمومة تستبين معه آثار الطوق أكثر. إن تقديم هذه المعاني باستعمال الفعل المبني للمجهول (خُطّ) يشير أيضا إلى تلك الحتمية، إذ إن التصريح بالفاعل هنا لا مبرر له لأنه معلوم لدى

السامع وظاهر وهو الله تعالى، وطالما أنه حتمي قدر على كل ولد ابن آدم بأجناسهم وأديانهم المختلفة، وهو هنا يعني تلك المعاني؛ لأنه لم يستعمل بدلها لفظة (المسلمين أو المؤمنين)؛ بل (ولد آدم) على جهة العموم. أقول طالما أنه كذلك فما أشوق الإمام عليه السلام للالتحاق بآبائه مشبها ولهه هذا باشتياق يعقوب النبي لولده يوسف، في كناية واضحة إلى تطلعه إلى الفوز بالشهادة في سبيل الله تعالى. وهي من قوله تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ، قالُواْ تَاللّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ، قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّه وَأَعْلَمُ مِنَ اللّه مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(١٣).

إنّ عبارات الإمام الحسين عليه السلام وما تحمل من ألفاظ الوله والسعادة والاشتياق لا تدل إلا على عشق حقيقي عميق؛ لاغتنام فرصة الشهادة التي أولها الموت وآخرها لقاء الأحباب الماضين وغايتها نيل الفوز برضوان الله تعالى.

■ العسل:

كان الحسين عليه السلام في غاية الصراحة والواقعية مع أصحابه وأهل بيته في مواقفه كلها، فقد دعاهم غير مرة إلى الاختيار بين الرحيل أو البقاء إن شاؤا، وفي ليلة الواقعة قال لهم: «يا قوم ! إني في غد أقتل وتقتلون كلكم معي ولا يبقى منكم واحد. فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك، أو لا ترضى أن نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله ؟ ! فقال عليه السلام: جزاكم الله خيرا. ودعا لهم بخير، فأصبح وقتل وقتلوا معه أجمعون. فقال له القاسم بن الحسن عليه السلام: وأنا فيمن يقتل ؟ فأشفق عليه فقال له: يا بني ! كيف الموت عندك؟ قال: يا عم! أحلى من العسل! فقال عليه السلام: إي والله! فداك عمك، إنك لأحد من يقتل من الرجال معي بعد أن تبلي ببلاء عظيم»(١٤)، ومحل الشاهد قول القاسم ابن أخيه الحسن عليه السلام وتأييده له (أحلى من العسل) بهذه السهولة من التعبير عن الموت وبهذه الثقة العظيمة بالله تعالى. وكأن هذه الروح التواقة إلى ذلك اللقاء

الإلهي انتقلت بفعل العشق الحسيني إلى جميع أهل بيته وأصحابه الصغار منهم والكبار الرجال فيهم والنساء؛ لأن في قصص كربلاء من تلك الصور ما يعجز عن وصفه البيان ويقصر دون حده اللسان.

■ **الحق:**

وللموت معنى آخر في فكر أبي عبد الله الحسين عليه السلام هو (الحق)، ومن أجل إحقاق الحق ترخص النفوس، ففي حوارية بينه وبين ولده علي الأكبر في منطقة قريبة من ضواحي الكوفة تسمى (قصر بني مقاتل) ورد عن الإمام زين العابدين أنه: «لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء، ثم أمرنا بالرحيل، ففعلنا، قال: فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل، وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقة، ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا، فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، يا أبت ! جعلت فداك مم حمدت الله واسترجعت ؟ قال: يا بني! إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس على فرس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا، قال له: يا أبت ! لا أراك الله سوءا، ألسنا على الحق ؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد. قال: يا أبت ! إذا لا نبالي، نموت محقين. فقال له [الحسين عليه السلام]: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدا عن والده»[١٥]، ولاشك في أن هذه الصور البطولية تنقل لنا عظمة هذه النفوس وسر الله تعالى في اختيارها في قرابين التضحية؛ لأجل التغيير وهز العالم الإسلامي؛ لينتفض من جديد. فهي شخوص قالت وفعلت؛ بل إنها حين قالت فعلت أكثر مما قالت.

■ **هيهات منا الذلة:**

إن هذا الشعار الذي رفعه الحسين عليه السلام في إباء الذل وإيثار الموت لا يمكن



عده لزمن دون زمن إنه يسري من مفاصل مستقبل الإنسان سريان الدم في الشرايين، يصلح في كل زمان ويتخذ لغة لكل إنسان حر يناضل من أجل قضية يؤمن بها، ولعل ذلك من بعض اسرار الحياة للثورة الحسينية وهذا الفكر الوقاد الذي أحسن مخاطبة الإنسان وعرف لغاتها كلها، قال الحسين عليه السلام:

«ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا أخذ الدنية، يأبى الله ذلك لنا ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا إني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد، وخذلة الناصر»[١٦]. عقد الإمام لأسباب هذا الإباء صورتين متقابلتين: الأولى: صورة الدعي ابن الدعي ويعني به عبيد الله بن زياد، وهو دعي؛ لأنه مطعون النسب، فأبوه زياد - الملقب بابن أبيه - قد أغراه معاوية أن يلحقه بأبيه أبي سفيان شريطة الالتحاق باتباعه؛ ولذلك هو دعي وابن دعي. أو لأنه يدعي ما ليس له من الإمرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة قتال الحسين بعدّه خارجاً على بيعة الخليفة يزيد الفاسق والخارج على سنن الإنسانية فضلا عن الإسلامية، والأول هو الأرجح.

الصورة الثانية: صورة نفسه وأهله التي صرح بإبائها للذلة وأخذ الدنية، موضحا عزة المحتد وطيب الأرومة من الآباء الطيبين والأمهات الطاهرات اللواتي كنى عنهن بـ (حجور طابت) معرضا في الوقت ذاته بإيحاء خفي بالصورة المقابلة له حين ذكره بلفظ الدعي. إن مسألة الاستكانة بالوضع المنحرف القائم آنذاك يعني بالنسبة للحسين عليه السلام ذلّاً لا يمكن له الإقرار به؛ لذلك أعلنها صراحة وهو في المدينة حين طلب إليه بيعة ليزيد بن معاوية (إن مثلي لا يبايع مثله)، لا حين خير بين اثنتين القتل أو المبايعة التي سماها الذلة، وفضل الأولى معللا بأسباب معروفة لا تسمح بغير خيار الإباء فقال مباشرة على سبيل تواصل الكلام (وهيهات منا الذلة) وعدد منها:

أولاً: أنها قضية شرعية، إذ كيف لمسلم - فضلا عن الإمام الحسين ومنزلته بين المسلمين - مبايعة رجل معروف بخلاعته وخروجه العلني على قوانين السماء والشريعة من اللهو الماجن وشرب الخمر واللعب بالقرود وإتيان المحرمات.

الثاني: الطبيعة الاجتماعية المعروفة لهذه الأسرة الهاشمية المحمدية من الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة التي عبر عنها الإمام بـ (جدود طابت وحجور طهرت...) وأطلق عليها مختلف الصفات الأبية من الأنوف الحمية والنفوس الأبية وكلها من كنايات العز والشرف التي تأبى الذل والانقياد الأعمى للباطل وتفضل عليه الموت. ومن هنا أعقب هذه الإباء بما يعزز مكانة هذه الأسرة؛ فقال معلنا أنه زاحف بها للتغيير، ولا أدري هل فهم الناس وقتها بعد معنى كلامه هذا؛ لأن العربي من طبيعته وقت الحرب أن يصون عرضه ولا يعرضه لأخطار الحرب والسبي، بينما الحسين عليه السلام يعلن أنه سيزحف إشعارا ببدء حربه السلمية بدلالة لفظ (الأسرة) وأي أسرة إنها أسرة آل محمد وحرمه الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.



المبحث الثاني

رحلة الحياة

قدّم الإمام الحسين عليه السلام رؤيته في ثورته على حكم الطاغية الأموي، تلك الرؤية القائمة على فكر قرآني وتطبيق محمدي علوي، ربط فيه النظرية بالتطبيق. ومن هنا تبدو قيمة التنظيرات عبر التاريخ الإنساني وعمق أثرها في الإنسان على طول المدى. وقد حدد الحسين عليه السلام هدفه منذ عزم على الخروج من المدينة إلى العراق، وأبان عنه غير مرة وعلى طول طريقه من مكة إلى العراق، وأخبر الجميع بأنه ذاهب إلى حتفه الذي أطلقنا عليه رحلة الحياة التي سنرى كيف نظر إليها الحسين عليه السلام بأنها الفتح مرة وبأنها الخلود تارة أخرى. بدأت رحلة الموت التي صح

تسميتها برحلة الحياة على أسس ثابتة يمكن عدها فلسفة جديدة في التاريخ الإنساني والإسلامي سنحاول حصرها بما يأتي:

أولا: وضوح الغاية:

أبان الحسين عليه السلام - فيلسوف التضحية - بكل وضوح عن غايته من مسيرته الثورية التصحيحية في أكثر من مرة وفي أكثر من موضع، فمن كتاب له إلى أخيه محمد بن الحنفية، قال: «إني لم أخرج أشرا ولا بطرا، ولا ظالما، ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[١٧]، وفي مكة قطع حجه وأعلن عزمه على الخروج إلى العراق موطن الثورات الحرة، فقام خطيبا في الناس، فقال: «... وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم، خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحا إن شاء الله»[١٨]. ومرة ثانية يعي الحسين خطورة الموقف وينعى نفسه بنفسه (كأني بأوصالي تقطعها ذئاب الصحراء - مجازا أو حقيقة -)؛ لأن الهدف سام والغاية نبيلة، ولا سبيل إلى تحقيقها إلا بهذه الدماء الزكية في ذلك الزمان والمكان الموعود بهما (النواويس وكربلاء). وقد تكرر مثل هذا الوضوح لديه عليه السلام كثيرا نحو قوله: «والله! ليعتدُنّ علي كما اعتدت اليهود في السبت»[١٩].

وفي منطقة قريبة من الكوفة تسمى بذي حسم قام الحسين عليه السلام خطيبا في الناس موضحا أهداف ثورته بعد حمد الله والثناء عليه: «. . إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، واستمرت جدا ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق

لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا». [٢٠] فهي المعركة الأزلية في الحياة الدنيا بين الحق والباطل، وليس ثمة خيار للمؤمنين إلا ابتغاء الحق ولقاء الله تعالى به. ومن اللافت للانتباه إن هذه الخطبة تكاد تكون نسخة مكررة من خطب أبيه الإمام علي عليه السلام في التحذير من الركون إلى الدنيا، ، وهي قوله عليه السلام: «إلا وإنّ الدنيا قد ولَّتْ حذّاء فلم يبقَ منها إلاّ صُبابةٌ كصُبابة الإناءِ اصطبّها صابُّها»[٢١]، وقوله: «أَلا وإنّ الدُّنيا قد تصرّمتْ وآذنَتْ بِوَداعٍ وتَنَكَّرَ معروفُها فأدْبَرتْ حذّاءَ»[٢٢]. والصُّبابة وهي ما تبقّى في الإناء[٢٣] استُعيرت؛ لتبيان بقيتها القليلة، وليس كالتشبيه بالحسّ في (صبابة الإناء) أصلح لبيان مقدار تلك القِلّة، فما تبقّى من الدنيا قليلٌ مثلُ عدمه؛ ولهذا يُشعر بشيء من التهكم والتحقير بقوله «اصطبها صابها» وهي بمثابة قولهم (تركها تاركها) [٢٤].

ولا ريب في أن الحسين عليه السلام كان قد حفظ كلمات أبيه وجرت على لسانه، وكثيرا ما كان الأئمة الطاهرون يطيب لهم تكرار كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام وترديد عباراته كما فعل الإمام زين العابدين وهو يواري جسد أبيه الحسين عليه السلام الثرى قائلا: «أمّا حزنيَ فسرمدُ، وأما ليلي فمسهَّد»[٢٥]. وتلك كلمات أمير المؤمنين عليه السلام راثياً زوجه فاطمة الزهراء عليها السلام وهو يواريها الثرى، وما أشبه الحالين!

ثانيا: التسليم المطلق لله تعالى:

أوكل الحسين أمره إلى الله تعالى وسلم له سبحانه تسليما مطلقا، وهو بعد تسليم العارفين العاملين، تسليم إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام في رؤياه بذبحه في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [٢٦]، هذا التسليم المطلق يكسب هذه المسيرة بعدا روحيا قد يصعب فهمه حتى على المقربين من الحسين عليه السلام من إخوته وأبناء عمه؛ لأن ثمة أسئلة كثيرة ستطرح هنا عن استغراب مسيره بأسرته إلى المجهول في نظرهم أما بالنسبة للحسين عليه السلام فلاشك

في أنه معلوم أو لنقل تسليم مطلق ومعرفة خالصة بالله تعالى، وقد ورد أنه «سار محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة فقال: يا أخي ! إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال عليه السلام: يا أخي ! قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت. فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن، أو بعض نواحي البر، فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد. فقال عليه السلام: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال له: يا أخي ! ألم تعدني النظر فيما سألتك، قال عليه السلام: بلى. قال: فما حداك على الخروج عاجلا. فقال عليه السلام: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين عليه السلام ! اخرج فإن الله، قد شاء أن يراك قتيلا. فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون ! فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال ؟ ! فقال له: قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا. وسلم عليه ومضى»[٢٧]، وفي يقيني إن قضية حمل الحسين عليه السلام لأسرته فيها الكثير من المعاني الغائبة عن الناظرين وقتها، ويعسر فهمها بسهولة على العقول، ولا يمكن معرفة أسرار تعريض الأسرة الحسينية إلى ما تعرضت إليه من أنواع الكوارث من سبي وضرب وسوق وغيرها مما يأباه العربي لنسائه فضلا عن الهاشمي العلوي إلا بعد الرسالة العظيمة التي قامت بها هذه الأسرة من إكمال للثورة الحسينية وتبليغ الأمة حجم ما انتهكت من حرمات، فكانت هذه العائلة التي أحسن ما توصف بأنها حرم الله مشهد حسيني متنقل من قصبة إلى أخرى ومن مدينة إلى ثانية، وكأن الله أراد لكربلاء وما شهدت من سويعات تلك المعركة الرهيبة أن يراها الناس ماثلة أمامهم بشخوص هذه الحرائر وصور تلك الأطفال التي لا أشك في أنها قطع من الملائكة تجوب المدن والأسواق.

ولست أشك في أن مثل محمد بن الحنفية لا يعزب عنه أن أوان رحلة الحسين قد بدأ وأن قصة استشهاده لا محالة واقعة فهي مما بكى لها الرسول صلى الله عليه وآله وخواصه من أهل بيته، وحفظ تفاصيلها أبناؤه ومنهم محمد بن الحنفية فهو القائل له حين وداعه: «يا أخي، أستودعك الله من شهيد مظلوم»[٢٨]، أقول لست أشك في ذلك كله غير أن الأمر إذا وصل إلى النساء والأطفال قد يذهل المرء أمامه ويغفل سر معرفته حاشا الحسين عليه السلام.

وفي شاهد آخر، والحق محطات رحلة الحسين عليه السلام كلها شواهد، ولكن كلما اقتربنا من لحظة الحدث من الزمان والمكان سنشهد تسليما منقطع النظير، فمما نقل عن الإمام زين العابدين عليه السلام شاهد الحدث قوله: «إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده حوي [٢٩] مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهر أف لك من خليل　　كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل　　والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر إلى الجليل　　وكل حي سالك السبيل

فأعادها مرتين، أو ثلاثا حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكوت، فعلمت أن البلاء قد نزل. فأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت - وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع - فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها - وإنها لحاسرة - حتى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة ! اليوم ماتت فاطمة أمي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي! فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: يا أخية ! لا يذهبن بحلمك الشيطان. قالت: بأبي أنت وأمي، يا أبا عبد الله ! أستقتلت ؟ نفسي فداك. فرد غصته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلا لنام ! قالت: يا ويلتي! أفتغصب نفسك اغتصابا ؟ ! فذلك

أقرح لقلبي وأشد على نفسي ! ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقته وخرت مغشيا عليها ! فقام إليها الحسين عليه السلام، فصب على وجهها الماء وقال لها: يا أخية ! اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة. فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أخية ! إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيبا، ولا تخمشي علي وجها، ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت. ثم جاء بها حتى أجلسها عندي»[٣٠]. إن هذا النعي التفصيلي المبكر من الحسين لنفسه يعجز عن بيانه أمثالي، ولا مثيل له في تاريخنا غير الحسين عليه السلام نفسه؛ لأنه تنظير وتطبيق في الوقت ذاته، نعم، توجد له شواهد من آبائه عليهم السلام وهي لا ريب عظيمة، إلا أن الله دفعها عن أصحابها كما قدمنا بفداء إسماعيل بذبح عظيم، وكما دفع الله تعالى عن فداء الإمام علي عليه السلام بنفسه للنبي صلى الله عليه وآله يوم نام في فراشه. ومن هنا نفهم سرّ حرارة مصيبة الحسين ووقع شدتها على النفوس على مر التاريخ.

وفي غداة العاشر من المحرم صلى بأصحابه، ثم التفت إليهم فقال: «إن الله قد أذن في قتلكم فعليكم بالصبر»[٣١].

ثالثا: الواقعية :

يمكن عد رحلة الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق والأماكن المختلفة التي أوقف فيها رحله؛ ليستريح بمثابة عملية نخل للناس- وأقول للناس - على وجه العموم ولا اخص المسلمين؛ لأنّ أصحاب الحسين عليه السلام الذين التحقوا به طوائف كثيرة لا يجمعهم مكان واحد أو دين واحد، فمنهم النصارى كأبي وهب، ومنهم العبيد كجون ومنهم المسلمون، غير أنهم جمعهم خلوص النية وصفاء

السريرة ومحبة الحسين وجده وأبيه عليهم السلام، وقد كانت هذه الرحلة فرصة الالتحاق للظفر بهذا الفوز. إنهم حقا نخالة البشرية وخلاصة الماضين واللاحقين.

وكان طبيعيا أن يكونوا بهذه القلة من العدد على الرغم من المكانة المعروفة للحسين عليه السلام بين المسلمين، ولاسيما إذا أضفنا إلى ذلك أسبابا كثيرة كقدرة السلطة الأموية على عزل ركب الحسين عليه السلام عن التواصل مع الجمهور بمحاصرة المدن وقطع الطريق على الخارجين للالتحاق بالركب الحسيني.

على أية حال، كان الخطاب الحسيني واقعيا، ليست به حاجة إلى التعبئة والتحشيد كما يصنع القادة العسكريون من المبالغة والتمنيات؛ لأنّ مهمته نوعية ومؤثرة لا تتطلب مثل ذلك الخطاب؛ لذلك جمع أصحابه واهل بيته وخاطبهم بأبلغ خطاب صريح «قال علي بن الحسين عليهما السلام: كنت مع أبي الليلة التي قتل صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جملا، فإن القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حل وسعة. فقالوا: لا، والله ! لا يكون هذا أبدا. قال: إنكم تقتلون غدا كذلك، لا يفلت منكم رجل. قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك. ثم دعا، وقال لهم: إرفعوا رؤوسكم وانظروا. فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان ! وهذا قصرك يا فلان ! وهذه درجتك يا فلان ! فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة» [٣٢]، وما كان من رد أصحابه وأهل بيته إلا أن يكون حماسيا اعتصر الدنيا فداء وبطولة ووفاء، فهذا العباس عليه السلام أخوه قال بملء الفم: «لم نفعل ذلك ؟ ألنبقى بعدك ؟ ! لا أرانا الله ذلك أبدا!» [٣٣]، واتبعه إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر عليه فتكلموا بمثله ونحوه. فقال الحسين عليه السلام: «يا بني عقيل! حسبكم من القتل بمسلم، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم. قالوا: سبحان الله ! فما يقول الناس ؟ يقولون: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب

معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله ما نفعل ! ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك ! فقبح الله العيش بعدك !»[٣٤].

وخطب أصحابه بمثل هذه الواقعية الحماسية البطولية فقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: «أنحن نخلي عنك، وبما نعتذر إلى الله في أداء حقك ! أما والله! حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة. والله ! لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله ! لو قد علمت أني أقتل، ثم أحيى، ثم أحرق، ثم أحيى، ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً. وتكلم زهير بن القين وجماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً»[٣٥].

وفي موضع آخر اختبر الحسين عليه السلام بعض أصحابه في حوارية قل نظيرها ووجب علي نقلها كاملة؛ لأنها تبين عن عمق التأثير الحسيني في أصحابه ورفقاء مسيرته وسريان فلسفته للموت والفداء من أجل العقيدة إلى نفوس محبيه، إذ ورد أنه «ما نزل الحسين عليه السلام في كربلاء كان أخص أصحابه به، وأكثرهم ملازمة له هلال بن نافع سيما في مظان الاغتيال؛ لأنه كان حازما بصيرا بالسياسة، فخرج الحسين عليه السلام ذات ليلة إلى خارج الخيم حتى أبعد [بعد] فتقلد هلال سيفه وأسرع في مشيه حتى لحقه، فرآه يختبر الثنايا والعقبات والأكمات المشرفة على المنزل. ثم التفت إلى خلفه فرآني، فقال عليه السلام: من الرجل، هلال ؟ قلت: نعم، جعلني الله فداك! أزعجني خروجك ليلا إلى جهة معسكر هذا الطاغي. فقال: يا هلال ! خرجت أتفقد هذه التلاع مخافة أن تكون كناء [مكمنا] لهجوم الخيل على مخيمنا يوم تحملون ويحملون. ثم رجع وهو قابض على يساري ويقول: هي هي، والله ! وعد لا خلف فيه ! ثم قال: يا هلال ! ألا تسلك ما بين هذين الجبلين من وقتك هذا وانج بنفسك. فوقع على قدميه وقال: إذا ثكلت هلالا أمه ! سيدي، إن سيفي

بألف وفرسي مثله، فو الله الذي من علي بك لا أفارقك حتى يكلا عن فري وجري. ثم فارقني ودخل خيمة أخته، فوقفت إلى جنبها رجاء أن يسرع في خروجه منها، فاستقبلته ووضعت له متكئا وجلس يحدثها سرا، فما لبثت أن اختنقت بعبرتها وقالت: وا أخاه! أشاهد مصرعك وأبتلى برعاية هذه المذاعير من النساء والقوم كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم، ذلك خطب جسيم يعز علي مصرع هؤلاء الفتية الصفوة وأقمار بني هاشم ! ثم قالت: أخي، هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة ! فبكى عليه السلام وقال: أما والله! لقد نهرتهم وبلوتهم وليس فيهم [إلا] الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه. فلما سمع هلال ذلك بكى رقة ورجع، وجعل طريقه على منزل حبيب بن مظاهر، فرآه جالسا وبيده سيف مصلت، فسلم عليه وجلس على باب الخيمة. ثم قال له: ما أخرجك يا هلال!؟ فحكيت له ما كان، فقال: إي والله ! لولا انتظار أمره لعاجلتهم، وعالجتهم هذه الليلة بسيفي! ثم قال هلال: يا حبيبي! فارقت الحسين عليه السلام عند أخته وهي في حال وجل ورعب، وأظن أن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة والزفرة، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجههن بكلام يسكن قلوبهن ويذهب رعبهن، فلقد شاهدت منها ما لا قرار لي مع بقائه، فقال له: طوع إرادتك! فبرز حبيب ناحية وهلال إلى جانبه وانتدب أصحابه فتطالعوا من منازلهم، فلما اجتمعوا قال لبني هاشم: ارجعوا إلى منازلكم لا سهرت عيونكم، ثم خطب أصحابه وقال: يا أصحاب الحمية ! وليوث الكريهة هذا هلال يخبرني الساعة بكيت وكيت، وقد خلف أخت سيدكم وبقايا عياله يتشاكين ويتباكين، أخبروني عما أنتم عليه. فجردوا صوارمهم ورموا عمائمهم وقالوا: ياحبيب! أما والله الذي من علينا بهذا الموقف لئن زحف القوم لنحصدن رؤوسهم ولنلحقنهم بأشياخهم أذلاء صاغرين ولنحفظن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في أبنائه وبناته. فقال: هلموا معي، فقام يخبط الأرض وهم يعدون خلفه حتى وقف بين

أطناب الخيم ونادى: يا أهلنا، ويا ساداتنا، ويا معاشر حرائر رسول الله ! هذه صوارم فتيانكم آلوا أن لا يغمدوها إلا في رقاب من يبتغي السوء فيكم، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا أن لا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم. فقال الحسين عليه السلام: أخرجن عليهم، يا آل الله ! فخرجن وهن ينتدبن، وهن يقلن: حاموا أيها الطيبون ! عن الفاطميات، ما عذركم إذا لقينا جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وشكونا إليه ما نزل بنا !؟ وقال: أليس حبيب وأصحاب حبيب كانوا حاضرين يسمعون وينظرون؟ فوالله الذي لا إله إلا هو ! لقد ضجوا ضجة ماجت منها الأرض واجتمعت لها خيولهم، وكان لها جولة واختلاف وصهيل حتى كأن كلا ينادي صاحبه وفارسه !»[٣٦] . وماذا أكثر من ذلك في هذا الاختبار ؟ وماذا أكثر من ذلك في هذا الجواب؟ أليس هؤلاء خلاصة الناس وأصفياءهم، ومن هنا خطب فيهم الحسين عليه السلام في تلك الليلة العظيمة قائلاً: «.. أما بعد، فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعا خيرا» [٣٧].

ومجمل القول كان الموت في نظر الحسين عليه السلام فلسفة إحياء للدين ومشروع استنهاض للأمة فكانت كربلاء بحق صور ذلك الإحياء والاستنهاض.

الخاتمة

توضحت من رحلة البحث مجموعة من النتائج تنحصر على النحو الآتي:

أولاً: قدم الحسين عليه السلام رؤية جديدة في قضية الموت تعلقت بالكيفية التي يحيي بها الدين ويهز بها مشاعر الأمة.

ثانياً: تمثل الحسين الموت سبيلا لحياة الخلود فجرى على لسانه بألفاظ العشق والوله على غير عادة المأثور الأدبي في تصوير الموت.

ثالثاً: قامت رحلة الحسين عليه السلام التي سميناها رحلة الحياة على أسس في غاية الوضوح والتسليم والواقعية.

*** هوامش البحث ***

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) ينظر في ذلك: الأربلي، كشف الغمة: ٣/ ٢٢٧، الفصول المهمة، ابن الصباغ: ٢/ ٦٨١، ٢/ ٨٧٤، ٢/ ٩٠٢، ٢/ ٩٢٠، ٢/ ٩٦٠، ٢/ ١٠٥٢، ٢/ ١٠٥٨، ٢/ ١٠٧٦، ٢/ ١٠٩٣، الطبرسي، إعلام الورى: ٢/ ١٣١.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٩٥، بلاغة علي بن الحسين، جعفر عباس حائري: ٢٥١.

(٤) الطبرسي، إعلام الورى: ٣٦٧، كشف الغمة، الإربلي: ٣/ ٢٢٧، الفصول المهمة، ابن الصباغ: ٢/ ١٠٩٣.

(٥) ظ. عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١/ ١٨٩.

(٦) مقاتل الطالبيين، الأصفهاني: ٣١٥.

(٧) ديوان ابن الرومي، تحقيق عبد الأمير علي مهنا: ١٤٥.

(٨) ديوان الجواهري، الأعمال الكاملة: ٤/ ٧٢٦.

(٩) نهج البلاغة، بشرح محمد عبده: ٢/ ٢٢٤.

(١٠) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ١/ ٣٨٥.

(١١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ٢٢٤، ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر: ٣١٦.

(١٢) كشف الغمة، الإربلي: ٢/ ٢٣٩، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٣٩٨.

(١٣) يوسف: ٨٤-٨٦.

(١٤) الهداية الكبرى، الخصيبي: ٢٠٤، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٤٨٧.

(١٥) مقتل الحسين، أبو مخنف: ٩٢، الإرشاد، الشيخ المفيد: ٢/ ٨٢، تاريخ الطبري، الطبري: ٤/ ٣٠٨.

(١٦): اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٥٩.

(١٧) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣/ ٢٤١، حياة الإمام الحسين عليه السلام، باقر شريف



القرشي: ١/ ١٢.

(١٨) كشف الغمة، الإربلي: ٢/ ٢٣٩.

(١٩) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤/ ٣٨.

(٢٠) مقتل الحسين، ابو مخنف: ٨٦.

(٢١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٢ / ٣١٨.

(٢٢) المصدر نفسه: ٣/ ٣٣٢.

(٢٣) ظ. لسان العرب، ابن منظور: مادة (صبب).

(٢٤) ظ. التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام، عباس الفحام: ٨٩.

(٢٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١٠/ ٢٥٦.

(٢٦) الصافات: ١٠٢.

(٢٧) اللهوف، ابن طاووس: ٤٠.

(٢٨) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٠٦.

(٢٩) الكامل، ابن الأثير: ٤/ ٥٨، وحوي هو جون بن حوي.

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥/ ٨٧.

(٣٢) الجرائح والخرائج، الراوندي: ٢/ ٨٤٧.

(٣٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٨٤.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) الإرشاد، الشيخ المفيد: ٢/ ٩١، موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٩٣.

(٣٧) الإرشاد، الشيخ المفيد: ٢/ ٩١.

* مصادر البحث *

القرآن الكريم.

١. الإرشاد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد (ت ٤١٣هـ)، صححه واخرجه: السيد كاظم الموسوي المياموي، مطبعة طهران، سوق السلطان ١٣٧٧هـ.

٢. ديوان ابن الرومي، ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنا، ط٢، دار مكتبة الهلال، لبنان، ١٩٩٨م.
٣. إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي(ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، مطبعة ستارة – قم، ١٤١٧هـ.
٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.
٥. بلاغة الإمام علي بن الحسين، جعفرعباس حائري، ط١، ١٤٢٥هـ، مطبعة دار الحديث، ايران
٦. التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام، د. عباس الفحام، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان الأردن ٢٠١٢.
٧. ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر(ت٥٧١هـ)، تح: محمد باقر المحمودي، ط، ٢، مطبعة فروردين ١٤١٤هـ.
٨. الجرائح والخرائج، قطب الدين الراوندي(ت٥٧٣هـ)، تح: مؤسسة الإمام المهدي، ط١، ١٤٠٩هـ، مطبعة العلمية قم.
٩. حياة الإمام الحسين عليه السلام، باقر شريف القرشي، الطبعة الرابعة، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٤.
١٠. ديوان الجواهري ، الأعمال الكاملة (١-٧) للشاعر محمد مهدي الجواهري، دار الحرية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية – بغداد ٢٠٠١م.
١١. عيون أخبار الرضا، الصدوق(ت٣٨١هـ)، تح: حسين الأعلمي، ١٩٨٤، مطبعة الأعلمي. لبنان.
١٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦ هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥٩م.
١٣. الفصول المهمة في معرفة الئمة، ابن الصباغ(ت٨٥٥هـ)، تح: سامي الغريري، مطبعة دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٤. الكامل في التاريخ، ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) دار صادر ودار بيروت -بيروت. ١٩٦٦م.
١٥. كشف الغمة، ابن أبي الفتح الإربلي(ت٦٩٣هـ)، دار الأضواء لبنان.
١٦. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري(ت ٧١١هـ). دار صادر ودار بيروت، لبنان ١٣٧٩هـ_ ١٩٥٥م.
١٧. اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس(ت٦٦٤هـ)، ط١، ١٤١٧هـ، مطبعة مهر.



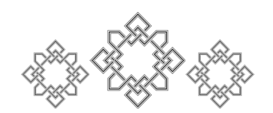
١٨. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦هـ)، تح: كاظم المظفر، ط٢، النجف الأشرف، ١٩٦٥م.

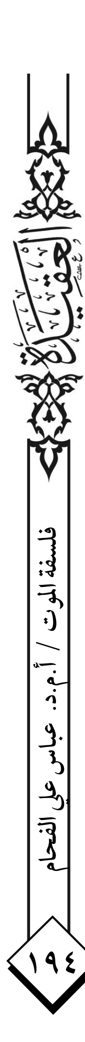
١٩. مقتل الحسين، ابو مخنف الأسدي(ت١٥٧هـ)، تح: حسين الغفاري، مطبعة العلمية، قم.

٢٠. موسوعة كلمات الإمام الحسين، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ط٣، ١٩٩٥.

٢١. نهج البلاغة، تحقيق و شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، مطبعة النهضة – قم.

٢٢. الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي(ت٣٣٤هـ)، ط٤، مؤسسة البلاغ، لبنان. ١٩٩١م.







وحدة النهج في إصلاح الأمة عند الرسول وآله

- نهضة الإمام الحسين مثالاً -

أ.م.د. مِيثم مهدي صالح الحمّامِيّ

مُقدِّمة

الحمد لله الذي أعزَّنا بأوليائه الطاهرين، ومنَّ علينا برحمته التي لا تخبو محمد وآله الكرام البررة الأطهار، فكانوا أعلام الهدى والعروة الوثقى، سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى، الذين نذروا وجودهم لطاعة الله ومرضاته، فلم يعصوا الله طرفة عين، حجج الله على البرايا، فالسلام عليهم يوم ولدوا ويوم استشهدوا مرضاة لله ويوم نلقاهم عند مليك مقتدر، وقد خاب من حمل ظلمهم.

المتتبع لبطون كتب التأريخ والسير لكل المسلمين باختلاف طوائفهم ومذاهبهم يجد أنهم قد قدموا الحسين عليه السلام - وهو ابن بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا خلاف ، الذي خرج على ظلم يزيد واستشهد في كربلاء - بثلاث صور، كل صورة تحكي خلفيات أصحابها ممن يتبناها ويقول بها، الصورة الأولى التي يصورها الإعلام الأموي الذي تبنى أن الحسين خارج على الدين وخارج على الخليفة الشرعي، فهو مارق في عرفهم وفيما أوهموا الناس، فقد ذكرت مصادرهم هذا

الفهم فيما روي من بعض ما جرى من كلام بين قادة الجيش الأموي وبين الجند؛ إذ قال : «يا أهل الكوفة ألزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام » [١]، فرد الحسين عليه السلام على عمرو : «يا عمرو بن الحجاج أعليَّ تحرِّض الناس أنحن مرقنا من الدين وأنتم ثبتّم عليه ؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ومتم على أعمالكم أينا مرق من الدين ومن هو أولى بصلي النار»[٢]، حتى وصلت هذه الأقوال إلى يومنا هذا، كما نجدها عند الشيخ الخضري الذي يقول : «وعلى الجملة فان الحسين أخطأ خطأ عظيما في خروجه هذا الذي جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا ... غاية الأمر أن الرجل طلب أمرا لم يتهيأ له ولم يعدّ له عدته . فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه»[٣] .

وهذا القول فيه ما فيه من المغالطات التي لن نرد عليها بغير ما سيتضمنه هذا البحث، ومثله ما ذكره أحمد العسيري بعد أن ردد كلام الدكتور أحمد شلبي قائلاً: «وكانت هذه الفتنة أيسر ما نقول عنها أنها وسّعت باب الفرقة والتهمت الآلاف والملايين من المسلمين ولا يزال بابها مفتوحا حتى كتابة هذه السطور»[٤]، والصورة الثانية هي الصورة التي أظهرت الحسين عليه السلام ثائراً من أجل الملك وكان من حقه ذلك بيد أنه قد أخطأ فقُتل وانهزم؛ ليؤسس العباسيون لهم الحق في الخروج على الأمويين ويأخذون الملك منهم باسم الثأر للحسين والانتصاف للعلويين جميعا كما كانت تنص شعاراتهم على ذلك (الرضا من آل محمد)، فقد خطؤوه باختياره الكوفة دون غيرها، كما خطؤوه بصحبِه لعياله نساء وأطفالا، وقد تبنى هذه الصورة جمع من المؤرخين ممن كتبوا التاريخ في عهد بني العباس مثل الطبري وغيره، وحذا حذوه فيما بعد الذهبي وابن كثير وغيرهم [٥].

أما الصورة الثالثة التي تقابل ما تقدم فهي التي تصور الحسين عليه السلام وارث الأنبياء وإماما من أئمة الهدى، خرج من أجل دحر الظلم وإرساء الدين الذي

أقامه جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وهذا ما ظهر في تراث أهل البيت وأحاديثهم، وما تناقله شيعتهم ومحبوهم وكل من نظر ببصيرة وعدل وإنسانية وأزاح هواه وأمراض النفس التي تُسلّم نفسها إلى الشيطان. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : «اللّٰهُمَّ إني أشهد أن هذا القبرَ قبرُ حبيبك وصفوتك من خلقك، الفائز بكرامتك، أكرمته بالشهادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجة لك على خلقك، فأعذر في الدعوة، وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الضلالة والجهالة والعمى والشك والارتياب، إلى باب الهدى والرشاد. وأنت يا سيدي بالمنظر الأعلى ترى ولا ترى، وقد توازر عليه في طاعتك من خلقك من غرته الدنيا وباع آخرته بالثمن الأوكس وأسخطك وأسخط رسولك عليه السلام وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق، وحملة الأوزار، المستوجبين النار، اللّٰهُمَّ العنهم لعنا «وبيلا» وعذبهم عذابا «أليما» [٦]، وهنا تتجسد الصورة التي يصورها أهل البيت عن الحسين عليه السلام بشكل جلي [٧].

والمراحل التاريخية التي أحاطت بعمل النبي وأهل بيته في إصلاح الأمة جعلت بعض الباحثين يقسمون هذه المراحل إلى :

المرحلة الأولى: ورجالها علي والحسن والزهراء سلام الله عليهم .

المرحلة الثانية: ورجالها الحسين والسجاد والباقر والصادق سلام الله عليهم.

المرحلة الثالثة: ورجالها الكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري سلام الله عليهم.

المرحلة الرابعة : ورجلها المهدي عليه السلام ومن معه .

وهنا سيحاول البحث جاهدا بعقد أوجه الشبه في هذه الحركة الإنسانية الإصلاحية بين ما سار عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن عليهما السلام وبين ما قام به الحسين عليه السلام في مشروعهم الرسالي الإصلاحي، ونرجئ الحديث عن نهج الأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام إلى مناسبة أخرى بإذنه تعالى .

- **أولاً: الإيمان الراسخ والإدراك الواعي:**

إن من مستلزمات أية رسالة أن يكون صاحبها قد آمن بها بدرجة اليقين الذي يورث ذاك الإيمان من بعد أن تفكّر بها ودرس تفاصيلها وعرف ما فيها من أبعاد تنطبق مع العقل والمنطق وتحقق الأهداف التي يسعى إليها الإنسان والتي قد نظر فيها مرضاة الرب وسعادة البشر ورفاهيتهم، ومن هنا تكون النهضة قد بدأت في نفس ذلك الإنسان فيبدأ برسم خططه وتبدأ خطاه بالسعي من أجل تحقيق الغايات التي يريدها أو أريد له أن ينفذها بوصفه رسولا أو إماما؛ بل وحتى بوصفه إنسانا، فما من إنسان إلا وله رسالة وله أهداف يريد أن يحققها؛ ليشعر بالسعادة من خلال تحقيق ذاته والرضا عما يقوم به .

وقد كان النبي ﷺ قد تفكّر طويلا في حال الأمة ومنذ وقت مبكر من حياته الشريفة، فوجد أنها تدين بما لا يرتضيه العقل ولا تقبله الفطرة السليمة؛ ولهذا فقد كان يؤثر اعتزاله عن مجتمعه على الانخراط معهم؛ لأنه قد وجد في نفسه رفضا لما يدينون به، ذلك الانعزال كان نمطا سلوكيا متعقلا أراده النبي ﷺ أن يحدد لنفسه أولا أبعاد المشكلة وحدودها؛ وليكون مؤمنا متيقنا بأن ما يستشعره حقيقة يقرها المنطق العقلي والفطرة السليمة وهو بمثابة احتجاج ورفض معلن لما يسير عليه المجتمع بحيث لفت انعزاله انتباه الناس متسائلين عن ذلك وفي هذا ما فيه طبعا، وما أن أدرك النبي ﷺ بعقله الحقيقة التي بحثها حتى بدأ يفكر في إيجاد الحلول التي تخرج مجتمعه من ذلك الضياع الذي يعيشه، فتفتحت نفسه وتبسمت روحه؛ لتهتز مورقة لاحتضان نفحات القدس الذي غرس فيها البصيرة المتناهية والفكر الوقاد الذي ينير للآخرين طريق الحياة السعيدة التي رسمتها السماء لخير البشر وسعادتهم، فصدح النبي بصوت السماء مؤمنا به إيمانا تاما لا يدخله الريب قيد أنملة أو دونها بعد كل هذا الاستواء للفكرة في عقله.

وكذا الأمر كان عند أئمة الهدى عندما ساروا فيما أمروا به، يقول أمير

المؤمنين صلوات الله عليه : «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا»[٨]، ما يؤكد قوة إيمانه وصلب عزيمته المتأتية من إيمانه وهي كلمة لا يقوى عليها ولا تليق بأحد بعد النبي صلى الله عليه وآله غير علي عليه السلام فلم يقلها أحد بعده ولا قبله، وهذا الإيمان يلهم الإنسان قوة كبيرة عالية لا يقف أمامها حائل وإن كان أكبر من إمكانات البشر بشكل عام بما يجعل أمر تصديقه محالا كونه يعد ضربا من الخيال، يقول سيد البلغاء وأمير البيان في رسالته إلى سهل بن حنيف رحمه الله : «والله، ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكن أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضيئة وأنا من أحمد كالضوء من الضوء»[٩].

هذا الإيمان الذي وصله أمير المؤمنين يترجمه قول النبي صلى الله عليه وآله عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «ما أنزل الله : يا أيها الذين آمنوا، إلاّ علي أميرها وشريفها ولقد عاتب الله أصحاب محمد صلى الله عليه وآله في غير مكان وما ذكر عليا إلاّ بخير»[١٠]. فمن مثل علي في إيمانه ؟!، ولهذا سار على بصيرة من أمره مقتديا بالنبي الأكرم صلوات الله عليهما، وعلى الرغم من كل الفتن والخطوب التي مرت في عهده وكل ما عصف، كان واثقا بما يريد ثابتا لا تأخذه في الله لومة لائم، وما مبيته في فراش النبي وفداؤه له إلا من ذلك الإيمان ومقارعته وبسالته في الحروب إلا ترجمان له حتى قرن بالنبي في آية المباهلة ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ (آل عمران ٦١).

وهذا ما نجده عند سبطيه الكريمين سيدي شباب أهل الجنة كما وصفهما النبي صلى الله عليه وآله ، فالإمام الحسن عليه السلام كان مؤمنا بالله وبدعوة نبيه منذ نعومة أظافره عندما أخرجه النبي صلى الله عليه وآله مع فاطمة وعلي والحسين عليهم سلام الله جميعا قبالة وفد نجران، ذلك الوفد الذي جاء الرسول محمد صلى الله عليه وآله للمباهلة والمقارعة الفكرية فأخرج النبي لهم أكثرهم إيمانا ودراية بدعوته وأقربهم منزلة إلى الله سبحانه

وتعالى بناء على هذه الدراية وهذا الإيمان، وهذا ما نجده في سيرة الإمام الحسن عليه السلام بعد وفاة أمير المؤمنين، كيف سار بنهجهم وعزف عن القتال الذي هو شر للناس لأن الأمر دار بين تسنم السلطة وبين حقن الدماء بما يتيح للإمام ممارسة عمله وتكليفه، وهو يشبه ذلك الموقف الذي قام به النبي صلوات الله عليه حينما عرضت عليه السلطة وأباها، وحينما قبل بصلح الحديبية مع ما كان عليه النبي من إمكان هزم المشركين وإنهاء شرهم، والإمام علي عليه السلام حينما تنازل عن حقه في الخلافة وسنعود إلى ذلك في غير هذا الموضع .

لقد نشأ الإمام الحسن في كنف جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فتولى تربيته بنفسه وصقل مواهبه وتوسم به الرسول مخائل الفتوة وسيماء الصادقين، وقد بينت أحاديث النبي مكانة الإمام عليه السلام فقد قال فيه «من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن»(١١) كذلك قرن بينه وبين الحسين عليهما السلام في مواقف عدة، منها قوله صلى الله عليه وآله : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»(١٢) ، فهما إمامان قاما أو قعدا لما ذكره النبي عنهما، ولم يكن ما قاله النبي عنهما حالة عاطفية منه لهما؛ بل كان ذاك بنظرة موضوعية يستحقانها، وهو نوع من التهيئة لهما في نفوس المؤمنين؛ ليقوما بأمر الله ويستكملا مسيرة جدهما.

قد اتسمت سيرة الأئمة الهداة بالتقوى والإيمان؛ ولهذا لم تؤثّر الظروف في أدائهم وقوة قرارهم المبني على الإيمان، فكان ذلك الإيمان يقويهم في مسيرتهم مهما كانت الصعاب، قال الإمام الحسين عليه السلام في أحلك الظروف : «**اللّهُمَّ أنت ثقتي في كل كرب، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقةٌ وعُدّة .. كم مِنْ هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو .. أنزلته بك وشكوته إليك ؛ رغبةً منيّ إليك عمّن سواك، ففرجته عني وكشفته .. فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة**»(١٣) ، وهذه الكلمة تصدح بإيمانه وهو يقاسي محنة كربلاء بكل تفاصيلها المريرة، إن المضامين التوحيدية، تطفح بها

هذه الكلمات الطاهرة من سيد الشهداء عليه السلام، هاجسه الأول والأخير هو التوحيد . ومن هنا نفهم سر الحسين في تحمله لما لاقاه من أسى دون أن يضعف أو يلين، وهذا نهج تشابه به النبي وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم أجمعين فقد دعا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بكلمات تقترب شبها بما تقدم عندما لقي ما لقيه من أهل الطائف فقد قال : – عن علي عليه السلام – «**اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ! أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي ؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي ؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ، لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِك**»[١٤] ، ولا يفوتني أن أذكر هنا ما دار من حديث بين الحسين وبين علي بن الحسين الأكبر عليهما السلام حينما استرجع الحسين فقال له يا أبتي أراك قد استرجعت، فقال الحسين بني سمعت هاتفا يقول القوم يسيرون والمنايا تسير وراءهم، فقال له ولده : أ ولسنا على الحق ؟ فقال الحسين إي والذي نفس أبيك بيده، فقال ابنه : إذن لا نبالي إن وقعنا على الموت أو وقع الموت علينا[١٥]، وهذا حديث يتفجر منه الإيمان ويشع ضياؤه فيه، وليس ذلك فحسب فكل ما في الحسين من سلوك ومواقف نابع من ذلك الإيمان القوي الذي كان لإمامنا متمثلا له سلوكا وفكرا وكل ما يمكن أن يكون عليه .

- **ثانياً: التخطيط الستراتيجي والرؤية العميقة لأبعاد القضية:**

لابد لكل قيادي من أن يضع نصب عينيه ما يريد تحقيقه من أهداف وغايات، وهنا لابد له من وضع الخطط والبرامج الكفيلة لتحقيق أهدافه كي لا يذهب جهده سدى وليختصر المسافات والجهد وحتى يطمئن من أن جهده لن يذهب هباء، وغير ذلك، لم يكن تحرك النبي ولا أهل بيته بلا تخطيط أو

ستراتيجيات لهم؛ بل كانوا مخططين بارعين لتنفيذ رسالتهم وتحقيق أهدافهم، فقد بدأ النبي صلى الله عليه وآله بدعوته بعد أن وضع ستراتيجيات متكاملة ورسم تحركاته، فبدأ بأقرب المقربين إليه حدثهم عن رسالته وبدأ يتسع شيئا فشيئا، كانت دعوته السرية يخص بها بعضا من العرب دون غيرهم ليكوّن للدعوة قاعدة يرتكز إليها، فما أن كوّن ذلك حتى وسّع مدى دعوته فأنذر عشيرته، ثم بدأت دعوته تعمُّ أرجاء مكة وتتعدى فضاءها، فبدأ النبي يتنقل من مرحلة إلى أخرى في دعوته المباركة، من تبليغ الأقرب فالأقرب، إلى تعميم الأمر، ولا بد من الإشارة هنا إلى أننا نذهب إلى أن ما سمي بالدعوة السرية ليس لونا من ألوان الخوف الذي يتطلبه الحال الذي يمر به الدين الجديد، وإنما هو من أدب النبي العالي الذي تحلى به صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الكرام الأطهار، لكي لا يقف بوجه عمومته أو أقربائه سيما من يكبره سنا، فيسفّه عقيدتهم ويبيّن ظلالهم، وإنما أراد أن يصلهم الخبر بشكل غير مباشر، حتى يتهيأ له مفاتحتهم وبيان فساد عقائدهم وهدايتهم إلى الحق والصراط القويم {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم ٤) .

ومن مكة إلى غيرها من البلاد العربية، هيّأ النبي له رجالا أشداء مؤمنين لحمل أعباء الرسالة، كما هيأ من يحمل وهج الرسالة وامتدادها من بعده، ورسم طريقا واضحا بيّنا له ولمن يخلفه، فكان صلى الله عليه وآله قد رسم هذه الستراتيجية وسار عليها وحقق ما حقق من تأسيس لدولة إسلامية تعمل بشرع الله وتسير برسم السماء في حياته الشريفة، فرسم للمسلمين طريقهم في حياته وأنبأهم بما يحدث بعد موته، وبصّرهم بما ينتظرهم من فتن وصعاب، ولكنه وضع لهم الأسس التي يرجعون إليها عندما تختلط الأمور عندهم، فقال صلى الله عليه وآله قولته الشهيرة : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهم لن تضلوا بعدي أبداً»[١٦] .

وسار أمير المؤمنين عليه السلام على نهج النبي صلى الله عليه وآله فقد أسس لستراتيجياته من خلال الإيمان التام برسالته واختيار الظرف المناسب لها، كما اتخذ من الكوفة

مركزا لدولته وعاصمة لها مثلما اختار النبي يثرب مدينة لدولته، ثم كون له رجالا أشداء يعتمد عليهم في بناء دولته وتحقيق أهدافه، كما هيّأ من يقوم بمهمة رعاية الأمة وتحقيق الأهداف السامية من بعده، فقد أعدّ الإمام الحسن والحسين إعدادا خاصا ليكونا إمامين ينهضان بهذه المهمة التي تهيّؤوا لها، فقد أناط بكل واحد منهما مهماتٍ جسيمة ليتعودوا على تحمل المسؤولية وإتقان تنفيذها، وقد كانا على رأس الجيش في كثير من المعارك التي اصطدم بها المسلمون مع غيرهم [١٧]، فقد جعل الإمام الحسن عليه السلام مرجعاً عاملاً في تحقيق الوعي التكاملي للإنسان المسلم فقلده زمام المبادرة في المهمات الصعبة بما يشير إلى قدرة الإمام القيادية في مثل هذه الظروف الصعبة، ليتولى بعده شؤون الأمة، وهو يمهد لثورة الإسلام الكبرى في كربلاء، فقد أرسل الامام الحسن إلى الكوفة مع عمار بن ياسر لتنفيذ قرار الإمام علي في عزل أبي موسى عن الكوفة الذي كان يخذّل الناس عن علي ويجمعهم على خلافه ويثبط الناس عن الالتحاق به لحرب الناكثين، فأتم المهمة بأفضل صورة، وكان أثره بارزا في فتنة البصرة التي أججها الزبير في أهلها، فاستطاع الحسن أن يطفئها[١٨] ،وعندما آل إليه الأمر، فقد كان مجتمعه منهكا نتيجة لدخوله حروبا عدة، ووجد أمامه معاوية لا يواني جهدا من أجل حكمه وملكه، فخيّر بين قتاله وبين دعوة معاوية له بالصلح التي يعرف ما وراءها، فبادر إلى مفاجأة وهي تسليمه السلطة له دهرا قبالة شروط كان يعلم أن معاوية سيوافق عليها مكتفيا بلذة الملك، وقد رضي الحسن بهذا وإن كان يعلم أن معاوية لا ينفذ شروطه، ولكنه قد سحب بساط التأييد منه فعرف الشاميون حقيقته التي طالما أخفاها، وأسس لمشروع أوسع وأكبر وعد العدة لثورة الحسين وبنى قواعدها بمشاركة الحسين، حتى يحين وقتها، فهيّأ الرجال ومن يساند النهضة، ورسما أبعادها، فنفذ الحسين ما خططا له، في هدي ستراتيجية نشهد إلى يومنا هذا امتداداتها الوضاءة التي أعادت للإنسان قيمته التي سحقها الأمويون[١٩] .

- **ثالثا : اختيار البقعة المناسبة لتكون نقطة انطلاق :**

من مكة وعند بيت الله الحرام الذي يفده الناس دون انقطاع، بموسم أو بغير، صدح صوت الهادي بذكر الله ودينه، مع القلة التي معه، وهنا ذاع صيت الدعوة، فالنبي كان يعلم أنه لم يك يملك في مكة ما يستطيع أن يحقق به أهدافه ولكنه لا يجد مثلها مدينة تصدّر صوته إلى العالم، ثم إلى مدن أخر، فيثرب التي هيّأ الله لنبيه ظرفا لتكون هذه الأرض الطيبة مرحّبة به بعد رحلة المعاناة التي قاساها بفضل ما أظهره المشركون من غل وحقد على النبي ودعوته فضلا على ما تتمتع به هذه المدينة من مزايا جغرافية مهمة ذكرت مسببة اختيار النبي لها مدينة له فقد بايعه أهلها على نصرته والقتال معه ودعوه إليها، فخرج من مكة إلى المدينة خائفا يترقب ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ**﴾ (القصص ٢١-٢٢). وبفضل الله ومنّه أعاده إلى مكة بعد أن خرج منها خائفا يترقب، عادها عزيزا شامخا[٢٠] .

وبمثل هذه الحال خرج الحسين من المدينة إلى مكة وهو يتلو الآية المباركة ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ...**﴾، وعندما قرر التوجه إلى العراق، بلد علي والحسن عليهما السلام ،بعدما جاءته من هذا البلد العديد من الكتب التي تستقدم الحسين وتطلب منه التعجّل في المجيء إليها أرسل سفيره إلى الكوفة يعلمهم بقدومه، ولم يكن هذا وحده الدافع لاختيار العراق فموقعه الجغرافي المؤثر عالميا منذ ذلك الحين قد كان سببا آخر له في التوجه إلى العراق، وهنا أذكر ما وجه إلى الإمام من نصح في التخلي عن وجهة العراق، من أخيه محمد بن الحنفية، إذ إن الإمام محمد بن الحنفية قد دخل على الحسين عليه السلام ، حين علم أنه عازم على الخروج من المدينة، فقال له ناصحا أن ينزل غير العراق فقال : «تنزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار فذاك، وان تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقهم قلوبا، وأوسع الناس بلادا، فإن اطمأنت بك الدار، وإلاّ لحقت

بالرمال وشعب الجبال، وجزت من بلد إلى بلد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم الله وهو خير الحاكمين، فإنك أصوب ما تكون رأيا وأحزم عملا حين تستقبل الأمور استقبالا ولا تكون الأمور أبدا أشكل عليك منها حين تستدبرها استدبارا»[٢١]. وقد شكره الإمام الحسين على نصحه ولم يبيّن له خطأ رأيه تأدبا كعادته عليه السلام؛ لأن الإمام لم يخرج خوفا من يزيد أو أتباعه، إنما خرج من أجل المجتمع لإصلاحه وحريته ورفاهيته، فكيف يذهب إلى اليمن، ولم يكن الخيار الموفق لانطلاق نهضته، لكن الحسين آثر العراق؛ لأنه الأنسب لنهضته ففيه شيعة أبيه ،وهم أرضية النهضة ومادتها، يضاف إلى ذلك أمور لحظها الإمام عليه السلام في اختياره العراق، منها أن العراق يحتل موقعا جغرافيا مهما في المنطقة يصلح أن يكون نقطة انطلاق النهضة إلى الشعوب . وبهذا يؤسس آل النبي لمشروعهم، متخيّرين الزمان والمكان المناسبين .

- **رابعا: خلق الامتداد لعمله ومشروعه من خلال تهيئة من يخلفه:**

من ضمن التخطيط الستراتيجي لهم صلوات الله عليهم جميعا أنهم لا يتركون مشروعهم دون أن يخلقوا له الامتداد الصحيح؛ لأنّ الإنسان مهما بلغ من العمر فإلى رحيل عن هذا العالم، فلا بد من من يكمل ما بدؤوه، سيما وأن مشروعهم فيه صلاح الأمة ونجاتها، فضلا على أنه مشروع سماوي، فلا بد له من أن يمتد ويستمر .

وهذا ما فعله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وفكر به منذ أن تلجلجت الدعوة لديه، فقد وجد في علي عليه السلام من يكون قادرا على تحمل أعباء المشروع بعده فضلا على مساندته له في حياته الشريفة ،وقد رافق الإمام النبي في كل تفاصيل حياته، فقد قال عن نفسه : «**وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اِتِّبَاعَ اَلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ**

عَلَماً وَ يَأْمُرُنِي بِالاِقْتِدَاءِ بِهِ وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَ لاَ يَرَاهُ غَيْرِي وَ لَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي اَلْإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اَللَّهِ ص وَ خَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ اَلْوَحْيِ وَ اَلرِّسَالَةِ وَ أَشُمُّ رِيحَ اَلنُّبُوَّةِ وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ اَلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ اَلْوَحْيُ عَلَيْهِ ص فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اَللَّهِ مَا هَذِهِ اَلرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا اَلشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَى مَا أَرَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَ لَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَ إِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»[٢٢]، ما جعله يكتسب من صفاته الكثير الكثير، ومن علمه وشمائله وحنكته وحكمته، حتى كان أعلم الناس به وبدينه وبالقرآن الكريم وهو القائل فيما نقل عن الأصبغ بن نباتة قال: لما جلس علي عليه السلام على الخلافة وبايعه الناس، خرج الى المسجد متعمما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله واله وسلم، لابسا بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منتعلاً نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متقلدا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فصعد المنبر وجلس عليه متمكنا وشبك أصابعه ووضعها أسفل بطنه. ثم قال:

«هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زقني رسول الله صلى الله عليه وآله زقا زقا، سلوني فإن عندي علم الاولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لافتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإ نجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في. وأنتم تتلون القرآن ليلا ونهارا، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه ؟ ولولا آية في كتاب الله عز وجل لا خبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب، ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن أية آية في ليل انزلت أوفي نهار أنزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لا خبرتكم. فقام إليه رجل يقال له ذعلب، وكان ذرب اللسان، بليغا في الخطب، شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلنه اليوم لكم في مسألتي إياه،

فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك ؟ فقال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره. قال: فكيف رأيته ؟ صفه لنا قال عليه السلام: **ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان، ويلك يا ذغلب إن ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون، ولا بقيام قيام انتصاب، ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ...»**[٢٣].

فلم يعرف قائل لهذه الكلمة غيره وقالوا لو قالها غير علي لخزي.

فلما أكمل النبي تهيئته لهذه المهمة وتمت تفاصيل الشريعة السمحاء، جاء هاتف السماء ليجعل من علي خليفة منصوصا من الله، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (المائدة ٦٧).

وهكذا فعل علي عليه السلام في مشروعه الإصلاحي، فقد جعل من الحسنين ذلك الامتداد الذي سيكمل ما بدأه، ويسير بنهجه وعلى منواله، وقد كان الإمام علي قد اعتمد الحسن في أمور كثيرة كانت من الخطورة بمكان أنها يمكن أن تقلب الموازين إن أخفق فيها وكان الحسن في كل مرة يثبت قدرته القيادية التي تصنع النجاح تلو النجاح.

كما أن الحسن عليه السلام قد جعل من الحسين رفيقه في دربه الرسالي، فكان معه خطوة بخطوة، مع أن الجميع كان يهيئ للحسين ولموقفه الذي امتاز بالعظم وبتضحيته التي كانت وما تزال الأكبر والأعظم.

وفعل الحسين ما فعله أسلافه، فقد هيّأ لهذه النهضة العالمية من يحمل أعباءها، فحسب حسابا لكل شيء، ومن هنا تأتي حكمة اصطحابه لعياله ونسائه ولعليله الذي لا يقوى على شيء، فقد كانت أصداء هذه النهضة وما أوصلته هذه القناة من بعد إعلامي قد صدّر أهداف هذه النهضة وحقق مراميها وما نشدته،

فبفضل هذا الامتداد كان لهذه النهضة كل هذا الخلود والمكانة السامية في نفوس المؤمنين .

ويمكن أن نجمل أسباب اصطحاب الحسين لعياله ونسائه جميعا في:

ـ الإشارة إلى سلمية النهضة التي خرج فيها أبو عبد الله الحسين على الرغم من هذه المعركة التي جرت على صعيد كربلاء، فهو لم يخرج طالبا القتال لكنه اضطر إلى ذلك أو أن يعطي البيعة أو أن يذل وهذا ما لا يكون من الحسين.

ـ خلق الامتداد الذي سيحقق كل ما أراده الحسين من نهضته .

ـ لفت النظر إلى هذه العيال قبل استشهاده وبعده، وفي كل هذا بصائر لأُولي النهى .

ـ خرج الحسين لتأسيس دولة مدنية لا دولة عسكرية .

- **خامسا: بناء القاعدة القوية والاهتمام بالنوع لا العدد والتمحيص:**

استطاع النبي والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم جميعا أن يكوّنوا لهم ذلك الزخم من الناس الذين اخلصوا لله سبحانه وتعالى ممن كانوا مادة المشروع والطاقة التي تسيّره، وهنا يراودنا حضور شخصيات كريمة كانت موضع عناية النبي وتقديره، فسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد وحجر بن عدي وغيرهم من النجباء الذين حملوا الاسلام هما وفكرة وعقيدة، فأخلصوا لله وذادوا عن دينهم بكل ما أوتوا حتى آخر رمق من حياتهم، ولاننسى أن النبي ﷺ وسلم قد جابه قريشا ببضع عشرات من المسلمين في معركة بدر الكبرى لكن كل واحد منهم يعدل ألفا بإيمانه .

وهكذا كان علي عليه السلام قد اقتفى أثر النبي ﷺ في ذلك، فقد أوجد له من الصحابة من يفتديه بروحه ولا تغريه الدنيا وزخرفها أبدا، ولا يخشى في ولائه له

أي شيء، وما قصة حجر بن عدي في استشهاده هو وابنه على ولاء علي وعدم النيل منه أبدا بخافية، كذلك ما كان من مالك الأشتر، ذلك الرجل العظيم الذي ما خذل قط وما توانى في الذود عن أمير المؤمنين، حتى قال فيه علي بن أبي طالب : «لقد كان لي كما كنت لرسول الله»[٢٤]، ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولّى عليهم الأشتر :

«مِنْ عَبْدِ اَللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ إِلَى اَلْقَوْمِ اَلَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ وَ ذُهِبَ بِحَقِّهِ فَضَرَبَ اَلْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى اَلْبَرِّ وَ اَلْفَاجِرِ وَ اَلْمُقِيمِ وَ اَلظَّاعِنِ فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ وَ لاَ مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اَللَّهِ لاَ يَنَامُ أَيَّامَ اَلْخَوْفِ وَ لاَ يَنْكُلُ عَنِ اَلْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ اَلرَّوْعِ أَشَدَّ عَلَى اَلْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ اَلنَّارِ وَ هُوَ مَالِكُ بْنُ اَلْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ اَلْحَقَّ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اَللَّهِ لاَ كَلِيلُ اَلظُّبَةِ وَ لاَ نَابِي اَلضَّرِيبَةِ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا وَ إِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَ لاَ يُحْجِمُ وَ لاَ يُؤَخِّرُ وَ لاَ يُقَدِّمُ إِلاَّ عَنْ أَمْرِي وَ قَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَ شِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ» [٢٥].

وقد اصطحب الحسين معه من الرجال من يكون أمة بنفسه، واختبرهم في أكثر من موقف فوجد كلا منهم نعم الصابر، يقول الحسين فيهم : والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بمحالب أمه[٢٦]، وهذا وصف غاية في الروعة فهم بحق خير الأصحاب، وعندما قال لهم الحسين في ليلة العاشر من محرم: أنتم في حل من أمري وهذا الليل فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل واحد منكم برجل من أهل بيتي وليرحل ، فما كان جواب أصحابه إلا أن قالوا نقتل دونك يا ابن رسول الله، فهذا زهير بن القين قد أجاب الحسين قائلا : سمعنا يا ابن رسول الله مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها [٢٧]، فهذا أبلغ وصف وأرق تعبير وفيه من الوفاء والصبر ما يفوق التصور، فالإنسان مجبول على حب البقاء وحب الدنيا، أما الباقون من أصحابه فما كان جوابهم إلا أن قالوا والله لو قتلنا ألف مره

وذرينا في الهواء على أن نترك هذا الأمر ما تركناه . ولنأخذ موقف آخر وهو الصحابي الجليل حبيب بن مظاهر رضوان الله عليه عندما سمع أن نساء الحسين قد قلن للحسين هل اختبرت أصحابك فقد أقبل الى أصحابه وقال لهم هلموا إلينا لنذهب الى نساء الحسين؛ لنطيب خاطرهن بكلام فقال مخاطبا نساء الحسين : يا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتيانكم آلوا ألا يعقدوها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم وهذه أسنة غلمانكم أقسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم[٢٨]، تلك هي حال أصحاب الحسين فإنهم قد صمدوا وصبروا وآثروا وعشقوا الشهادة بعشقهم للحسين فكانوا يتسابقون إلى الشهادة وكانوا يتسابقون في الدفاع عن الحسين، فهذا عمرو بن الحجاج الملعون يخاطب أصحابه، أتدرون من تقاتلون ، تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر قوماً مستميتين لا يبرز إليهم أحد إلا قتلوه على قلتهم[٢٩]، هذا وصف أعدائهم فهم البواسل وهم الشجعان وهم أصحاب البصائر والعقول، وما تركوه إلا وهم صرعى في المعركة، فسار بهم على قلة عددهم؛ ليغيّروا مجرى التأريخ الذي خطته يد الظلم والجور، فاستطاعت هذه الجماعة أن تصحح مسيرة التأريخ وأن تعيده إلى نهجه المحمدي الرصين، ضاربين أسمى صور البطولة في التضحية والفداء عن الدعوة والمشروع السماوي الخالد .

- **سادسا : فهمهم الخاص للرياسة:**

مفهوم الرياسة عند النبي وآله ليس اعتلاء كرسي الحكم، فهم صلوات الله عليهم جميعا لا يهمهم هذا الأمر قدر تلق الأمر بصلاح المجتمع، فقد عرضت على النبي الدنيا وما فيها، وقد أرادت قريش أن تجعله سيدها وأن تعطيه مفاتيح الكعبة، فقال قولته الشهيرة : «**وَاللّه لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللّه أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ**»[٣٠].

وقد قعد علي عن المقارعة عن حقه في الخلافة وهو يعلم أن محله منها محل القطب من الرحى، ولكنه آثر حقن دماء المسلمين على أن يطالب بسلطة لا تساوي عنده شيئا، فقال وهو الفارس الألمعي والشجاع الذي ما عرف الخوف في قلبه : «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَ وَ اَللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ اَلْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً اِلْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَ فَضْلِهِ وَ زُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَ زِبْرِجِهِ »(٣١)، فهذا شرطه وهذا ما يجعله ساكتا عن حقه المسلوب ، فكان يتعامل مع واقع المجتمع على أنه المسؤول منه وأنه إمامهم وقد كانت له في نفوس المؤمنين إمارة وفي قلوبهم عرش التجلة .

وقد علمنا ما علمنا من موقف الحسن عليه السلام عندما بادر إلى قبول الصلح مع معاوية شرط أن يكف عن الحرب ويحقن الدماء ويسير بنهج يحقق للحسن العمل على إكمال مشروعه ومشروع أبيه؛ لأنه لم يكن عليه السلام يفهم أن الرياسة هي مسك الحكم والتنعم بالسلطة والجاه، فالهدف أساسا هو بقاء هذا المشروع والعمل على إبقائه، فإن تأتت السلطة مع الحفاظ على ما تقدم فبها ونعمت، وإن لا ، فلا .

وقد كان تحرك الحسين إلى كربلاء لا بدافع طلب السلطة كما يتصور من باع ضميره بالخاسر؛ بل كان من أجل صلاح الأمة وإصلاحها والحفاظ على ذلك المشروع الرسالي العظيم، يقول عليه السلام : « إن هذه الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون »(٣٢) بعد أن وجد أن الباطل لا يتناهى عنه وأن الحق متروك لا يعمل به، وأن مشروع جده وأبيه وأخيه قد آل إلى الموت والاندثار . وخير دليل على ذلك أنه

قد طلب منهم أن يخلوا بينه وبينهم وأن يتجه إلى أي مكان دون أن يقع السيف بينهما، ولكن النفوس الشريرة أبت إلا قتله أو إذلاله، فلم يعطهم بيده إعطاء الذليل .

- **سابعاً: الحوار والدفع بالتي هي أحسن والالتجاء إلى الأدلة وأن السيف آخر الخيارات :**

إن من الأسس التي أرساها النبي محمد صلى الله عليه وآله، مبدأ الحوار والدفع بالتي هي أحسن، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله يحاور حتى المعاندين من أجل أن تكون هذه اللغة هي السائدة في دعوته ولم يلجأ إلى الإكراه في نشر دعوته، فلا إكراه في الدين كما يقول القرآن، كذلك أن الذي يطلع على الحوار الذي دار بين وفد نجران المسيحي وبين النبي يعلم أن الحوار أساس من أسس الدعوة المحمدية، وغير ذلك كثير، ولم ينتهج النبي نهج السيف إلا بعد أن وجد أن مشروعه يهدده خطر الوأد فانبرى يصد عنه الخطر وقد كتب القتال على المسلمين وهو كره لهم، ولم يشهر النبي السلاح أو يبتدئ قوما إلا أن يبدؤوه.

استمر هذا النهج السلمي عند الأئمة عليهم السلام، فقد حاور علي الناس من أجل اثبات الحق والصواب لديهم ولكنهم كانوا يجادلون حتى قد تأذى الإمام من فرط ذلك، فقال لقد ملأتم قلبي قيحا، ولكنه بقي محافظا على هذا الخط، وقد أنشأ الحسنين عليه، فقد تقدم كيف أن الحسن التجأ إلى الحوار وإقامة الدليل في حديثه مع أهل الكوفة عندما بعثه أبوه في عزل عامله أبي موسى الأشعري، وفي فتنة البصرة وغير ذلك .

كذلك كان الإمام الحسين محاورا لكل من طلب الحوار؛ بل حاور حتى الجيش الذي خرج لقتاله ،فقال لهم يوم عاشوراء : «أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حق لكم عليَّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدمي

عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النَصَف من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوني النصف من أنفسكم، فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين»[٣٣]، واستمر الإمام محاورا وواعظا وهو في ذلك الموقف العظيم، وقال لهم :« الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنّكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربّنا، وبئس العبيد أنتم.

أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذرّيته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين.



أيها الناس : انسبوني من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي، وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه ؟

أو ليس حمزة سيّد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمّي ؟

أو لم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي : (هذان سيّدا شباب أهل الجنّة)، فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمّدت الكذب منذ علمت، أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه، وإن كذّبتموني، فإنّ فيكم من أن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبرونكم أنّهم سمعوا

هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟»[٣٤].

وفي كل هذا إلزام للحجة عندهم وإرساء لمبدأ الحوار الذي أمر به الله تعالى ونبيه الأكرم وما سار عليه المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

- **ثامنا: الوصول إلى أدنى مستويات التنازل مع الحفاظ على الرسالة دون المساس بها من أجل حقن الدماء:**

وهذا ما نجده عند الأئمة صلوات الله عليهم، فقد ذكرنا أن الإمام عليا عليه السلام قد تنازل عن حقه في الخلافة شرط حفظ الناس ومصالحهم وإقامة الشرع السماوي فقال : «**أَمَا وَ اَللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا اِبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنْ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي اَلسَّيْلُ وَ لاَ يَرْقَى إِلَيَّ اَلطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَ طَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَ طَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا اَلْكَبِيرُ وَ يَشِيبُ فِيهَا اَلصَّغِيرُ وَ يَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ فَرَأَيْتُ أَنَّ اَلصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي اَلْعَيْنِ قَذًى وَفِي اَلْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً...** »[٣٥] وكذا عند الإمام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية، وهذا ما كان يطمح إليه أبي الظيم الحسين عليه السلام عندما طلب منهم أن يخلوا بينه وبينهم ولهم عليه أن لا يذهب إلى الكوفة « أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض»[٣٦] ، ولكنهم أبوا إلا قتله أو إذلاله وهيهات منهم الذلة، وهو ما ألهمهم إياه جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله .

- **تاسعا: التعايش السلمي مع كل الأحداث إلا ما يهدد الرسالة بخطر الانقراض:**

لو لم يؤمن أهل مكة أو سادتها ما كان النبي ليجبرهم، وهو الذي يعمل بنص

الكتاب ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون ٦)، وعلى هذا أراد منهم أن يتحلوا بشيء من المروءة والإنسانية، ولكنهم كانوا جبارين في جهلم وبطشهم، ومع هذا لم يكل النبي من دعوته ووجد أرضا جديدة لها، وخلق وأسس مبدأ التعايش السلمي مع من يختلف في الرأي والعقيدة معك ولكن ضمن ضوابط وأصول، وثقت وثيقة المدينة بعضا منها.

وهذا نجده عند الأئمة عليهم السلام، سيما علي في تعايشه مع من غصب حقه، ومع من يختلف معه في الرأي، إلا أنه رفع السيف بوجه معاوية الذي أراد للدين الخذلان، وكذلك نجد المبدأ ذاته عند الحسن في تعايشه مع معاوية ضمن شروط ومن أجل غايات ما كان لها أن تتحقق إلا بهذا الطريق، وكذلك الحسين لم يشهر السلاح كما بيّنا إلا بعد أن وجد الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه « إن هذه الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه» فكان السيف آخر أدواته في نهضته الخالدة.

- **عاشراً: نزاهة القائد ومثاليته:**

لم يكن النبي ولا أهل بيته ممن يأمرون الناس بالخير والعدل والصواب وينسون أنفسهم؛ بل كانوا أكثرهم نزاهة ومثالية وقد وصف القرآن محمدا بالخلق الحسن، وأشارت كتب السير إلى إجماع الناس على أمانته ونزاهته من ذلك نزهاته في تجارة أموال خديجة، وغيرها كثير، ما جعل الناس يحارون في تكذيبه، وحينما صارت الدعوة نجده قد قام بها على أكتافه، ولم يجلس دون عمل مكتفيا بغيره، ما أثار الحماس في نفوس متبعيه.

لقد كان النبي مثاليا في كل شيء، لم يؤثر نفسه على غيره ولم يفضلها على الناس؛ بل كان الزهد والورع باديا عليه، كونه الحجة على الناس في هذه اللذات، وقد كان يعمل بنفسه في كل ما تطلب من المسلمين العمل، شاركهم بناء المسجد

بنفسه، وقاتل في الحروب بالطليعة، كان ذلك القائد الميداني الذي يثير حماس صحبه يقول علي بن أبي طالب في وصف النبي : «**فَإِنَّ اَللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ص عَلَماً لِلسَّاعَةِ وَ مُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ وَ مُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ خَرَجَ مِنَ اَلدُّنْيَا خَمِيصاً وَ وَرَدَ اَلْآخِرَةَ سَلِيماً لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وَ أَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اَللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وَ قَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ**»(٣٧).

غرست هذه الصفات المثالية في شخصية الأئمة صلوات الله عليهم، فقد كان أمير المؤمنين مثال الورع والتقوى والزهد، وقد قال في ما اختير من كلامه في نهج البلاغة «والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل : ألا تنبذها ؟ فقلت : اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى»(٣٨).

وقد نشأ أهلوه على ذلك فالحسن والحسين لم يكونا مثل أبناء الأمراء اليوم يتنعمون بالترف والبذخ كما يفعل أبناءهم كل زمان ومكان؛ بل كانا فعلا كما وصفهما النبي ﷺ سيدي شباب أهل الجنة.

- **إحدى عشر : هدم الحواجز بين القائد والصحب:**

اعتمد النبي والأئمة صلى الله عليهم أجمعين ما يسمى اليوم بسياسة الباب المفتوح مع رعيتهم وقد كان النبي من التواضع مع رعيته ما جعلهم يتحدثون إليه كحديث بعضهم لبعض حتى نهاهم الله من ذلك، وقد كان مع صحبه وبينهم يشاركهم جميع شؤونهم في السلم والحرب والسيرة العطرة له تشير إلى ذلك بوضوح تام.

وهذا ما وجدناه عند الأئمة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين، فالحسين في نهضته مع صحبه وجنده يتفقدهم ويتفقدونه، لم يشرب ولم يأكل قبلهم، وكان يعرفهم واحدا واحدا ويعرفونه حقا ما جعلهم يتفانون في الدفاع عنه وعن عياله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله.

* هوامش البحث *

(١) تاريخ الأمم والملوك : الطبري / ٣ : ٣٢٤ .
(٢) المصدر نفسه، وهناك من الروايات الكثير مما يؤكد تبنيهم لهذه الفكرة، بل عد ذلك نصرا من الله إلى أوليائه فوضعت الروايات الكثيرة في أن يوم عاشوراء من أيام الله التي نصر بها أولياءه على أعدائهم، حتى بات الصيام وإظهار الفرح في هذا اليوم من الأمور التعبدية عندهم.
(٣) الدولة الأموية : محمد الخضري / ٣٢٧ .
(٤) موجز التاريخ الإسلامي : أحمد محمود العسيري / ١٥٢، وينظر الحسين في مواجهة الضلال الأموي وإحياء سيرة النبي ﷺ وعلي عليه السلام : السيد سامي البدري / ١٣ .
(٥) ينظر الحسين في مواجهة الضلال الأموي وإحياء سيرة النبي ﷺ وعلي عليه السلام : السيد سامي البدري / ١٤ .
(٦) كامل الزيارات : ابن قولويه / ٢٢٣ .
(٧) ينظر الحسين في مواجهة الضلال الأموي وإحياء سيرة النبي ﷺ وعلي عليه السلام : السيد سامي البدري / ١٤، ١٥ .
(٨) سفينة البحار : / ٢ : ٧٣٤ .
(٩) بحار الأنوار / ٢١ : ٢٦ .
(١٠) المعجم الكبير : الطبراني / ١١ : ٢١٠ .
(١١) البداية والنهاية : ابن كثير / ٨ : ٣٧ .
(١٢) المعجم الكبير : الطبراني / ٣ : ٣٧ .
(١٣) الإرشاد : الشيخ المفيد / ٢١٧ .
(١٤) بحار الأنوار / ٩١ : ٢٢٥ .
(١٥) ينظر : مقاتل الطالبيين / ٧٦ .
(١٦) سنن الترمذي / ٣ : ٥٤٣ .
(١٧) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : الطبري / ٥ : ٥٧، و الإمام الحسن رائد التخطيط الرسالي رؤية معاصرة في قيادية الاستراتيجية : محمد حسين الصغير / ٤٢ .

(١٨) ينظر : المصدر نفسه / ٤٨ –٥٨.

(١٩) ينظر : المصدر نفسه / ١١٤، و الحسين في مواجهة الضلال الأموي : سامي البدري ٤٠ .

(٢٠) ينظر : الحسين في مواجهة الضلال الأموي : سامي البدري ٤٠ .

(٢١) الفتوح : ابن أعثم الكوفي / ٥ : ١٩ .

(٢٢) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد / ١ :١٣ .

(٢٣) بحار الأنوار : المجلسي / ١٠ : ١١٨ .

(٢٤) خلاصة الأقوال : العلامة الحلي / ١ : ٢٦٢ .

(٢٥) نهج البلاغة / ٣ : ٦٣ .

(٢٦) ينظر : مقتل الحسين : السيد المقرم / ٢٢٦ والحسين في مواجهة الضلال الأموي: ١٨٥– ٢١٠ ومصادره .

(٢٧) ينظر : المصدر نفسه .

(٢٨) ينظر : المصدر نفسه .

(٢٩) ينظر : المصدر نفسه .

(٣٠) سيرة ابن هشام / ١ : ٢٦٦ .

(٣١) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد / ١٦ : ١٦٦ .

(٣٢) تاريخ الأمم والملوك : الطبري / ٥ : ٤٠٤ .

(٣٣) المصدر نفسه .

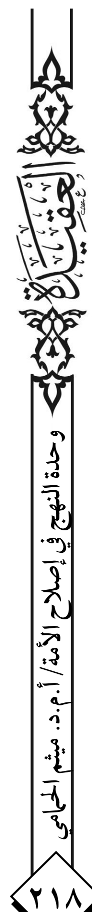
(٣٤) المصدر نفسه .

(٣٥) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد / ٢٠ : ١ .

(٣٦) تاريخ الأمم والملوك : الطبري / ٥ : ٤٠٤ .

(٣٧) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد / ١٣ : ١٢ .

(٣٨) المصدر نفسه .



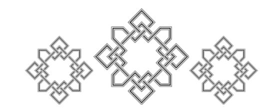
*** مصادر البحث ***

– القرآن الكريم .

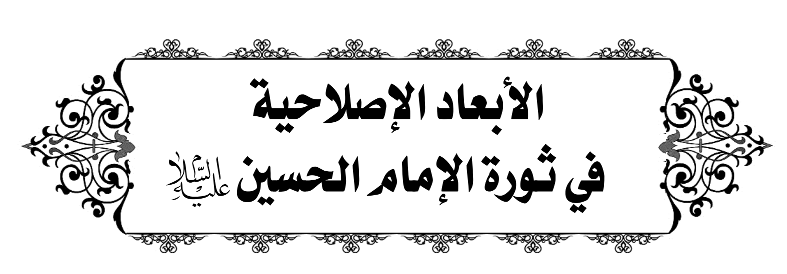
- الإمام الحسن رائد التخطيط الرسالي رؤية معاصرة في قيادية الاستراتيجية : د.محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ م .
- الإرشاد : محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ٤١٣هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٧ هـ .
- بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي ١١١١هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٦ هـ
- البداية والنهاية : عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي ٧٧٤ هـ، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦ م .
- تاريخ الأمم والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠ هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر .
- الحسين عليه السلام في مواجهة الضلال الأموي وإحياء سيرة النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام : السيد سامي البدري، دار طور سينين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م، بغداد .
- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال : العلامة الحلي أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي ٦٤٨ - ٧٢٦ هـ، تحقيق فضيلة الشيخ جواد القيومي، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي .
- الدولة الأموية : الشيخ محمد الخضري، مطبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤١٨ هـ .
- سفينة البحار : الشيخ عباس القمي، الطبعة الثالثة، طهران، ١٤٢٢ هـ .
- سنن الترمذي : الترمذي ٣٧٩هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ .
- سيرة ابن هشام، السيرة النبوية : ابن هشام الحميري ٢١٨ هـ، مطبعة مكتبة محمد علي صبيح ١٣٨٣ هـ .
- شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ٦٥٦ هـ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨ هـ .
- الفتوح : أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ٣١٤ هـ، تحقيق علي شيري، مطبعة دار الأضواء ١٤١١ هـ .
- كامل الزيارات:أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي ٣٦٧ هـ، مطبعة مؤسسة النشر والثقافة، ١٤١٧هـ
- المعجم الكبير : سليمان بن أحمد الطبراني ٣٤٠ هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي .
- مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصبهاني ٣٥٦ هـ، مطبعة المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥ هـ .



- مقتل الحسين : السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٥ هـ .
- موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ : أحمد معمور العسيري، الطبعة الأولى ، الدمام / ١٤١٧ هـ .
- نهج البلاغة : الشريف الرضي، تحقيق محمد عبده، المكتبة العصرية، بيروت .







الأبعاد الإصلاحية في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

(البعد العقائدي أنموذجا)

أ.م. عدي جواد الحجار

المقدمة

عندما تُبعَث الأمم على يد عظمائها؛ لتكون علامةً فارقةً وعنواناً بارزاً في قاموس الوجود تصبح معياراً حاكماً على صحة التوجه الإنساني والعقائدي في مسيرة ذلك التوجه والنهوض، ولا بد من وجود راعٍ يعمل على صيانة ذلك النهوض والحؤول دون انحرافه كما تقتضيه الحاجة والضرورة وهو ما ينطبق على الأمة الإسلامية التي نشأت ونهضت بفعل ما بذله قائدها وراعي نهضتها النبي محمد صلى الله عليه وآله من جهد في تغيير واقع ذلك المجتمع الذي كان عنواناً لعدم الالتزام بقاعدة أو قانون حتى قامت تلك الأمة على أصولها بعد أن رسخ النبي صلى الله عليه وآله فيها بما كان يرفده به الوحي السماوي من أحكام اعتقادية وتكليفية وأخلاقية وإرشادية وتنظيمية حتى استقام الأمر وكمل الدين وتمت النعمة بأن جعل الله لهذه الشريعة وهذا الدين قادةً قد ارتضاهم ليكونوا حماةً لشرعته وأمناءَ على وحيه، وكان واجب الحماية هذا منوطاً بمن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فكانوا يعملون جاهدين في هذا الأمر.

وكان للإمام الحسين عليه السلام ـ وهو ممن وكل إليه أمر رعاية ما جاء به جده

المصطفى ﷺ - نهجه الذي اختطه وارتضاه بما يمليه عليه منصب الإمامة والعصمة التي حباه الله تعالى بها بعد أن انحرفت مسيرة أمة جده ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى سبحانه وتعالى بغصب حق الخلافة من آل البيت عليهم السلام وانتقال الأمر إلى أناس لا حريجة لهم في الدين، مما أوجب على حماة الدين القيام بحركة تصحح مسار الأمة الخارجة عن جادة الصواب بعد أن ابتعد الناس عن نقطة الارتكاز التي تمثلت بأوامر الرسالة المحمدية، إذ كان الابتعاد الأول في يوم السقيفة والابتعاد الثاني بعد نقض معاوية للعهد الذي قطعه على نفسه مع الإمام الحسن عليه السلام، وكان الابتعاد الثالث وهو الأخطر على كيان الإسلام يتمثل في تولي أمور الدين والمسلمين رجل لا صله له بالإسلام روحاً وانتماءً، وكانت الناس في زمنه على دين ملوكهم يبتعدون عن جوهر الرسالة كابتعاد قادتهم مما اقتضى ضرورة القيام بهذه الحركة التصحيحية؛ لإعادة الأمور إلى نصابها حتى وإن كان ثمن ذلك الأمر أن يضحي الإمام عليه السلام بنفسه وآل بيته الأطهار عليهم السلام مبتدئاً ذلك بخطبته التي بيّن فيها سبب خروجه ودواعي نهضته مصرحاً بأهداف ثورته التي أوجزها في قوله: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي» .

موجبات الحركة الإصلاحية للإمام الحسين عليه السلام :

مفهوم الإصلاح: ينتظم الإصلاح في معناه اللغوي إقامة الاعوجاج، فأصلح الشيء بعد فساده: أقامه[1]، وهو ضد الإفساد بوصفه تغيير عن المقدار الذي تدعو إليه الحكمة، والإفساد ضدٌ للصلاح الذي معناه الاستقامة على ما تدعو إليه الحكمة[2].

واصطلاحا: (التغيير والتعديل نحو الأفضل لوضع شاذ أو سيء، ولا سيما في ممارسات وسلوكيات مؤسسات فاسدة، أو متسلطة، أو مجتمعات متخلفة، أو إزالة ظلم، أو تصحيح خطا أو تصويب اعوجاج)[3]، ويمكن تعريفه أيضا على أنه

تغيير انحرافات نظام مجتمعي ومعالجة الاختلال الذي يعتريه بتقويم نظمه الأخلاقية أو الاعتقادية أو الاجتماعية أو السياسية.

فالإصلاح يشكل بحد ذاته ثورة شاملة يمكن أن تتناول المفاهيم والقيم والأفكار والعادات والتقاليد سواء أكانت متجسدة في المؤسسات أو الأفراد.

دواعي الإصلاح:

في ضوء ما تقدم في مفهوم الإصلاح يمكن أن نتلمس جملة من الدواعي للإصلاح، فمنها:

١ ـ وجود وضع شاذ على مستوى معين كالاعتقاد أو النظم الشرعية الأُخر يتطلب إصلاح.

إذ لولا وجود وضع شاذ فلا موضوع للإصلاح.

٢ ـ أن يكون التغيير نحو القيم والمفاهيم المجزوم بصحتها والمؤسس لها على وفق المعايير الصحيحة.

٣ ـ أن ينطبع التغيير بطابع الاستمرارية بحيث لا يكون مؤقتاً أو يمكن التنازل عنه فيما يأتي، وذلك نابع من صحة القيم التي استند إليها الإصلاح وكونها منهجاً متيقن من أهليته للديمومة. فالإصلاح لا يرتجى منه نتائج آنية؛ بل قد يكون العلاج طويل الأمد، فقد يكون زمن الشروع بالإصلاح متسماً بالتضحية كما هو الغالب.

الانحراف السلطوي عن الثوابت:

اتسمت الفترة الزمنية للنهضة الإصلاحية للإمام الحسين عليه السلام بوجود وضع شاذ تمثل بالمنهج الأموي الفاسد في العقائد والأفكار والرؤى والمفاهيم، فقد كانت



السلطة الأموية تنزع إلى مرتكزاتها الجاهلية وتتماهى مع القوى المعروفة بعدائها الإيديولوجي للإسلام وتسعى إلى طمس معالم الشريعة الإسلامية الغراء وتغير المسار الذي رسمته الشريعة، من خلال التحريف والتشويه للثوابت الإسلامية والتأسيس للسلوكيات المنحرفة الصارخة، على المستوى التشريعي والتنظيمي للانتقال بمفهوم الخلافة من مفهومها المعروف بين المسلمين إلى مفهوم توريث السلطة يتداولها صبية البيت الأموي، ووصل الأمر إلى يزيد بن معاوية الذي ورث الحكم من أبيه مستهتراً بكل القيم الأخلاقية والمفاهيم الإسلامية. إذ جسّد يزيد بن معاوية أبشع صور الظلم والانحراف، والذي بدا واضحاً في فترة تسلطه.

فكان لا بد من حركة إصلاحية تتسم بالحيوية والاستمرارية توقظ الأمة من رقدتها وتخلصها من التراكمات السلبية التي جثمت على المجتمع وشوهت صورته بعد أن نأت به عن ثوابته القويمة ممثلة بإفساد العقيدة ومصادرة الأحكام الشرعية والهبوط بأيسر ركائز الأخلاقيات الحميدة؛ لتكون الحركة الإصلاحية وسيلة للنهوض بواقع اجتماعي جديد تعمل على تصحيح مسار المجتمع الذي قولبته قوة السلطة بنوع من الجمود على مقتضيات مصلحة الحاكم لينهي كوابح الجمود، ويزيل رواسب الانحطاط، ويحول دون التراجع والتقهقر[٤] الديني والاجتماعي، وهذا الحراك وإن كانت دواعيه متوافرة بصورة شعور بالاضطهاد في نفوس المسلمين في ذلك الوقت ولكنه لا ينتج ثورة أو حراكاً ثورياً بمجرد الشعور أو رفع الشعار الخجول؛ بل لا بد من العمل المتواصل الذي يتجه صوب الهدف والغاية من أجل تحقيق الأبعاد الإصلاحية.

البعد الإصلاحي العقائدي:

إن قانون التغيير والإصلاح في المجتمعات الإنسانية لا يكون وليد المفاجأة أو الصدفة، وإنما ينشأ جراء التراكم في الانحراف، وقد شكلت مسيرة

يزيد السلوكية مجموعة كبيرة من الانحرافات الخطيرة التي تمس أصول الإيمان وثوابت الدين التي يجمع عليها المسلمون باعتبارها القاسم المشترك بينهم، والإطار الإسلامي العام، إذ اشتهر عنه التمادي بما يمثل عدم الإيمان بالآخرة ومرجعية الكتاب والسنة، وما إلى ذلك من عدم الالتزام بالعقيدة وأركان الدين.

فالإصلاح الذي حدا بالحسين للنهوض يحاكي وما ورد في قضية شعيب عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ*قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾(٥)، فإصلاح الحسين في أمته كإصلاح شعيب في قومه، إذ الإصلاح هو تقويم الشيء وفق جريه الصحيح، فكل مجتمع عقلائي وجد به بالفطرة قوانين إلهية، والإصلاح يكون وفق الجري بهذه القوانين الفطرية. فكيف بالمجتمع الإسلامي الذي أرسى قواعده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بوحي من الله تعالى.

وفساد الشيء يكون بموجب جريه في الطريق الخطأ، ويكاد يطبق المؤرخون برغم اختلافاتهم في التوجهات والمشارب، على ثبوت انحراف الوضع في الأمة؛ بل هناك ما يشير إلى أنه لا يبقى من الدين شيء إذا صارت الأمور إلى يزيد، بحيث لم يجد المؤرخون مناصاً من تدوين ما ذاع من تماديه واستهتاره بالدين حتى رووا بأنه أول من سن الملاهي وآوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر؛ بل كان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه والأخطل(٦)، وكان يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق(٧)، ويتجاهر به ولا يخفيه، مما يشير إلى كونه غير آبه بالله وعقابه، أو منكر لما جاء به النبي الأكرم من تحريمه. ورووا أيضاً أنه قد

اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود، وما من يوم إلا يصبح فيه مخمورا، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه[٨]. ويزني بالمحارم[٩]. وبعد كل هذا يخاطب بإمرة المسلمين ويقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأي مستوى وصل إليه المجتمع من طمس الهوية الإسلامية والتجرد عن العقيدة الصحيحة، والاستهتار بالقيم الدينية!

ومن خلال خطب الإمام الحسين وسيرته نلحظ البعد الإصلاحي العقائدي الذي انطلق منه عليه السلام، فمن ذلك:

١- الامتناع عن البيعة ليزيد.

لكي يتنبه المسلمون لعدم جواز بيعة مثل هذا الخارج عن الدين المنحرف عن عقائده، المستهتر بأحكام الله تعالى وبعدمها سحب للمشروعية عنه.

٢- إعلان الرفض لاستيلاء يزيد على السلطة.

وذلك من خلال العدول من الحج إلى العمرة[١٠] بما يمثل ذلك الموسم من اجتماع المسلمين، ففي ذلك إعلام للمسلمين بأنه ـ الحسين عليه السلام بما يمثله من الامتداد الرسالي للشريعة الغراء ـ رافض لتسلط يزيد من مبدأ عقائدي، وإلا لم يعدل عن حج بيت الله الحرام لأجل المسير إلى العراق؛ ليستشعر المجتمع الإسلامي خطورة الانحراف العقائدي في حال القبول بسلطة من لا تنطبق عليه ضوابط ولاية وإمرة المسلمين.

٣- إبلاغ أفراد الرؤساء كالصحابة والتابعين وغيرهم بخطورة الوضع، لإرشادهم إلى الموقف الشرعي الصحيح الواجب اتخاذه لإصلاح الوضع، كعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير[١١].

٤- إبلاغ بعض الشعراء لما يمثلونه من الجانب الإعلامي آنذاك بالموقف الشرعي؛ لكي ينقلوه بدورهم إلى عموم المجتمع؛ ليتحسسوا ضرورة إصلاح الوضع، كما حدث ذلك مع الفرزدق وهو ما رواه ابن الجوزي إذ قال: (وروي أنه عليه السلام ، قال له: يا فرزدق! إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا)[١٢].

٥- استلزام إصلاح الوضع للتضحية.

إن التضحية التي قدمها الحسين عليه السلام فاقت كل تصور، ولم تكن هذه التضحية هي الموت من أجل الموت؛ بل تتجسد فيها كل موجبات الشهادة في سبيل الله، فهي إنما كانت من أجل تحقيق العدالة ومقاومة الظلم والتعسف ومقاومة اغتصاب السلطة أو الخلافة على المسلمين والاستيلاء على ثرواتهم بقوة السلاح والبطش لتبديدها على نزوات يزيد وشهواته، وشراء الذمم والضمائر الرخيصة وعلى المنافقين والمرتزقة؛ ليعلم المسلمين؛ بل العالم أجمع أن المصلحة العليا إذا استدعت لابد من أن يرخص المصلح النفس والنفيس من أجلها، لا سيما وأن المسألة تتعلق بالعقيدة السماوية وتعاليمها.

٦- التحاق جملة من الأنصار من عموم المسلمين؛ بل ممن كانوا نصارى وأسلموا حين خروجه عليه السلام[١٣]، مما يعطي درساً بأن الوظيفة الإصلاحية لا تختص بطائفة أو فرد أو جهة؛ بل هي وظيفة كل المجتمع.

٧- ما خطب به الحسين أصحابه[١٤]، بما جسده من المفاهيم العقائدية التي كان لها الدور الفاعل في إيضاح دوافع النهضة وأهدافها.

٨- ما خطب به أعدائه حتى في أصعب المواقف لا سيما بعد استشهاد أهل

بيته وأنصاره، إذ كان يدعوهم في ذلك الموقف العصيب إلى طاعة الله تعالى وعدم الاغترار بالدنيا وارتكاب المعاصي، فكانت تلك الخطب تجسد دعوة لتصحيح العقيدة الفاسدة وأنه عليه السلام لا يدعو لطلب رئاسة، إنما لطلب الإصلاح. وهو القائل: «اللَهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُساً فِي سُلْطَانٍ، وَلاَ الْتِمَاساً مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرَي الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ، وَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَسُنَنِكَ وَأَحْكَامِكَ، فَإنْ لَمْ تَنْصُرُونَا وَتُنْصِفُونَا قَوِيَ الظَّلَمَةُ عَلَيْكُمْ، وَعَمِلُوا فِي إطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ؛ وَحَسْبُنَا اللهُ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإلَيْهِ أَنَبْنَا ، وَإلَيْهِ الْمَصِير»[١٥].

٩- الدور المابعدي للثورة المخطط له والذي تمثل بخطب الإمام السجاد عليه السلام وعمته زينب[١٦] عليها السلام وهو يشير إلى أن المبادئ التي قامت من أجلها ثورة الإمام ليست لزمن محدد أو لمكان معين فإن الغاية من الثورة الحسينية لم تكتمل، وإنما لا بد من أن تتوارث الأجيال بعد الأجيال ثقافتها وصلابتها، ويستشعر وجوب إدامتها وتجديدها إلى أن يتحقق الهدف.

١٠- عملية السبا التي تجسد فيها أجلى إعلان عن بشاعة المنحرفين عن العقيدة[١٧]، وكأنه يصدع عن أن من لا حريجة له في الدين وتهاون بالعقيدة يهون عليه إذلال المجتمع واستعباده وعدم الاكتراث لمقدساته.

نسأله تعالى أن يوفق المسلمين لأخذ هذا الدرس الإصلاحي مأخذ الاعتبار؛ لكي ينهضوا بواقعهم العقائدي وتصحيح مساره، مستنيراً بمصباح الهدى سيد الشهداء وسيرته البراقة العطرة ومنهجه القويم الواضح.

والحمد لله رب العالمين..

* هوامش البحث *

(١) ابن منظور - لسان العرب- الناشر : أدب الحوزة - قم - ١٤٠٥ :/ ٥١٧.

(٢) أبو هلال العسكري - الفروق اللغوية - مؤسسة النشر الإسلامي - ط١-١٤١٢ :٤٠٥.

(٣) عبد الله بلقزيز، أسئلة الفكر العربي المعاصر، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الأيوبية، ١٩٩٨، ١٣.

(٤) ظ: حسن موسى الصفّار-الإصلاح الديني والسياسي، ط١-١٤٢٩ هـ: ص١٣.

(٥) سورة هود: ٨٦-٦٩.

(٦) الأصفهاني-الأغاني، تحقيق سمير جابر-دار الفكر - ط٢، بيروت، ج١٧/ ص٣٠١+ المعارف - ابن قتيبة - ص ٤٢٩.

(٧) تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي - ج ٢ - ص ٢٢٨+ المعارف - ابن قتيبة - ص ٤٢٩.

(٨) البداية والنهاية - ابن كثير - ج ٨ - ص ٢٥٨.

(٩) المستدرك - الحاكم النيسابوري - ج ٣ - ص ٥٢٢+تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج ٥٩ - ص ٣٦٣.

(١٠) ظ: المفيد- الإرشاد، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث-١٤١٤هـ- بيروت، ج٢/ ص ٦٧.

(١١) ظ: الطبري-تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت: ج٤/ ص٢٨٦-٢٩٠.

(١٢) تذكرة الخواص:، تذكرة الخواص ، تقديم محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى الحديثة- طهران، ص ٢٤١.

(١٣) ظ: عبد العظيم المهتدي البحراني من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، انتشارات شريف الرضي، ط١، ١٤٢١هـ، قم: ١٩١-١٩٢.

(١٤) محمد حسين الحسيني الطهراني- كتاب لمعات الحسين عليه السلام / القسم الأول.

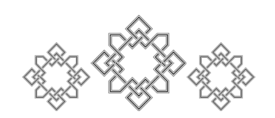
(١٥) ابن شعبة الحراني- تحف العقول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين-بقم ،ط٢، ١٤٠٤هـ: ٢٣٩.

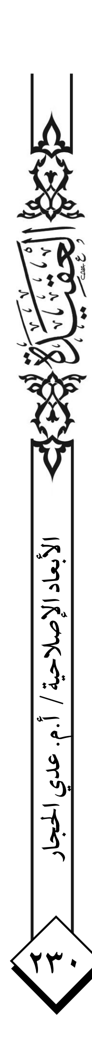
(١٦) ظ: القاضي النعمان المغربي-شرح الأخبار، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة

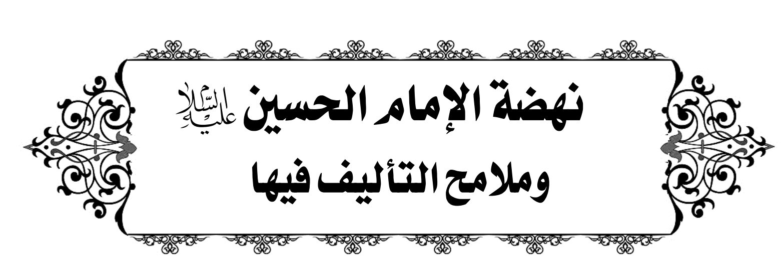
النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم: ج٣/ ص ١٩٩.

الطبرسي- الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ: ج٢/ ص٢٦.

(١٧) ظ: المفيد- الإرشاد، مصدر سابق: ج٢/ ص١١٥-١٢٠.







نهضة الإمام الحسين عليه السلام وملامح التأليف فيها

قراءة تحليلية في كتاب (فاجعة الطف)

أ.د. محمد السيد محمود زوين

كلية الفقه - جامعة الكوفة

المقدمة

الحمد لله الذي منّ على عباده بآل محمد صلى الله عليه وآله، ونزه قلوبهم من سلطة ظالميهم ،وكمل أعمالهم بولايتهم عليهم السلام، وأعلى مراتبهم بمودتهم والتمسك بهم، وصلى الله على نور الأنوار ومصباح الجلال محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين سفن النجاة وشرعة الهداة وعلى من اعتصم بحبلهم وسلك نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد..

ليس غريبا أن تحظى الحوادث الإنسانية باهتمام أقلام الكتاب، وذاكرة التأريخ، ولا ريب في أن أبعاد الوقائع التأريخية تختلف بحسب أهميتها ،وسعة مداراتها ،وقيمة أثرها، وتجدد نتائجها، واستمرار مصاديقها، وحركية استذكارها .

وعاشوراء الحسين عليه السلام لم تكن مجرد حدث تأريخي عظيم فحسب ،إنما جسد واقعة لها من الفرادة والخصوصية ما يميزها من غيرها، وتجاوز بها حد الزمان والمكان بما امتلكته من قيم الإنسانية، ومثلته من منهج في العطاء والتضحية لله تعالى، وأرسته من فهم جديد للحياة الحقيقية مصداق الخلافة الإلهية.

وقد كان لصدى عاشوراء في التأليف والتصنيف مقام لا يدانى، وتجدد لا يخفى، من هنا جاءت هذه الدراسة؛ لتكشف عن بعض خصوصية واقعة الطف بما تحمل من معان ودلالات، ووقفت عند كتاب يستحق النظر والتحليل بما قدمه من فهم دقيق معاصر لعاشوراء، فجاءت هذه الوريقات على مبحثين: تحدث الأول عن سمات التأليف في نهضة الإمام عليه السلام، وانعقد المبحث الثاني على قراءة تحليلية لكتاب (فاجعة الطف) للسيد محمد سعيد الحكيم (دام عزه) المرجع الكبير، وكانت خاتمة البحث بأهم التوصيات التي هي موضع الضرورة.

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

فرضيات البحث:

يمكن القول أن مجموعة من التساؤلات تصلح أن تكون مدار البحث وهي فرضيات قابلة للتطبيق والمناقشة يتبنى الباحث أطرها في مطلبين وهما:

١) هل نستطيع القول أن المادة العلمية التأليفية في أبعادها المختلفة (الدينية، التاريخية، الإنسانية...) حول قضية نهضة الإمام الحسين عليه السلام قد استنفدت على مر القرون أو لا ؟

* إذا كان الجواب بـ(لا) فمال المؤلفات والمقالات والموسوعات تترى كلما هلّ عاشوراء الحسين عليه السلام استفاقت القلوب وتفطرت أرضها بأنواع وأشكال المؤلفات والمقالات.

* وإذا كان الجواب بـ(نعم) فما هو سر هذا التجدد لعاشوراء؟

٢) ما هي الفضاءات الجديدة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام التي لم تستوعبها السنون والقرون، وما زالت إلى اليوم مدار التجدد والعطاء والمواهب .

٣) ما الذي تقدمه نهضة الإمام الحسين عليه السلام اليوم لنا ؟ وكيف لنا أن نوظفها في حياتنا لتكون (كل أرض كربلاء وكلّ يوم عاشوراء) ؟

المبحث الأول

التأليف في نهضة الإمام الحسين عليه السلام

الناظر المتأمل في المصنفات والمؤلفات القديمة أو الحديثة والمعاصرة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، يلحظ اهتماما كبيراً في أبعاد واقعة عاشوراء، فقد انصب الحديث في بعضها على سيرة الإمام عليه السلام، وتتبع الآخر واقعة الطف واستشهاده، واستقصى الثالث أثره في الآداب والفنون، وتناول غيرها تاريخ المرقد الحسيني وهكذا تقرأ العنوان تلو العنوان فيما يتعلق بالإمام الحسين عليه السلام .

والتأليف في أية واقعة أو موضوع يستدعي من المؤلف سبباً من جهة، وآلية للعمل من جهة أخرى مع إمكان المؤلف توسيع دائرة الموضوع ليوصل ما هو جديد فيه.



وإذا نظرنا لموضوع الإمام عليه السلام بلحاظ حيثيات الحركات والثورات والحوادث التاريخية الأخر التي لربما توازي واقعة الطف بملامحها البشرية، وحدودها المكانية والزمانية، وشهرتها الإعلامية لا نجد ذلك التفاعل معها تأليفا، وذكراً؛ بل قد ترى أن موضوع الوقائع العسكرية الكبيرة والمهمة في تاريخ البشرية قد تستوعبها مؤلفات أو مصنفات كثيرة لكنك تصل إلى حدّ في الكثرة من جهة العدد مرة أو استهلاك المعلومة مرة ثانية، فتتحدد معالم الموضوع بعدد من المؤلفات وبطابع من المعلومات النوعية المركزية أو الهامشية وعلى كل حال فهي ضمن حدود موضوع تكاملت أبعاده بحثاً ودراسةً.

وإذا تعاملنا مع عاشوراء الحسين عليه السلام في أي بعد من ابعاد قضيته ضمن حدود هذا المفهوم، والتصور البشري ؛ يقتضي منا ان يكون شأن التصنيف فيه يستوي مع حدود أمثاله(المقيد بالحوادث التاريخية زماناً ومكاناً، واستهلاكاً لموارد

المعلومة وآفاق دلالاتها) إلا أن هذا التصور لا يتطابق مطلقاً مع ملامح التأليف في نهضة الإمام عليه السلام ولهذا أسبابه ومسوغاته.

تتجدد في كل عام مشاريع البحوث والدراسات في نهضة الإمام عليه السلام وكأنما الواقعة جديدة العهد، وحوادثها ما زالت طرية لم تأخذ المعلومة حقها من العناية والاهتمام، وأشخاص القضية يتفاعلون مع أحداثها، وآثار الطف تجذب الأنامل؛ ليستحيل المداد دماً شاهداً حاضراً حياً على الفداء والتضحية بكل ما هو مقدس، وهنا يحضر السؤال الوجيه، ما السر في تجدد عاشوراء؟ والإجابة على ذلك تحدده عوامل قراءة ما كتب عنها والإشارة إلى ما خفي منها إلى الآن، ولا أشك مطلقاً أن ما لم يكتب عن عاشوراء أكثر مما كتب ولعل ذلك مرجعه من جهة عدم الالتفات، أو الغفلة عن الإحاطة بجزئياتها، فضلاً عن قصور ما ذكره المؤلفون لتاريخ الواقعة، وبعبارة أخرى إن ما ذكر عن الطف لا يمثل الفاجعة كلها وإنما هو جزء يسير منها، ولي الحق في الاعتقاد بذلك من جوانب متعدّدة منها:

ما أثر عن المعصومين وعن الإمام الحسن عليه السلام قوله (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله)، وقد لا يغيب عن القارئ الفطن اطلاق دلالة هذا النص وعمومه حتى يتسع مداره؛ ليستوعب عدم مماثلة أي واقعة في تفاصيلها الكثيرة في اسبابها ومقدماتها وفي حدوثها وجزئيياتها الفكرية والإنسانية وفي نتائجها وثمراتها الممتدة حتى هذا اليوم والى ما شاء الله تعالى، حتى استحالت فاجعة كربلاء مثالاً عجيباً يحاول التاريخ ان يتمثله ويسعى إلى ان يعقد وجها للمشابهة معه، وأضحى الإمام الحسين واهل بيته عليهم السلام، واصحابه في كربلاء سلوة لكل ارباب العزاء، وسكينة لكل الثائرين والناهضين الذين وطّنوا انفسهم على الموت، وخلد يوم عاشور؛ ليكون مثالاً وعنواناً للتضحية وتلوح على خطاه رايات ورايات كلها تلوذ بكربلاء شاهداً حاضراً في الفداء والقلوب تلهج بالذكر اين نحن من الحسين عليه السلام ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنّ الْقُلُوب**﴾.

إنّ النتائج العظيمة التي اوجدتها فاجعة الطف تدل على عظم واقعتها وعلو شأنها فهذه الثمرات الكبيرة إنما هي جزء من تلك الحادثة ولا ريب في ان النتائج تاتي على سنخ المقدمات والحوادث، وإذا كنا نعيش آثار عاشوراء بعد قرون نقرأ ونحلل ونستنتج فما بالك في تفاصليها المهمة وجزئياتها العظيمة كونت وجسدت هذه النتائج من هنا نعتقد بأنّ الكثير من تفاصيل كربلاء ما زالت غائبة عن واقع معرفتنا وقصور مداركنا.

قد يحق لمن راود التأليف أو القراءة في الملحمة الحسينية ان يعلن عن ذهوله وعجزه، فالقضية الحسينية لها مدارات وابعاد لا يمكن استيفاء جزئياتها الظاهرة بكتاب، أو تقييد ظاهرتها بالأسطر؛ لا لأنها جرت في زمان ومكان لا يمكن تحديده لسعته وتعدد جهاته ؛ وإنما بسبب تضمن القضية الحسينية قيماً ودلالات لم تشهدها واقعة على مر الزمان، وخلود القيم والمعاني أعمق وأثبت جذراً من خلود الوقائع والحوادث العسكرية؛ فالأولى لا يحدها الزمان والمكان والثانية لا يمكن خروجها عن الزمان والمكان، والقيم والمعاني لعاشوراء نبضها الخالد فطرة الحرية في قلوب الأحرار؛ إذ لا يجد تجسيداً حياً ومصداقاً أوفى وأكمل في الوجود منها، حيث ارتبطت بخالق الوجود وموجد الحياة الحقة .



ومن هنا قد يأتي من يقارن عاشوراء بلحاظ جانبها العسكري والحربي بأية معركة جرت في تاريخ البشرية سواء أكانت قبلها او بعدها في الإسلام او غيره في العصور السابقة او العصر الحديث، ولتكن المقارنة بالحرب العالمية الأولى أو الثانية مثلاً، فهل تجد تصوراً يمكن ان يمثل وجهاً للمقارنة بينهما من جهة الخلود أو تجدد الذكرى وتمثل القيم والمعاني لكل من الحادثين، فهذا أمر يستحيل تصوره كما يصعب تماماً تصور وجه المشابهة في الزمان والمكان للحرب العالمية الأولى والثانية .

لقد ارتبطت عاشوراء بكل ما في مسالك الإخلاص والارتباط بالله تبارك

وتعالى وهذا ما تفتقده أو تتفاوت فيه امثال عاشوراء من الوقائع بغض النظر عن حجمها وزمانها ومكانها.

فالمسألة في الخلود ليست كماً وحجماً؛ وإنما هي قيم سامية في الاخلاص والفداء والتضحية لله عز وجل، هذا هو معيار الخلود من عدمه، فيحظى بالقبول الحق أو التنقل في مدارج القبول، فينعكس مقامه وتصوره على واقع الحياة.

لقد تحولت عاشوراء الطف إلى ظاهرة بشرية[1] تتعدد أبعادها وتختلف تجلياتها، ففي كل اتجاه تجد الحسين عليه السلام حاضراً مقصوداً بالفكر والعمل والمنهج، فإذا جاء وقت عاشوراء رأيت عجباً، وأبصرت حباً يتجدد ويتجذر عاماً بعد عام، فليس لطول الزمان عن الحادثة حاجب، ولا بعد المكان عنها صارف؛ لأن عاشوراء تتجسد لأهلها قيماً إلهية يعيشون افياءها لا يستطيعون الانفلات من فطرتهم التي تسبح في أفلاكها وتنتظم في عقدها .

إن سر تجدد عاشوراء كل عام في القلوب، وتجديد العهد مع الحسين عليه السلام بمصاديق شتى، وطرائق مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر سمة التأليف والتعبير بالكلمات عن الفاجعة لا يقف عند حدٍ، ولن يتوقف إلا ما شاء الله تعالى؛ لأنها تعجز عن تمثل وتجسيد عاشوراء بمضامينها وقيمها الحقيقة عند الله تعالى التي تنعكس في صورتها البشرية ومدارها الإنساني هو فناء في الله تعالى وارتباطا بالمطلق بالباقي بالحي بالغني بالوارث ولا يبقى بعد هذه الصفات لكلمة الخلود غير دلالتها اللغوية، فهي ذائبة في الصفات الإلهية؛ ولذا فإن الأقلام لن تجف والأنامل لن تكل ما دام المشهد إلهياً والحضرة والمقام قُدسي ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ (الكهف ١١٠).

لقد قام البحث بأخذ عينة من المؤلفات التي كتبت عن الإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء وهي مجموعة لا تقل عن مائة عنوان من خلال فهارس المكتبة

المتخصصة بالإمام الحسين عليه السلام الموجودة على موقع العتبة الحسينية [٢] والنظر فيها وفي مادتها وموضوعاتها، فذهلت لما وجدت وتواصلت عندي فرضيات البحث مع نتائجه.

فقد تعددت مواطن التأليف في موضوعات وجزئيات كثيرة تؤدي بك الى توقع ان عاشوراء قد استوعبتها المؤلفات واحتوتها المصنفات وانتهت بعد ذلك الى دائرة اشباع الموضوع بحثاً وتأليفاً، لكنك سرعان ما تحصل على الجديد ممن كتب والجديد والأصيل فيما ألف، فتخلص الى الاعتقاد بأن سمة التأليف في عاشوراء متواصلة متجددة ؛ لتكون جزءاً من الظاهرة الحسينية البشرية التي تسعى الى الارتشاف من عين الصفاء والنقاء قيم التضحية والفداء في سبيل الحق وإقامة دين الله على ارضه واحياء شريعة الإنسان الحر المستخلف.

وعلى الرغم من ذلك كله تبقى لنا مع عاشوراء الحسين عليه السلام حاجات وحاجات عصرية لا تستقيم إلا من مصداق الإمام عليه السلام الذي وحّد المفاهيم المتعددة في مثاله، وجسّد أسرار الخلود والبقاء بدمائه، فمازال بنا الى عاشوراء فقر لا يسده إلا تمثل عطاء الإمام الحسين عليه السلام في فدائه العظيم، ونهضته المباركة، فكيف نوظف ذلك في وقتنا الحاضر ؟ ونتحول به الى منظومة حركية تعادل في حيويتها تحديات العصر، ومشاريع انحراف الامة الاسلامية عن نهجها المحمدي، وتوازن – وهذا من اسرار الشهادة فيما اعتقد- الحياة الحقيقية (الحقة) بلحاظ إحياء الدين والإخلاص في الفداء وطلب الحرية والكرامة، وإن كان نتيجتها موت الجسد، وفناء الجسم الإنساني من جهة، مع الموت الحقيقي الذي تحيطه حياة الذلّ والاستعباد والابتعاد عن الله تعالى، وإن حظي ببقاء الجسد وتعاظم الاجسام والهياكل الإنسانية ؛ فإن مصيرها موت مضاعف فوق التراب وعلى الارض، وتحت الثرى تأكل جسده مسارب التراب وديدان الارض على عكس الأول تماماً.

وبعباره اخرى من اهم ما يراد منا معرفته وتوظيفه مع عاشوراء الحسين



عليه السلام أدراكنا لجدلية (الموت والحياة) في مدارها الحسيني فليست شهادة الحسين عليه السلام إلا حياة حقيقة بلحاظ الخلود، وليست حياة قاتليه وأمثالهم إلا موت مضاعف بلحاظ الحياة، وحيثيات النتائج، وثمرات المواقف ؛ وعلى اساس من هذه القاعدة لا بد من الاعتقاد الجازم بأن نهضة الإمام الحسين عليه السلام إنما هي نهضة حياة لا نهضة موت، فقيامه عليه السلام للإحياء والاصلاح لا للموت والشهادة غاية في ذاتها ؛ إنما هدف الشهادة والموت، الحياة الصالحة المرضية عند الله تعالى وهي قوله عليه السلام (ما خرجت إلا لطلب الإصلاح في أمة جدي).

إن أهم دلالة في النهضة المباركة انها نهضة صلاح في الحياة التي اغتالها بني امية في سلطانهم، فكان موقفه وشهادته اصل نقض بني أمية ودولتهم الباطلة ودمار اسسهم على قاعدة (الحياة الحقة ابقى وأكثر أثرا من الموت) .

إن منهج او حركية الإمام الحسين عليه السلام – إذا جاز لنا التعبير عنها- في نهضته الإلهية تستلزم منا قراءة عصرية جديدة نوظف من خلالها تلك المعاني والقيم والدلالات في حياتنا المعاصرة سواء أكان ذلك في اتجاه واقعنا العملي، ومواطن التواصل مع الآخر أياً كان، او في اتجاه واقعنا المعرفي العلمي الذي يهدف الى الكشف عن حقائق عاشوراء الإمام عليه السلام معرفياً، وتوكيد سمتها واهميتها في وقتها زماناً، ومكاناً، وآثارها ونتائجها الى اليوم، ولا سيما ونحن نعيش تفهماً عالمياً ونشراً إنسانياً لقضية الإمام عليه السلام ، اكثر سعة مما سبق .

وعلى أي حال من الاحوال حري بنا ان ننظر بعين باصرة لتجانس مفاصل نهج النهضة المباركة من جهة الإعداد والمقدمات مرة والتعامل الفعلي مع العدو مرة ثانية.

المبحث الثاني

كتاب (فاجعة الطَّف) للسيد محمد سعيد الحكيم(دام عزه)

قراءة تحليلية

من بين أهم الكتب التي صدرت في نهضة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) كتاب (فاجعة الطف أبعادها، ثمراتها، توقيتها) وهو (بحث تحليلي في النهضة الحسينية ودورها في وضوح الحقيقة الدينية) كما جاء في عنوان الكتاب وبياناته للسيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم المرجع الكبير من مراجع الدين في النجف الأشرف، وإذا جاز للباحث أن يوجز الحديث في مقدماته فحسبه أن صاحب هذا الكتاب علم من أعلام النجف الأشرف سجل التاريخ الإسلامي اثره فكراً وجهاداً .

وليست بي حاجة للقول في صاحب الكتاب (دام عزه) فهو علم من أعلام الإمامية في هذا العصر[٣] . وقبل الشروع في دراسة الكتاب لابد من معرفة.

السمات المنهجية للكتاب والمؤلف:

يمكننا الوقوف عند أهم المعالم المنهجية التي بنى المؤلف عليها كتابه، واسس لأفكاره الموصلة لتحقيق أهدافه وغاياته من خلال النقاط الآتية :

١ـ يأخذنا السيد الحكيم (دام عزه) في أفق واسع من معالم نهضة الإمام عليه السلام، ويسبر اعماق هذه المواطن ليحلل احداثها، ويقلب بواطن مفاصلها ويوقفنا على عقد وقائعها الحقيقة، وهذا منهج صعب.

أن تجمع بين عدة مساحات من البحث بشكل أفقي، وتمضي مدركاً ملامح حقائقها بشكل عمودي معمق؛ لتحصل النتائج وتربطها بالمقدمات تشكلها فكراً خالصاً .

أقول هذا الأمر ليس باليسير مطلقاً وغير متاح لمن يكتب أو كتب في نهضة الإمام عليه السلام أن يعزز هذه القناعة المنهجية ذلك بالتتبع للمصادر والمراجع والوقوف عند جزئيات النهضة، ومسارات الواقعة فيما بين السطور، ولعلي لا أبالغ في القول إن من تجتمع فيه القدرة على الاستثمار والتوظيف للمصادر على هذه الشاكلة وعى وادرك مفردات الموضوع وصدر عن فهم موسوعي لحادثة عاشوراء ومكانتها في التراث الاسلامي المختلف في تصوراته لها .

٢ ـ الموسوعية والاستطراد سمة واضحة على أسلوب المؤلف ولك أن تنظر المقصد الثاني من الكتاب بفصوله ومباحثه لتجد عناصر الموسوعية والاستطراد واضحة بارزة.

٣ ـ التلازم الموضوعي بين مفاصل الكتاب ومقاصده وعنواناته بشكل منطقي ممنهج يخرج القارئ من باب الى آخر بحسن تخلص، بما يربط المقدمات بالنتائج والفوائد والثمرات .

٤ ـ الوقوف عند جزئيات الفاجعة وتتبع حلقاتها وتوظيف كل شاردة ونادرة تتصل بعاشوراء وفي هذا قدرة وافية في معرفة الموضوع وكيفية التعامل مع مفرداته.

٥ ـ التوثيق الدقيق للحوادث التاريخية والروايات وكل ما من شانه تأييد آراء المؤلف وما يذهب إليه.

٦ ـ الأسلوب التعبيري من باب (السهل الممتع) وإظهار المعاني بالصياغات المعتبرة ذات الدلالات العالية الرفيعة.

كتاب فاجعة الطف :

أما الكتاب فهو يقع في أكثر من ستمائة وسبعين صفحة من القطع الوزيري

طبع للمرة الثالثة عام (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م) وصدر عن مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية.

ينتظم الكتاب في مقدمة وثلاثة مقاصد وخاتمة توزعت على فصلين فضلا عن تقديم عرض فيه المؤلف منهجه، وستة ملاحق تضمنت خطب مهمة وقائمة للمصادر والمراجع زادت على ثلاثمائة وثلاثين عنواناً.

لم يرغب السيد الحكيم (دام عزه) في أن يبتدأ الكلام عن عنوان الكتاب ومنهجه من دون ان يقرر في الاذهان أمرين؛ بل ثلاثة، هي :

الاول: إن هذه النهضة النادرة الفريدة لا في الإسلام فحسب؛ بل في العالم أجمع قد حظيت بالاهتمام والتقييم بشكل جعلها من الفرادة بمكان غير مسبوق ولا ملحوق.



الثاني: على الرغم من كل ما تميزت به من الاهتمام ما زالت جوانبها المباركة مدار البحث والدراسة؛ وذلك لأنها كانت بأمر الله تبارك وتعالى ولها من الاهداف والثمرات والفوائد ما لايدرك إلا في الوقت المناسب؛ لأنها في علم الله تبارك شأنه ﴿**وَلا يُحِيْطونَ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلّا بِمَا شَاءَ**﴾.

الثالث: إن نهضة الإمام أحدثت تحولا في المجتمع الإسلامي وفكره نحو قضاياه الدينية والدنيوية، وفجرت فيه روح الاسلام المحمدي الحي، ومازالت الى الآن منهلاً يرتوي منه الاحرار ومنارا يستضاء به في ظلم الطغيان، وفكرا يوظف- في كل زمان ومكان – لاسترداد الحقوق ونبذ الباطل، وهذا مصداق من مصاديق الخلود.

والإشارة بادئ ذي بدء الى كل ذلك إنما يطهر الأذهان من الشبهات ويستلزم قبول الحقائق نقية حية، فلا جدلية بين القلة والكثرة في التأليف بشأن عاشوراء الحسين عليه السلام، وليس أمر النهضة بعد ذلك من شان السياسة أو الدنيا كما

يتصوره من لا حريجة له بالدين؛ إنما هو (عهد معهود منه تعالى) وهذا يفسر سرّ خلود عاشوراء .

ويسترسل المؤلف (دام عزه) في تقديمه المنهجي ويعرض للعنوان ومفاصل الكتاب ويحكم الصلة بين العنوان والمعنون بعد ان يحدد معالم العنوان بسبب دلالاته المقصودة، وأهدافه المنشودة القائمة على فرضية بحثية تقوم على ثنائية العاطفة والفكر، او الفاجعة (المأساة) الدينية والإنسانية وملامحها الحزن والألم والبكاء، وقضية الحياة الحرة الكريمة وملامحها نقض الاستعباد والظلم والطغيان؛ ليكون العنوان على بعدين :

الأول: يستعرض الفاجعة «وبيان المفردات المأساوية المثيرة التي تجمعت فيها، وجعلتها في قمة المآسي الدينية والإنسانية وبالحجم المناسب لخلودها»(٤).

الثاني: يظهر الوجه الآخر لها من جهة إحياء الدين وتاسيس قواعد الحياة الحرة وتحويل العواطف الى مواقف حية توظف وتستثمر في الحياة؛ لذا جاء البعد الفكري عنواناً تفصلياً (لفاجعة الطف)، وهو (أبعادها، ثمراتها، توقيتها)، وهذا العنوان التفصيلي قامت على أساسه مقاصد الكتاب الثلاثة التي يسبقها السيد الحكيم (دام ظله) بمقدمة يؤسس فيها بالادلة والبراهين لنظرية التخطيط الإلهي لواقعة الطف بما ينقض تماماً فرضية النظرية المقابلة لها ومفادها (ان التخطيط لواقعة الطف بشري) فهذا أمر مردود مستنكر معارض بالحجج الدامغة التي لا سبيل الى رفضها، كونها حقائق تسالم عليها اهل العلم في مصادر استنادها وثبوت وقوعها بحسب تواتر نقلها، ولا خلاف في هذا بين المسلمين إنما يوهم بالخلاف او بالمخالفة بعض من ينظر بعين واحدة ويفكر بلحن خفي.

من هنا يوثق المؤلف هذه الحقيقة بالنصوص الروائية عن النبي واهل بيته (صلوات الله عليهم) وعن بعض اعلام الصحابة والتابعين ومن خلال الاستدلال بالحوادث التاريخية وفي كل ذلك ينقل عن مصادر عامة المسلمين تفاصيل وافية

يدعم فيها نظرية التخطيط الإلهي لواقعة الطف بما لا يدع سبيلا للمقارنة مع غيرها، ولا مجالا للشك في ابعادها، فياتيك بالشاهد تلو الشاهد والحادثة تلو الاخرى بدءا من زمن الرسالة حتى شهادته عليه السلام، ينتقل بين العناوين المختلفة؛ ليوظفها على أحسن ما يتصور طلبا لإيضاح الحقيقة وبيان المطلب فلا يدع نصا او حادثة إلا ويستثمرها في اتجاهات مختلفة يخلص منها الى نتيجة واحدة وهي إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام عهد معهود ولا يصلح غير هذا الراي يقينا مع مقام نهضة ما تزال الى اليوم منبع الثورات ومعتمد الحراك الإنساني ضد الظلم والطغيان.

لقد استحصل المؤلف (دام عزه) ثمرة ما قدم من الادلة، وغاية ما اراد من البراهين فقناعة القارئ وإيمانه بفرضية البحث إنما يتطلب عرض الحقائق والربط بين اجزائها وهو عين ما سعى إليه السيد الحكيم (دام عزه) فقدم اكثر من خمسة وعشرين عنوانا استدلاليا على حقيقة فرضية البحث ليصل بانتقال منهجي منطقي الى مقاصد البحث التي تشخص امام القارئ بتراتبية منسقة متواصلة يفضي احدها الى للآخر ويستكمل أولها نتائجه في الثاني، ويسطع المقصد الثالث ليميز التناسب الزماني لأحداث وثمار المقصدين.

وعلى أية حال فقد عنون المؤلف (دام عزه) المقصد الاول: (ابعاد فاجعة الطف وعمقها ورردود الفعل المباشر لها)، وجعل هذا العنوان على فصلين اختص الاول بابعاد الفاجعة وعمقها، وقام الفصل الثاني على ردود الفعل المباشر لها.

ولا يخفى على قارئ الكتاب ان هذا الفصل تأسيسي بالنسبة للمؤلف ومنه انطلق الى بناء مدارات الكتاب عليه، فالوجه الدامي للفاجعة اعطاها الأثر الاكبر والمدى الابعد في الكشف عن الحقائق وتاكيد ملامحها في اتجاهين:

الاول: حقيقة مقام الإمام الحسين عليه السلام ومكانته وما له من خصائص إلهية فرادة إنسانية لا يدانيه فيها احد ولا يقاربه فيها بشر، فليس على وجه الارض ابن

بنت غيره فهو وراث النبوة المحمدية قولاً وفعلاً وتقريراً وهي حية شاهدة في قلوب المسلمين ما زال المسلمون يعيشون اجوائها بلحاظ المكان والزمان فالعهد من النبي صلى الله عليه وآله قريب، وعلى الرغم من كل ذلك لم يرعَ بنو امية مقام الإمام عليه السلام ولا أهل بيته وكانوا بذلك معلنين عن حال واقعهم الحقيقي الذي تجسد في الاتجاه الثاني.

الثاني: صورة النهج العدواني الدموي لبني أمية الذين لا يرقبون في المسلمين إلّا ولا ذمة، فإذا كان من بمقام الحسين واهل بيته (صلوات الله عليهم اجمعين) يفعل بهم هكذا فكيف بالناس والمسلمين .

هذان الاتجاهان وظف السيد الحكيم (دام عزه) فيهما كل ما استطاع الحصول عليه من الادلة والحوادث التاريخية والبراهين على خصوصية الوجه الدموي العدواني تجاه الإمام وحاول ان يظهر – وقد وفق في ذلك- تلازم المشهدين في الطف بما يقدم من خلالهما صورة الفاجعة التي أخذت أبعادا مختلفة في التحذير منها وتنبيه المسلمين عليها قبل حدوثها، وفي أحداث وقوعها وبشاعة جزئياتها .

وقد أنتجت آثارا مختلفة على صعيد الكون والطبيعة والناس والفكر وهو نتيجة ذكية قادنا إليها المؤلف (دام عزه)، فالسماء التي أمطرت دماً والأشجار التي انبعثت منها الدماء أو التي سالت من حيطان القصور أو الدم الذي تحت الحجر والصخور أو ظهور الحمرة في السماء وغير ذلك كثير من تغيير الكون والطبيعة ويخصص لآثار عاشوراء وفاجعته في الناس الفصل الثاني من المقصد الأول على حين يناقش باستفاضة ثمرات الطف وفاجعته في الفكر والمنهج الديني والإصلاحي فضلا عن آثارها في الواقع المجتمعي والسلطوي، ومهما يكن من أمر فقد أوقفنا المؤلف (دام عزه) في الفصل الثاني من المقصد الأول على آثار وردود الفعل المباشرة لفاجعة الطف وقد تمثلت في مقامين :

الأول: رد فعل الناس .

الثاني: رد فعل السلطة.

ولا ريب في أن عملاً إجراميا في أبعاده المختلفة تحتم ردود فعل مختلفة، لا تقتصر على الأفراد او الجماعات، بل تعدت إلى الأمصار والبلدان مما حدا بالقتلة السفاحين من اكبر هرم السلطة إلى أدناها أن يندموا (ولا حين مناص) والندم أدنى مصاديق الجرم والكبائر التي لا يجبرها ندم ولا حسرة، لقد استوعب السيد الحكيم (دام عزه) جميع الموارد التي أظهرت تحولاً في أفعال أو أقوال الناس والسلطة وجمع بينهما في غاية واحدة تؤكد قصوراً وتقصيراً في حق الإمام عليه السلام من جهة المتخاذلين عن نصرته عليه السلام، وتجسد تنصلاً عن الجرم العظيم من جهة قاتليه (لعنهم الله) ولكل جانب منهما مظهر نصت عليه المصادر التاريخية التي تتبعها البحث بدقة وإيجاز وقدّمها في إطار عنوانات صغيرة جمع فيها الدلائل على فوات الآوان على النادمين فضلاً عن تأييد حقيقة الآثار الكونية والمجتمعية لشهادة الإمام الحسين عليه السلام والتي أضحت تقلق السلطة وتهز أركانها؛ لينطلق بنا الى المقصد الثاني من الكتاب والذي تناول ثمرات فاجعة الطف وفوائدها، وقبل الحديث عن هذا الجزء المهم من الكتاب لا بد من أن اذكر ان المقصد الثاني قد تجاوز نصف الكتاب، وكانت لعنواناته المهمة التي أنبأت عن استطراد موسوعي للمؤلف (دام عزه) ربط فيها بين مطالب البحث وقضاياه الحسينية بسياقاتها وأصولها التاريخية السابقة وعمقها بالنتائج التي افرزتها عاشوراء الطف بعد شهادة الإمام عليه السلام وقدمها في فصلين كانا اهم فصول الكتاب.

وبعبارة اخرى : يقدم المؤلف اطروحة مهمة جدا يركز فيها على نتائج فاجعة الطف وفوائدها بالنسبة للدين الاسلامي بشكل عام وللتشيع بوجه خاص، ويرى – باستدلاله الدقيق- ان هذه الواقعة العظيمة لم تكن حادثة عارضة في وقتها منبثقة عما قبلها من تاريخ الرسالة واهل البيت عليهم السلام ؛ إنّما كانت لها من الاصول التاريخية

والاسباب الفكرية العمق الاكبر محركة التاريخ متوالدة عن تراكم وليست عن فراغ من هذه النقطة المهمة يرصد السيد الحكيم (دام عزه) تلك العلاقة بين عاشوراء وبين ما جرى على المسلمين من حوادث من بعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله الى عام (٦٠) للهجرة في اتجاهين :

الأول: ما تعرض له الدين الإسلامي من بوادر انحراف عن الجادة التي رسمها النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين، وكيفية انتقال السلطة ومدى شرعيتها فضلاً عن جدلية العلاقة بين السلطة ومستقبل الإسلام .

ويؤكد ان النتائج التي افرزتها حركية السلطة آنذاك هي التي مهدت باستيلاء بني امية وتوليهم رقاب المسلمين وانحرافهم بالاسلام المحمدي الى مدار آخر وهي امتداد لما سبق ولم تأت النتائج من دون ذلك الاصل.

الثاني: بيان مقام اهل البيت ودورهم في ايقاف وكبح جماح الانحراف وهي مهمة رسالية، تقتضيها الامانة الإلهية التي حملوها بإزاء الدين الإسلامي، فقاموا (صلوات الله عليهم) بما كلفهم الله تبارك وتعالى ونهضوا بالأمر وذبوا عن حياض الدين وبذلوا ما استطاعوا من اجله، فمواقفهم المؤيدة المسددة منه تعالى صدرت عن اليقين وهي مواقف في عرفنا المتواضع يظهر لنا وجه الحكمة في بعضها مرة، وقد يخفى عنا في بعضها الآخر(٥).

لقد كانت رسالة نهضة الإمام الحسين عليه السلام إنها استنقاذ للعباد من الجهالة وحيرة الضلالة، وإنها الفتح الجديد بالدين الإسلامي بعد ان خلق من انحراف السلطة واصبح في مهب التشويه والضياع وليس له إلا الحسين عليه السلام .

من هنا يضعنا المؤلف (دام عزه) أمام مسارين لهما آثار وثمار الى اليوم على الرغم من البون الشاسع بينهما ينظر لها من جهة ثانية، وتقابل المسارين تقابل تضاد يفترق فيهما الحق عن الباطل والمساران هما:

مسار الانحراف عن الإسلام الذي قاده معاوية بصورة أوضح وبنهج مباشر وإن كانت له اصول فيما سبق ومن بعض مصاديقه تولية العهد، وقد استنكره عليه المسلمون ـ في وقته- لكنه فتح الباب على من بعده يقول (دام عزه): (فإنّ من الظاهر ان النهضة المباركة لم تمنع من استمرار العمل على نظام ولاية العهد في الخلافة من دون مراعاة اهلية المعهود له، واستمر ما سنه معاوية في دول الاسلام المتعاقبة حتى تم إلغاء الخلافة في العصور القريبة، وإذا كان كثير من المسلمين قد استنكروا على معاوية – في وقته – فتح هذا الباب، فإنّهم قد سكتوا عمن بعده وتأقلموا مع النظام المذكور أمراً واقعاً؛ بل أقر فقهاء الجمهور الخلافة المبتنية عليه كما أقروا خلافة الأولين) [٦] .

هذا المسار أدى إلى آثار سيئة على الرغم من كبح جماح جماعة وإيقاف طغيانه بالنهضة المباركة فقد (جرّأت الأمويين على الدماء كما توقع الإمام الحسين عليه السلام وجرى على ذلك من بعدهم من الحكام في الدول المتعاقبة)[٧].

أضف إلى ذلك ان هذا المسار حَفّز السلطات المتعاقبة باسم الإسلام على الظلم والتعدي على حرماته وأحكامه، وزاد في تفريق المسلمين وتدهور أوضاعهم في كل المجالات دينياً واجتماعاً وعمق الخلاف بين شيعة أهل البيت وكثير من الجمهور، وعلى الرغم من كل ذلك كانت للنهضة المباركة وقعها المؤثر والفاعل في استمرار تقييد طغيان هذا المسار وكبح جماحه وإبطال أكذوبته وتضعيف أركانه كل ذلك بما تحقق من ثمار المسار الثاني.

مسار الموقف والتضحية للدين التي جسدها الحسين عليه السلام فهو المؤتمن على الدين المقوّم لانحرافه الذي أسس قواعده ودعمت أركانه بني أمية فكان (صلوات الله عليه) يقف بوجه مسار الانحراف بما يتناسب وجسامة الموقف وخطر البدع والحوادث فحركته عليه السلام تبعاً لتكليفه الإلهي في الصبر مرة والرفض والإعداد ثانية والنهضة والتضحية ثالثة، فقد قدّم في سبيل دين الله وحرمته كلَّ ما عنده

ومصداق هذا (الكل) فاجعة الطف بدقائقها وجزئيات أحداثها؛ لتتحول وتثمر عن منهج إلهي مهمته وغايته مصلحة هذا الدين في مقارعة الانحراف وكشف التزييف.

من هنا كان ارتباط(فاجعة الحسين عليه السلام) بإحياء (دين الله) مؤسساً لوعي وادراك متجدد لمرجعية (الدين الحق) الذي يتعدى حدود الزمان والمكان ويستعصي على الطغاة وجبابرة الارض محوه أو إخماده ما دام في نبض هذا الدين دم الحسين عليه السلام الفاتح، قال عليه السلام في رسالته لبني هاشم «أما بعد فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام»[٨] .

لذلك يقرر السيد الحكيم (دام عزه) هذا المعنى مراراً بطرائق مختلفة واساليب شتى وعنوانات متعددة كلها تفضي الى حقيقة ارتباط عبد الله (الإمام الحسين عليه السلام) المؤتمن بـ(دين الله) المعرض للضياع والمحو والاستبدال بدين جديد (الاسلام الأموي بدلاً عن الإسلام المحمدي) المنهج وطريق ينقض دين الله تعالى من داخله بتعطيل الحدود والاحكام وتغيير المفاهيم؛ ليكون الانقلاب من الداخل؛ لأن نسخ الدين يؤدي بالضرورة الى الضياع، ولا بد من موقف وتضحية تكون بمستوى المؤامرة على الدين وهذا ما لا يقوم به إلا المعصوم صلوات الله عليه المؤتمن الراعي للدين وهذا المعنى حدده البحث في الموازنة بين الانحراف في الاتجاه من جهة وما من شانه ان يترتب على الانحراف لو لم يعطل مشروعه وهذا أولاً، وثانياً: جهود أهل البيت عليهم السلام في مقارعة الانحراف والدفاع عن حياض الاسلام[٩]، وكلا الامرين اجراهما المؤلف (دام عزه) في مبحثين جعلهما قاعدة تأسيسية لواقعة الطف. ولعل التعرض لبعض عنوانات المبحث الأول تكشف عن مدى صواب وصحة ما ذهب إليه، فالشواهد التاريخية حاضرة والاحداث المترتبة عليها واضحة العلاقة بها.

يستدل البحث على رعاية المعصومين لهذا الدين بوصفه خاتمة الاديان

والمصحح لما سبقه وليس ينتظران يصحح بدين او نبوة إذا اختلف فيه العلة؛ لذا كان المعصومون هم الموكلون بحفظه وعلى ذلك جاءت النصوص الموثقة في وجوب معرفة الإمام والاذعان بإمامته وطاعته وموالاته والنصيحة له، ولزوم جماعة المسلمين والمؤمنين وحرمة التفرق، ولهذه المفردات مقام عظيم في نظم امور الدين وأهله؛ لأنها محمودة العاقبة تستوجب اللطف الإلهي إلا ان ما جرى بعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله على عكس ذلك تماماً، فتعثرت الامة وانحرفت عن الخط الرسالي، واستبعدت اهل البيت عليهم السلام عن مقامهم المنصوص عليه، واعطت مقاليد السلطة الى غيرهم فأصبح معيار الإمامة والولاية بالقسر والقهر بخلاف حكم الله ورسوله فانكر اهل البيت عليهم السلام (علي والزهراء صلوات الله عليهم) ذلك واضطروا الى مسالمة السلطة فأسلمت أمور المسلمين وبدأ استغلال السلطة بخصوصيات اهل البيت فوضعت الاحاديث لصالحها، ثم ما لبثت حتى تمسكت باحاديث وجوب طاعة الامام ونصرته مع تحريف مصداق الامام الى غير اهله فضلاً عن استعانة السلطة بمفاهيم زائفة منها أن ذلك قدر منه تعالى وقضاء، وعلى ذلك نما جيل جديد على الطاعة العمياء للسلطة واخذ التحريف بعداً بتولي الجهلاء للفتوى والقضاء وختم المبحث بنماذج من التحريف في زمن بني أمية تجاوزت الثلاثين تحريفاً؛ لينتقل الى المبحث الثاني الذي اختط المؤلف له منهجاً تراكمياً في الاحداث كانت غايته بيان جهود اهل البيت عليهم السلام في ردّ الانحراف التي قامت على ثلاثة مقامات، اهتم الأول بجهود الامام علي عليه السلام والخاصة من اصحابه والتابعين الذين كانوا معه في صدّ الانحراف مقابل ضغط السلطة المتواصل عليه وعلى اصحابه صلوات الله عليهم وتابعيه .وفي هذا المبحث سرد غني للحوادث التاريخية المسكوت عنها او المفعولة وهي مهمة للباحثين عن الحقائق والمتصدين لمعرفة واقع المسلمين آنذاك

وجاء المقام الثاني على بيان رد فعل السلطة على جهود الإمام علي عليه السلام

وخاصته في ردع الانحراف فكان لإهمال معاوية بالقضاء على خط اهل البيت عليهم السلام أساس في هذا المقام فقد نكل بالشيعة وحجر نشر السنة النبوية ومنع الروايات المؤيدة لأهل البيت عليهم السلام ووضع الاحاديث المزيفة في فضل الصحابة والخلفاء واستبعادها عن آل البيت وعن علي عليه السلام خصوصاً مقابل تقديس الخلفاء، وانعقد المقام الثالث على أثر فاجعة الطف في الاسلام بكيانه العام وابتدأ باشارة الى قوة الدولة التي اقامها معاوية بالترهيب والترغيب وبالإعلام والتثقيف المنحرف وإثارة العصبية والنعرات الجاهلية وكيف تعامل الناس مع واقع السلطة التي تمثل انحرافا دينيا، يستوي مصداقه الأكمل ببيعة يزيد لعنه الله بعد ان أرسى معاوية قواعدها واحكم بنيانها في امة متخاذلة أنساها دينها ومثلها (١٠) .

«واتخذ نهج التدرج في الانحراف والمخالفات بنحو لا يستفز الجمهور، وكلما آلف الجمهور مرتبةً من الانحراف انتقلت للمرتبة الأعلى وهكذا حتى يألف الجمهور حكم السلطة في الدين وتحويرها له »(١١) .وعند ذلك تكون تبعية الدين للسلطة فيضمر وقعه في نفوس الناس، وقد ينتهي التحريف بتحول الدين إلى أساطير وخرافات؛ لذلك لابد من موقف يفقد السلطة توازنها؛ لتقوم بجريمة نكراء تنكشف فيها على حقيقتها وتستفز جمهور المسلمين، وتذكرهم بدينهم وتستثير غضبهم وتفصلهم عن السلطة وتخسر ثقتهم بها، وبذلك تفقد السلطة فاعليتها وقدرتها على التحريف (١٢).

لقد كانت التضحية بأوحد أهل الدنيا على وجه الأرض الطريق الى نقض بناء السلطة مدة عشرين سنة، فقد سنحت الفرصة بعد ان وصل الاستخفاف والاستهتار بالدين والناس أعلى مراتبه باتخاذ يزيد الخلافة مرتعا له ولأمثاله، فلم يكن والحال هذه إلا صورة واحدة في مشهدين :

إظهار وجه السلطة السيّئ البغيض بعد نزع القناع عنه والتجرؤ على حرمة الإمام عليه السلام وبما جرى في فاجعة الطف بكل ما هو وحشي لا يمت

للإنسانية بجانب.

والمشهد الآخر :صورة التضحية والفداء للدين بكل ما يملك الإمام عليه السلام والصبر على كل ما يجري عليه واهل بيته وأصحابه الخلص احتسابا للأجر عند الله تبارك شأنه وهو إحياء الدين، في إسقاط أكذوبة بني امية واستحالة هذه التضحية شريعة ومنهاجا تجدد لحفظ الدين والدفاع عن حياضة حتى صدق « كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء»، وقد حرر المؤلف (دام عزه) عددا من الدلالات والآثار المباشرة للدين ومنها :

- تشابه حركة وفداء الإمام الحسين عليه السلام لمواقف الأنبياء والأوصياء وجميع المصلحين .
- التلازم الحيوي بين دعوة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وفاجعة الطف بغاياتها واهدافها .
- ظهور نشاط وحركية الفرقة المحقة التي تلتزم بالاسلام الحق المتمثل بخط اهل البيت عليهم السلام وظهور الاختلاف العميق بين المسلمين بسبب الانحراف.
- قيام بوادر انهيار الدولة القائمة على الظلم والجبروت بعد ان تزعزعت اركانها وبان زيفها وانحرافها .
- فقدان السلطة شرعتها واسقاط فرضياتها في انها من القضاء والقدر، وكسر حالة الخوف منها، وتهيئة المناخ الصحيح للثورات عليها والخروج على ظلمها وجبروتها، ومنها قامت ثورة اهل المدينة وخروج ابن الزبير، والتوابين، والخوارج وغيرهم فالخروج على السلطة لم يعد مقتصراً على جهة دون اخرى
- البراءة من اعمال السلطة؛ بل البراء منها؛ لأنها حق مغصوب وهو ما قام به معاوية الثاني بعد ان عهد اليه يزيد بولاية العهد، فاعلن البراءة من

جده وابيه ورفضه لها .

- وضوح فكرة عزل الدين في الصراع على السلطة .
- وضوح فكرة ان بيعة الخليفة لا تقتضي شرعية خلافته، وان وجوب الطاعة والجماعة لا يعني الانصياع للسلطة؛ لأنها لا تمثل الشرعية الدينية.
- تعاظم التوجه الديني في المجتمع الاسلامي نتجية فاجعة الطف، وظهور طبقة الفقهاء والمحدثين وشياع الاتفاق على مرجعية الدين بالكتاب والسنة واستبعاد السلطة عنها مما ادى إلى تعامل السلطة مع الواقع بشكل آخر تمثل في اقدامها على تدوين السنه والتقرب من بعض الفقهاء طلبا لكسب الشريعة منها (١٣).

هذا وغيره من اهم مكاسب الاسلام لفاجعة الطف التي وقف عندها السيد الحكيم (دام عزه) مدققا مستدلاً ببصره وبصيرته جامعا لأهداف الفاجعة من جهة وتلازمها مع النتائج التي حققتها في واقع الامة، ولم يقتصر على ذلك فحسب انما اخذنا حيث المكاسب الخاصة التي تجلى عنها عاشوراء لمنهج التشيع وللشيعة من المسلمين بوجه خاص ويمكن ان نوجز ذلك بالنقاط الآتية :

١ـ انحصار مرجعية الدين بالكتاب والسنة انما هو انتصار لمباني التشيع ولهذا الامر ابعاد أخر في الحد من اثر المباني الفكرية الشيعية على تحولات الافكار الاسلامية إليهم نظرا لطبيعة مصدرهم ولقوة استدلالهم ومواردهم.

٢ـ الاستدلال على رفض الإمام الحسين عليه السلام لنظام الخلافة واسقاط شرعيته المصطنعة، ولاسيما انه صلوات الله عليه قد رفع شعار الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد زعزع نظام الخلافة عند الجمهور وكانت فاجعة الطف العقبة امام نظام الخلافة وعقدة السلطة دائماً.

٣ ـ فوز التشيع بشرف التضحية في اعظم ملحمة دينية، وهو ما حدا

بالظالمين والسلطويين في النقمة على الشيعة في احياء فاجعة الطف مما ادى الى تجذرها بنحو يؤكد ظلامتهم على نهج ظلامة إمامهم وهو – ولاشك ـ يعود في صالحهم على الأمد البعيد[١٤]، وما الى ذلك من المكاسب التي يستثمر السيد الحكيم (دام عزه) .

المقام الثالث يعرض بقية المكاسب فيها من خلال الإعلام والاعلان عن فاجعة الطف تعني الدعوة الى التشيع ونشر ثقافته من خلال رثاء الإمام الحسين عليه السلام او زيارته او التاكيد على ظلامته وإحياء مراسيم المناسبات المتعلقة بأهل البيت وإذا كان التشيع مرتبطاً بأهل البيت ففيه استثمار له لنشر ثقافته والتأكيد على حقوقهم مما أدى إلى تجذر مناسبات أهل البيت عموما من خلال إحياء عاشوراء وهي على مدار عام تجدد كل عام وهذا يعطي – للشيعية ـ زخماً من الحيوية والنشاط والتواصل من جهة وجمع كلمتهم وتثبيت وحدتهم من حهة ثانية، ولا يخفى ما في ذلك على تثبيت الهوية الشيعية ونشر الثقافة الدينية الحقة .

ويصل بنا المقام الى الفصل الثاني (في العبر التي تستخلص من فاجعة الطف) من المقصد الثاني في مقامين نطل منهما في الحديث عن آلية العمل العظيمة الشريفة العالية التي اتبعها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة المتناسبة في الدعوة إلى الإصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مواقفه التي أعلن فيها عن نهضته بدءاً من خروجه من المدينة حتى شهادته في كربلاء، ويلاحظ المؤلف (دام عزه) ان سلامة الآلية في العمل والصبر وانتظار أمره تعالى والشهادة بين يديه عز شانه وعدم البدء بالقتال كل ذلك من آليات العمل عند المصلح الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر[١٥]، وهي مواقف سايرت طريق الحسين عليه السلام ولم تنفك عن نهضته حتى صارت من معالمها العامة وطريقة أدائها الرسالية.

وفي المقام الثاني يتوقف السيد الحكيم (دام عزه) عند نتائج فاجعة الطف

ويحدد اهمها مشيرا لإمكان الاستفادة منها في وقتنا المعاصر، وقد لا تكون بعض هذه النتائج في ابعادها العملية صورة مرضية للمجتمع الاسلامي آنذاك لكنها ترصده بشكل واقعي حقيقي وقد كشفت فاجعة الطف عن إكمال مشروع امير المؤمنين عليه السلام في ايضاح معالم الدين، وسلب شرعية السلطة التي كانت تتحكم فيه وتعذر إصلاح المجتمع بالوجه الكامل وهذه النتيجة امتداد لنتيجة تجربة علي عليه السلام مع المجتمع الاسلامي؛ لذا ينحصر الأمر في شان الاصلاح بمحاولة الاصلاح النسبي وعدم الاغترار باندفاعات الناس العاطفية وهذا نهج اهل البيت وما هم عليه في شان تعاملهم مع السلطة وما يظهر من مسالمتهم لها .

وناقش السيد (دام عزه) دعوى ان هذه الرؤية لا تتناسب مع قابلية الاسلام للتطبيق وخلص الى ان الإصلاح الكامل يتعذر بعد حصول الانحراف، وقد زاد الأمر تعقيدا في زمن الغيبة ومع كل هذا لا يسقط الميسور من الاصلاح بالمعسور.

وفي آخر مقاصد الكتاب - الثالث في الترتيب الأول في اعتبار الأهمية- حيث يثير السيد الحكيم (دام ظله) أمراً مقصوداً في الاذهان، وهو ان اهل البيت عليهم السلام باجمهم يشتركون في مسؤولية رعاية الدين والجهاد في سبيل صلاحه وحمايته، فلابدّ من أن يكون لانفراد الإمام الحسين عليه السلام من بينهم بنهضته التي انتهت بفاجعة الطف لاختصاصه بظروف ودواع الزمته بذلك لم تتحق لهم عليهم السلام؛ لذا حاول السيد الحكيم (دام عزه) ان يقدم لنا رؤيته فيما تميزت به نهضة الإمام الحسين عليه السلام بحيث الزمه النهوض ولم يسعه القعود، وقد فصلّ السيد الحكيم (دام عزه) الاجابة عن هذا الاشكال بطريقة جمعت مقاصد اهل البيت عليهم السلام في اتجاه واحد، على الرغم من تعدد اساليب تعاملهم مع احداث عصرهم، فلكل امام منهم (صلوات عليهم) ظرفه الخاص؛ لذا كان الحديث في فصول ثلاثة: تخصص الأول في الامام أمير المؤمنين عليه السلام، والثاني في موقف الامام الحسن عليه السلام، والثالث في الأئمة

من ذرية الحسين صلوات عليهم ومن خلالهم سوف نجد فارق التكليف واختلاف حيثيات الاحداث التي توجب النهضة والقيام او المسالة والمصالحة او المهادنة والانتظار والصبر.

في الفصل الأول :عرض المؤلف (دام عزه) اولويات الامام بعد خروج السلطة وانحرافها عن احكام الدين وهي الحفاظ على كيان الاسلام العام والحفاظ على حياته وحياة الثلة الصالحة من شيعيته فهذه المهمة التاسيسة لابدّ منها في وقت الدين احوج ما يكون فيه الى (الاسلام الحق) الذي يحمله هؤلاء من دون تشويه وتحريف؛ لتثبيت دعائم الدعوة المحمدية على وجه الارض وهذا يختلف عن وقت الامام الحسين عليه السلام حيث كان هناك كيان اسلامي اثبت وانتشار اوسع .

لذا فان القيام او النهضة يعرض حياة الامام عليه السلام واصحابه للخطر وضياع الدين والمذهب معاً. على الرغم من ذلك كان لأمير المؤمنين عليه السلام الكثير من المحاولات في تعديل مسار السلطة لكنه افتقد الناصر ولم تغب عنه صلوات الله عليه تفاصيل الاحداث وخصوصيات عصره وكانت على ذلك خارطة حركته الاصلاحية .

وفي الفصل الثاني طاف بنا السيد الحكيم (دام عزه) في مواقف الامام الحسن المجتبى واحداث عصره وبيان مظلوميته صلوات الله عليه. فعرض لصلح الامام الحسن عليه السلام مع معاوية واسبابه وتناسبه مع الاحداث التي زامنها، وكيف كان خروج الامام عليه السلام من الصراع بصلح خير من الهزيمة العسكرية الذي سوف يحصد شيعيته المخلصين وشيعية ابيه عليهما السلام، ومهما يكن من امر فقد استدل المؤلف (دام عزه) باحاديث اهل البيت والاحداث التاريخية واقوال الامام الحسن عليه السلام حول صواب وصحة راي الامام صلوات الله عليه في الهدنة والصلح مع معاوية ومن هنا يفرّق (اعزه الله) بين موقف الامام الحسن عليه السلام «في دفاعه العسكري عن خلافته التي ثبتت له ببيعة اهل الكوفة كما هي بنظر



جمهور المسلمين . وموقف الامام الحسين عليه السلام فهو الامتناع عن البيعة والانكار للباطل من دون أن يسعى للحرب وانما فرضت عليه فرضا، والامام الحسن عليه السلام كان يقود حربا خاسره بنظر الناس لا يبررها إلا الإصرار الانفعالي والعناد، وليس كالامام الحسين عليه السلام في موقف حرب ظالمة تريد أن تفرض عليه بيعة يأباها، ولا مبرر لإلزامه بها»(١٦) .

وفي الفصل الثالث : دار الحديث في موقف الأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام من السلطة وهو امتداد لموقف الامام عليه السلام ، وقد فتح باب استنكار السلطة وتعريتها عن اية شرعية اصطنعتها لنفسها وزيفتها للتسلط على رقاب الناس، فكان من مهماتهم عليهم السلام الحفاظ على شيعتهم وتقوية كيانهم، وقد أثمر ذلك بعدم التفريط بطاقات شيعتهم فضلاً عن التركيز على فاجعة الطف وظلامة أهل البيت عليهم السلام ، وتقوية صلات الشيعة بالإمام الحسين عليه السلام بمختلف الوجوه وتأكيد صلتهم بشيعتهم وحثهم على إحياء دينهم والتفقه فيه، وبث تعاليمهم السامية وثقافتهم في العقائد والفقه والأخلاق والأدعية والزيارات الى غير ذلك حتى قامت الحوزات الشيعية العلمية، فهذه معالم وآثار موقفهم عليهم السلام ، وهو ـ ولاشك ـ قد أثمر عن هذا التواصل والترابط بين منهجهم ومنهج الإمام عليه السلام في غاياته ومقاصده على الرغم من اختلاف الأساليب والأزمان .

فإذا انتهينا من مقاصد الكتاب وفصوله يخلص بنا السيد الحكيم (دام عزه) الى خاتمة الكتاب الذي أراد أن يوظف معالمها في فصلين: كان الأول منهما في أثر فاجعة الطف في تعديل مسار الفكر الديني والإنساني عامة، وإيضاح الضوابط التي ينبغي أن ينهجها طالب الحقيقة .

فقد أكد هذا الفصل على أن وضوح معالم الإسلام بعد استبعاد أثر السلطة المنحرفة عليه أدى بالضرورة الى الحيلولة دون تحكمها في الدين وقيام الحجة على (الدين الحق) المبتنية على امامة أهل البيت عليهم السلام وثقافتهم الرفيعة

المنكرة للظلم والطغيان وتشويه الحقائق وتحريف مفاهيم الدين فساهم ذلك بأن دافعت ثقافة (الإسلام الحق) عن الاديان السابقة ونبهت لتحريفها وذهبت بتنزيه رموز تلك الأديان عن الانحراف فيها بوصفه الاسلام ديناً خاتماً للأديان، ولو فتح المجال والباب لانحرافه لضاعت معالم الحق ومعالم الرسالات الإلهية على البشرية، فكان الفداء والتضحية في صد الإنحراف؛ إنما هو إقامة للرسالة الإلهية في تثبيت الحقيقة الدينية الداعية الى الله تعالى وفقاً للفطرة الإنسانية السليمة على اختلاف الرسالات والديانات السماوية، أما الفصل الثاني من الخاتمة فقد جاء في غاية مهمة جداً وهي (إحياء فاجعة الطف) وبهذا الختام للكتاب يعود السيد الحكيم (دام عزه) الى مطابقة بدء الكتاب مع خاتمته؛ لأنه افتتح الكتاب بالبعد الدامي لعاشوراء وجانبها المفجع، وهنا يعود ليتواصل مع ما بدأ به في الحديث عن ضرورة إحياء فاجعة الطف مع تاكيد أهل البيت عليهم السلام عليها واختلاف الناس في مظاهر التعبير عنها تبعاً لعواطفهم وشعورهم بإزاء الاحداث؛ لذا كانت لكل بيئة وبلد طريقته الخاصة في الاحتفاء بعاشوراء تتناسب مع مداركها واحاسيسها وخصوصياتها وترك الحرية لكل فئة في ان تختار لنفسها الطريقه التي تناسبها في التعبير عن شعورها وعواطفها ما لم يتجاوز الحد المشروع .

ويؤكد المؤلف أهمية مشاركة عامة الناس في الحفاظ على الشعائر فبهم تحفظ هذه الشعائر حيث لا يسهل بسبب كثرتهم القضاء عليها من اعداء الدعوة، ولا يستطيعون تجميد وايقاف مدهم وعليه فلا بدّ للخاصة من افراد المجتمع دعمها وتهيأة الظروف المناسبة لها ولا مانع فيما يرى السيد الحكيم (دام عزه) من الممارسات الصارخة لشعائر الإحياء؛ لأنها تلفت الأنظار وتعرف بالفاجعة، وهي الاحرى بإظهار عواطف الجمهور وتجذرها في اعماقهم واستنكارهم للظلم الذي تعرض له الإمام عليه السلام كما تعرض له شيعتهم تبعاً لهم على امتداد التأريخ وهي كذلك مدار السؤال والاستفسار من الآخرين؛ لأنها تنبّه على الحدث وتظهر الفاجعة.

أمّا قضية تطوير طريق إحياء المناسبة يرى السيد الحكيم (دام عزه) إن إيجاد وسائل تناسب التطوير المذكور يجب أن يكون مصاحباً لهذه الشعائر بواقعها المعهود المأمون لا بدلاً عنها ويشير السيد الحكيم (دام ظله) الى أنه قد تختلف وجهات النظر حول بعض الممارسات لاختلاف الحكم الشرعي اجتهاداً او تقليداً، أو قد يدور الاختلاف في حصول ما يؤكد رجحانها ويقتضي التثبت بها أو يوجب مرجوحيتها ويقتضي الاعراض عنها من العناوين الثانوية، فالحل المفترض واللائق واللازم على كل طرف من اطراف الخلاف الاقتصار على بيان وجهة نظره، أو محاولة الاقناع به بالتي هي احسن، ولا ينبغي تجاوز ذلك الى الارغام على تقبل وجهة نظره أو الصراع الحاد أو التهريج والتشنيع والتوهين، والهدف من كل هذا هو ان تكون هذه المراسم في المناسبات والإحياء موجبة للتوحد ونبذ الصراعات والاختلافات غير الموضوعية فإحياء الفاجعة ليست مسرحاً للنزاعات؛ و إنما هي مقام لطلب الأجر العظيم وثبوت في الناس منهج الإمام عليه السلام الذي قدم نفسه وأهل بيته فداءً للدين الحق والذي تستوجب منا الالتزام به في وحدة الكلمة والمشاركة الفاعلة في سبيل ذلك(١٧) .

هذه إطلالة سريعة على ما خطته أنامل مخلصه لقضية الإمام الحسين عليه السلام جمعت بين ابعاد الفاجعة التأريخية والفكرية فضلاً عن العاطفية والشعائرية، تتبع فيها ذلك التلازم والتفاعل الحقيقي فيما بينهما الى الحد الذي تستحيل أثراً يصح؛ بل يجب توظيفه واستثماره في واقعنا المعاصر فلنهضة الإمام عليه السلام إنما هي متجددة فاعلة في الحياة لا يحدها زمان ولا يقيدها مكان وكل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء. والسلام.

التوصيات

- يتوجب على القائمين على المؤسسات التعليمية في العراق سواء في وزارة التربية أو التعليم العالي الاستفادة الحقيقية من نوادر المؤلفات في نهضة الإمام الحسين عليه السلام ومنها هذا الكتاب، وتضمين بعض اطروحته في المناهج الدراسية.
- دعم المؤسسات والمراكز البحثية المتخصصة بالإمام الحسين عليه السلام من خلال طباعة نتاجها الحسيني فضلاً عن تقديم المشورة البحثية لها من خلال الجامعات والمؤسسات العلمية الأخر.
- إقامة الندوات والملتقيات والمؤتمرات؛ لدراسة واقع التأليف أو النتاج الحسيني على اختلاف ألوانه وتعدد أنواعه .
- تقديم الفكر الحسيني في مختلف الأساليب هدفاً في ترسيخ العقائد والمبادئ الحسينية.
- الدعوة إلى التأليف والبحث في نهضة الإمام عليه السلام بصورة عصرية، والاستفادة من الجوانب الروحية من جهة والعلمية من جهة أخرى من خلال الاعلان عن المسابقات والجوائز التأليفية في هذا المجال.

* هوامش البحث *

(١) من جواهر ما كتب عن قضية الإمام الحسين (علية السلام) كتاب (الظاهرة الحسينية) للعلامة السيد محمد على الحلو.

(٢) ظ/ موقع العتبة الحسينية.

(٣) ظ:موقع مكتب السيد الحكيم .

(٤) ظ: فاجعة الطف:٧.

(٥) ظ:فاجعة الطف:١٣٨-١٣٩ .

(٦) فاجعة الطف:١٣٩-١٤٠ .

(٧) فاجعة الطف:١٤٠ .

(٨) بصائر الدرجات:٥٠٢

(٩) ظ: فاجعة الطف: ١٥٤ .

(١٠) ظ: فاجعة الطف:٣٥٤.

(١١) ظ: فاجعة الطف: ٣٦٠.

(١٢) ظ: فاجعة الطف:٣٦٢_٣٦٣ .

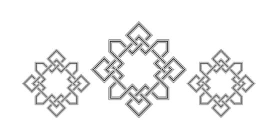
(١٣) ظ:فاجعة الطف:٣٦٣_٤٠٦ .

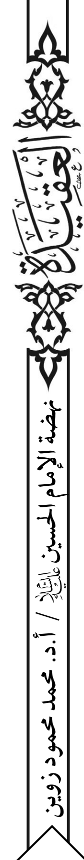
(١٤) ظ:فاجعة الطف:٤٠٧_٤٣٣ .

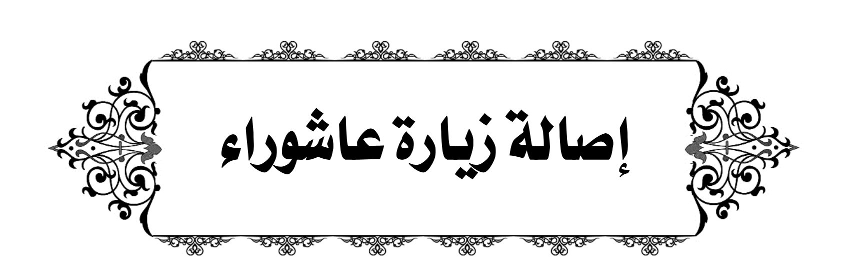
(١٥- ظ:فاجعة الطف:٤٣٥_٤٥٦ .

(١٦) ظ: فاجعة الطف:٤٨٠- ٤٨١ .

(١٧) ظ:فاجعة الطف:٥٣٥- ٥٥٩ .







د. حسن الأنصاري

ترجمة: هاشم مرتضى

توجد بحوث كثيرة بين علماء الشيعة بشأن سند زيارة عاشوراء ومتنها وإصالتهما.

ومضافاً الى المقام المعنوي لهذه الزيارة، وتجارب المؤمنين الشخصية معها الواردة في الكتب والمتداولة في التراث الشيعي، فإنّ لها من وجهة نظر تاريخية أهمية كبرى.

إنّني في هذا البحث لا أتطرّق الى مباحث السند حيث توجد دراسات متنوعة لحد الآن، ومن أفضلها ما ذكره الفقيه الرجالي آية الله السيد موسى الشبيري الزنجاني في صحة سند هذه الزيارة.

إنّ هذه الزيارة رويت في التراث الشيعي عن الامام الباقر عليه السلام، وإنّي أحاول - في بحثي هذا - أن أُثبت إمكان صحة انتساب متن هذه الزيارة من وجهة نظر النقد الداخلي والتاريخي الى زمن نهاية الحكم الاموي، وهذا ما أُوجزه فيما يلي:

لا يوجد في متن هذه الرسالة أيّ شيء لا يتلاءم مع ظرف صدورها. إنّ ما ورد فيها بشأن الائمة والعترة ينطبق تماماً مع العقائد الموجودة آنذاك في فترة نهاية العصر الاموي، ولا يوجد فيها ما ظهر وتكامل في الأعصار التالية. فنوع الامور

المذكورة في هذا المتن تنطبق تماماً مع حال الشيعة في تلك الفترة، ويتلاءم مع عواطفهم وأحاسيسهم فيما يتعلّق بمصائب أهل البيت عليهم السلام وأعدائهم من الامويين، فهي تلخّص لنا المشهد العام الذي نعهده لتلك الفترة، من خلال المصادر التاريخية المعتمدة.

انّ مشهد (الولاء) و(البراء) الذي نراه في متن الزيارة، يتلاءم أيضاً مع الفضاء العام السائد في النصف الأوّل من القرن الثاني، وهذا لا يخفى على من عرف تاريخ الفرق والملل في تلك الحقبة.

ورد التأكيد في جميع الزيارة على البراءة من الامويين، الأمر الذي انتشر تماماً وبوضوح عند الشيعة في تلك الحقبة، وفي الواقع فإنّ التشيع كان يشكّل جمهوراً كبيراً من مخالفي الحكم الاموي وبنفس الوقت الالتزام وإظهار الوفاء لآل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

ومع قطع النظر عن بعض الاتجاهات الشيعية الخاصة آنذاك، فإنّ عموم الشيعة تمحوروا حول محور رفض خلافة الامويين والاجماع على ذلك، لذا نرى التأكيد على البراءة من الامويين في متن الزيارة، الأمر الذي يدلّ على أصالة هذه الزيارة، إذ انّ المتون المروية بعد هذه الفترة؛ لتأثرها بفضاء صدورها وبذهنية الناس، تفتقد هكذا تأكيد للبراءة من الامويين الذين انقضى عهدهم؛ بل تورد فيها عبائر عامة بإمكانها الانطباق على فترة الحكم العباسي أيضاً.

ذكرت الزيارة أسماء عدد من أعداء أهل البيت عليهم السلام الأمر الذي يعني حيويّة هذه الأسماء في خلد المخاطبين عند صدور الزيارة، فالتأكيد على آل زياد أو شمر وعمر بن سعد فيما صدر في أُخريات عهد بني امية؛ طبيعي للغاية ويرمز الى شعور عموم الشيعة أمام الظلم والاضطهاد الحاصل من قبل الامويين وعمالهم فرداً فرداً تجاه آل البيت عليهم السلام، فلو لم تتعلق هذه الزيارة بتلك الحقبة؛ بل حاكتها الأيادي فيما بعد، لكانت تتأثّر بشكل طبيعي بتأثيرات ظرف صدورها الزمني، ولما

ورد فيها هذا التركيز على آل امية ومواليهم. فما ورد من لعن آل امية وسائر مواليهم أبد الآبدين خير دليل على تواجد هذه الاسر في الحكم وتحت ظل بني امية عند صدور متن الزيارة، حيث كان أشياعهم وأتباعهم وأولياؤهم مستمرين في الظلم والجور على آل البيت عليهم السلام .

فالفضاء العام الحاكم على الزيارة ليس فضاء زيارة صدرت بعد زمن بني أُمية حيث لا توجد أيّ خلفية منطقية لإبراز الاحساس السلبي تجاههم .

هذه الزيارة تتكلّم عن السلم والحرب مع أهل البيت وأعدائهم، كما تعّين مصاديق الاعداء باللعن على آل زياد وآل مروان وبني أُمية وأشياعهم وأتباعهم، فذكر آل مروان وبني أُمية يدلّ بوضوح على صدور هذا الكلام حين تسنّم هذه الأُسر للحكم، كما تهدف الزيارة الى ابراز أنّ قتلة الحسين بن علي وأصحابه ولم يكونوا حين صدورها، وإن كانوا موجودين بوجود أُسَرهم وآلهم وأنّهم حتى لو تنّصلوا عمّا حدث في زمن يزيد، لكنّهم يسيرون على نفس الخطى، وعليه يلزم البراءة أيضاً منهم .

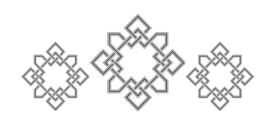
هذا الأمر يكشف بوضوح المناخ السياسي الحاكم قبيل انقلاب العباسيين على الحكم الاموي، كذلك يعكس حال الشيعة في الكوفة أوائل القرن الثاني، ففي مقطع من هذه الزيارة تتّم الاشارة الى ظلم هؤلاء لمحبي آل البيت عليهم السلام الأمر الذي يعكس العداء الاموي ضد العلويين والشيعة في أواخر عهدهم، وفي الواقع فإنّ لهذه الزيارة مع ما تمتلكه من مقاطع إعلامية ثورية عاطفية الأثر الكبير في تهييج العواطف ضد الامويين، وعليه فهذه الزيارة تمتلك بعداً ثورياً يمكن تفسيرها طبقاً للفضاء الحاكم آنذاك من تقابل علوي شيعي ضد الامويين .

الأمر الآخر الموجود في الزيارة، مسألة الانتظار لقيام شخص من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله طلباً للثأر وقتل الأعداء الذين منعوا آل البيت من الوصول الى مراتبهم،

وهذا الأمر ورد في قوله: (أن يرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمد ...)، فالتعبير عن ((منصور)) واستعماله في الزيارة يُعد من الاسماء التي راج استعمالها عند الشيعة أيّام كفاحهم في أواخر الحكم الاموي، حيث ورد ذلك في مصادر مستقلّة. وأنا أعتقد شخصياً بأنّ هذه الزيارة كانت بمثابة بيان رسمي آنذاك للنهضة الشيعية ضد الامويين .

المورد الآخر الدال على مسألة الانتقام بحضور الامام قوله: (وأن يرزقني طلب ثاري مع إمام هدى ظاهر ناطق بالحق منكم)، فما ورد في الزيارة من مواصفات الإمام كان هو الذي يلتمسه الشيعة في الإمام الحق آنذاك .

والخلاصة أنني أعتقد - مع قطع النظر عن البحث السندي - امكان اثبات أصالة هذه الزيارة وانتسابها الى فترة أواخر الحكم الاموي بالاعتماد على منهج النقد التاريخي والداخلي للمتن أو السيميائية التاريخية، وهذه الطريقة وإن لم تثبت لنا الانتساب السندي الى الامام الباقر عليه السلام، حيث هو بحاجة الى بحث سندي داخلي كما صنعه علماء الشيعة، ولكن مع هذا تبقى هذه الزيارة ـ من وجهة نظر تاريخية ـ من المتون الدعوية السرّيّة التي كانت متداولة آنذاك بين الشيعة وتناقلت وقرئت كمتن شيعي، ثم دوّنت في المدونات الشيعية فيما بعد وحفظت هناك، ومن الواضح أنّ هذه المتون المتأخّرة قد استندت إلى متون متقدمة عتيقة تداولتها الشيعة لأكثر من مائتي سنة، الى أن انتهت بالتدوين والكتابة ضمن المصنفات الروائية.





ردود حول الحسين وكربلاء

الشيخ عبد القادر ترنني

عندما ننطق باسم الحسين يجب أن تكون قلوبنا مفعمة بالإيمان وبالطهارة؛ إذ الحسين بضعة جده رسول الله «**حسين مني وأنا من حسين**» لقد قرأ هؤلاء الأحاديث وما عرفوا لها مبنى ولا معنى، ولعل من أبسط معاني هذا الحديث أن الذي يقبل ما وقع على الحسين يقبله على جده رسول الله، وعليه فإن من يدعي بأن قتلة الحسين قد ارتكبوا هذه الجريمة العظيمة بشريعة محمد رسول الله ﷺ فقد أعظم على الله تبارك وتعالى الفرية ولوى عنق النصوص، تمامًا كما فعل اليهود وأتباعهم، في هذا الصدد.

علينا أن نتنبه بأن الدفاع عن الحسين لا يقل شأنًا بحالٍ من الأحوال عن الدفاع عن رسول الله ﷺ، فإن الذين قتلوا الحسين إنما أرادوا الانتقام من رسول الله ﷺ ولم يستحوا من ذلك.

وأما الأحاديث التي يستشهد بها أتباع عبيد الله وأبناء يزيد ومعاوية فهي أحاديث صرفت إلى غير معناها الحقيقي، إذ إن النبي أخبر عن معاوية، أنّه هو الذي سينازع عليًّا عليه السلام الخلافة، ولقد أمر في أحاديث كثيرة بقتله متى رقى المنبر الشريف، وأخبر أنه في النار.

وهكذا استدل النواصب أتباع الظلمة في كل عصر وزمان بأحاديث حرفوا

معانيها ولم يجرؤ العلماء الربانيون أن ينتقدوا كذبهم وفجورهم وتحريفهم؛ لأن الظلمة كانوا يقفون في وجه كل حركة إصلاحية؛ بل يجابهونها بالحديد والنار.

أيها الإخوة لنكن عقلانيين ولنرد على هؤلاء المحرفين بعقلانية؛ لأنهم يعملون ضمن دائرة الانحراف المبرمج بحيث يدسون السم في الدسم، ولا تغرنكم هيئة إنسان أو عظم لحيته وجثته، فإن الله تعالى لاينظر إلى أجسادنا وصورنا؛ وإنما ينظر إلى قلوبنا، فإذا كانت قلوبنا تحمل الغل والحقد على رسول الله صلى الله عليه وآله وفلذة أكباده باسم الإسلام، فعن أي إسلام نتكلم، وإلى أي إيمان نريد أن ندعو الناس؟

ألدين بني أمية الذين رآهم النبي قبل موته في رؤياه، وهم ينزون على منبره كما تنزو القردة؟ أندعو لدين معاوية إمام الفئة الباغية الداعية إلى النار على لسان سيد الخلق؟ أندعو لدين معاوية الذي سن سباب علي على المنابر فحقّقت بذلك لعنة الله ومقته على لسان أم المؤمنين أم سلمة؟

يا مسلمون هل حدثكم علماؤكم بأن معاوية هو من خطط لقتل عمر بن الخطاب؟

وهل أخبركم علماؤكم بأن معاوية هو من قتل محمد بن أبي بكر الصديق؟

وهو من قتل راهب الصحابة حجر بن عدي؟!

وهو من أوصى ولده بقتل الحسين!! وهو أول ثلم في الإسلام ثلم وخرقًا لايلتئم إلى قيام الساعة؟!

هل أخبركم علماؤكم بأن من نسل أبي سفيان سيخرج السفياني الذي أظلنا زمانه والذي سيحارب الإمام المهدي عليه السلام ابن رسول الله؛ ليعيد إلى ذاكرتكم واقعة كربلاء ؟!

الحديث خطير وعلى كل مسلم أن يعرف لماذا بكى رسول الله ساعة جاءه

الملاك وأخبره بأن أمته قاتلة ابنه الحسين. لئن كان القاتل للحسين من الأمة التي دعيت للإسلام فلبت فلا مؤمن على وجه الأرض، ولئن كان قتلة الحسين من الذين دعوا للإسلام فلم يلبوا فكيف يكونون مسلمين؟ وكيف يكون المدافع عنهم مسلمًا؟ إن هذا للعجب العجاب؟ والله لو نوى أو أضمر إنسان الشر لملك من ملوكهم الذين يعبدونهم من دون الله ويعظمونهم من دون رسول الله لحكموا عليه بالقتل من قبل أن يتأكدوا من حقيقة مراده، أما الحسين فإنهم لا يهتمون لأمره لأنه ابن سيد المساكين.

ثم لماذا كان الحسنان سيدي شباب أهل الجنة؟ وسيد الشهداء هو رجل يقول كلمة حق عند سلطان جائر، والحسنان قد لقيا القتل من أشد الحاكمين الظالمين الجائرين؛ لأنهما كانا مثال السائرين على منهج الله والمنافحين عن خط رسول الله ﷺ والمدافعين عن العقيدة الصافية، فأعجب لمن يترحم على الظالم مدعيًا الإسلام والله تعالى قد لعن الظالمين وأشياعهم ووعدهم بالعذاب المقيم، وإذا كان الله تعالى هو الحكم فنعم الحكم الله ولا مغير ولا مبدل لحكمه.

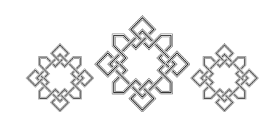


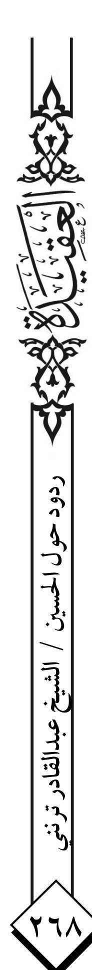
حقًا لقد حكم النبي ﷺ على كل من قتل الحسين أو شارك في قتله أو ساعد على قتله بقلمه أو بسيفه بأنه في النار ولولا ذلك لما كان الحسين سيد شباب أهل الجنة في الجنة. وهؤلاء النواصب هم الذين يفسرون الوقائع والنصوص على غير معناها، فليتكلموا بلسان الناصبة لا بلسان السنة؛ لأن السنة برآء من مذهبهم، وليرجع من أراد الاستزادة بما جاء عن الإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أبي حنيفة وكل العلماء الربانيين الذين حاربتهم السلطات الحاكمة، فاللّٰهُمَّ إنا نبرأ إليك من عقيدة الناصبة ومن مذهبهم ومن كفرهم واعتدائهم بأقلامهم وسيوفهم على عترة رسول الله ﷺ، اللّٰهُمَّ فاشهد أني قد بلغت وأني بريء من كل من عرف الحق فلم يبلغه.

سبق وعلقنا بما فيه الكفاية على هذا الكلام الذي لا يمت إلى الإسلام

بصلة، وإن كل من يذكر هذا الكلام معتقدًا به، ليس من محمد رسول الله ﷺ لا من قريب ولا من بعيد، وإن هذا الأسلوب الساقط في الحديث عن لحم ودم رسول الله لهو من أساليب النواصب الذين يدعون الانتماء إلى السنة؛ ليشوّهوا صورتهم وليحدثوا النزاعات والصراعات بين المسلمين سنة وشيعة تحت ستار الدين والإسلام.

ولقد عرف المسلمون جميعهم طبيعة انحراف هذه الطائفة المتجلببة بالدين، الداعية إلى القتل وسفك الدماء ونصرة الظالمين. فالله حسبنا ونعم الوكيل.







حديث الغدير
بين أدلة المثبتين وأوهام المبطلين

(الحلقة الثالثة)

السيد هاشم الميلاني

ذكرنا في الحلقة الأُولى من هذا البحث رواة حديث الغدير، كما تطرّقنا في الحلقة الثانية إلى سند الحديث وإثبات صحته بل تواتره، وفي هذه الحلقة نتطرّق إلى دلالة الحديث.

يتكوّن حديث الغدير من صدر ومتن وذيل، وكلّ هذه الفقرات تدلّ على الإمامة والولاية، وإليك بيانه :

لمّا انصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع متوجّهاً إلى المدينة، نزل عليه الأمر الإلهي بتبليغ إمامة علي عليه السلام مقترناً بالعصمة من الناس، فنزل ﷺ بغدير خم ـ منصرف الناس إلى بلادهم ـ وخطب الناس خطبة عظيمة ـ على حدّ تعبير ابن كثير[1] ـ ووصفها زيد بن أرقم بقوله: «فو الله ما من شيء يكون إلى أن تقوم الساعة إلاّ وقد أخبرنا به يومئذ»[2].

ومما قال ﷺ في خطبة الغدير قوله: ألست أولى بكم من أنفسكم، وفي لفظ آخر: أيّها الناس من أولى بكم من أنفسكم . فلمّا أقرّوا بكونه ﷺ أولى بهم من أنفسهم قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ثم عقّبه بقوله: «اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» .

هذا النص المبارك ـ باختلاف ألفاظه [٣]ـ من أهمّ أدلّة الشيعة في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، ففي معاني الأخبار للصدوق (ت٣٨١) بسنده عن أبي إسحاق قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال: أخبرهم أنّه الإمام بعده[٤].

وفي رواية أُخرى عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال: يا أبا سعيد تسأل عن مثل هذا، أعلمهم أنّه يقوم فيهم مقامه[٥].

ونحن لا نحتاج بعد ما ورد التفسير عن أهل البيت عليهم السلام إلى القيل والقال والتأويلات المختلفة، إذ هم عدل القرآن ومَن أُمرنا بالتمسّك بهم، ولكن لتوضيح الأمر وردّ الشبهات المثارة لابد من الخوض في تبيين الأمر بحسب سياق الحديث وألفاظه وظهوره العرفي، وإليك بيانه:

١ ـ «ألست أولى بكم من أنفسكم»:

قوله صلى الله عليه وآله هذا مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [٦] والأولى هنا في الآية بمعنى الأولى بالتصرّف . قال النحّاس: «وحقيقة معنى الآية ـ والله جلّ وعزّ أعلم ـ أنّ النبي صلى الله عليه وآله إذا أمر بشيء أو نهى عنه، ثم خالفته النفس كان أمر النبي صلى الله عليه وآله ونهيه أولى بالاتباع من الناس» [٧].

وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: النبي محمد صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين، يقول: أحق بالمؤمنين به من أنفسهم أن يحكم بما يشاء من حكم فيجوز ذلك عليهم، كما حدّثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال :قال ابن زيد: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ ـ كما أنت أولى بعبدك ـ ما قضى فيهم من أمر جاز ...»[٨].

وقال البغوي: «﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه فيهم، ووجوب طاعته عليهم ...» (٩).

وقال النسفي: «أي أحقّ بهم في كلّ شيء من أُمور الدين والدنيا وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، فعليهم أن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه» (١٠).

وقال الزمخشري: «﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ في كلّ شيء من أُمور الدين والدنيا «من أنفسهم» ولهذا أطلق ولم يقيّد، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقّه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه ...» (١١).

وقال العيني في شرح قوله ﷺ: «ما من مؤمن إلاّ وأنا أولى به في الدنيا والآخرة» يعني أحق وأولى بالمؤمنين في كل شيء من أُمور الدنيا والآخرة من أنفسهم، ولهذا أطلق ولم يعيّن، فيجب عليهم امتثال أوامره والاجتناب عن نواهيه . قوله: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾» في معرض الاحتجاج لما قاله تنبيهاً لهم على أنّ هذا الذي قاله وحي غير متلو طابقه وحي متلو . وتكلّم المفسّرون في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وروي عن ابن عباس وعطاء: يعني إذا دعاهم النبي إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء، كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من طاعة أنفسهم، وعن مقاتل: يعني طاعة النبي ﷺ أولى من طاعة بعضكم لبعض، وقيل: إنّه أولى بهم في إمضاء الأحكام وإقامة الحدود عليهم لما فيه من مصلحة الخلق والبعد عن الفساد، وقيل: لأنّ النبي ﷺ يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم وأنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم ...» (١٢).

هذه أقوال المفسّرين وشرّاح الحديث من أهل السنة تنصّ على أنّ المراد بالأولويّة في الآية الكريمة هي الأولويّة بالتصرّف في أُمور الناس وهو معنى الحاكميّة، هذا هو المعنى الظاهر والواضح والمتعارف عليه في بادئ النظر .

وهو المراد من قوله ﷺ في حديث الغدير: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

قال السيد المرتضى: «فأمّا الدليل على أنّ لفظة أولى تفيد معنى الإمامة، فهو أنّا نجد أهل اللغة لا يضعون هذا اللفظ إلاّ فيمن كان يملك تدبير ما وصف بأنّه أولى به وتصريفه وينفذ فيه أمره ونهيه، ألا تراهم يقولون: السلطان أولى بإقامة الحدود من الرعيّة، وولد الميّت أولى بميراثه من كثير من أقاربه، والزوج أولى بامرأته، والمولى أولى بعبده، ومرادهم في جميع ذلك ما ذكرناه، ولا خلاف بين المفسّرين في أنّ قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ المراد به أنّه أولى بتدبيرهم والقيام بأُمورهم من حيث وجبت طاعته عليهم، ونحن نعلم أنّه لا يكون أولى بتدبير الخلق وأمرهم ونهيهم من كل أحد منهم إلاّ من كان إماماً لهم، مفترض الطاعة عليهم» (١٣).

إذا عرفت هذا فلا وجه لما ذكره عبد العزيز الدهلوي (ت١٢٣٩) من حمل الأولوية في الآية والحديث على الأولويّة بالمحبة ،(١٤) بل هو محض ادّعاء لا يبتني على أُصول علميّة.

وهناك محاولة أُخرى تمسّك بها بعض أهل السنة لمّا ضاق بهم الخناق، فذهبوا إلى نفي صدر الحديث، وأنّه لم يرو متواتراً بل هو من الآحاد، والبعض الآخر تجرّأ وجعله موضوعاً لم يكن من أصل الحديث.

قال القاضي عبد الجبار (ت٤١٥): «إنّ كثيراً من شيوخنا ينكر أن تكون هذه المقدمة ثابتة بالتواتر ويقول إنّها من باب الآحاد، والثابت هو قوله عليه السلام: من كنت مولاه ...، وهو الذي كرّره أمير المؤمنين في مجالس عدّة عند ذكر مناقبه»(١٥).

قال الفخر الرازي (ت٦٠٦): «ثم إن سلّمنا صحة أصل الحديث، ولكن



لا نسلّم صحة تلك المقدمة، وهي قوله: «ألست أولى بكم من أنفسكم» بيانه: إنّ الطرق التي ذكرتموها في تصحيح أصل الحديث لم يوجد شيء منها في هذه المقدّمة، فإنّ أكثر من روى أصل الحديث لم يرو تلك المقدّمة، فلا يمكن دعوى التواتر فيها، ولا يمكن أيضاً دعوى إطباق الأُمّة على قبولها، لأنّ من خالف الشيعة إنّما يروي أصل الحديث للاحتجاج به على فضيلة علي عليه السلام ولا يروي هذه المقدمة، وأيضاً فلم يقل أحد أنّ علياً ذكرها يوم الشورى، فثبت أنّه لم يحصل في هذه المقدمة شيء من الطرق التي يثبتون أصل الحديث بها، فلا يمكن إثبات هذه المقدمة» (١٦).

ونقول في الجواب :

أولاً: لم يكن دأب المحدّثين والرواة الأوائل على رواية جميع الخبر بحذافيره، بل كانوا يأخذون ويدعون من الحديث حسب الحاجة والمناسبة، مضافاً إلى الفجوة الزمنية الكبيرة بين صدور الحديث عن الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وبين تدوين الحديث، ممّا أدّى إلى غياب كثير من القرائن الحالية والمقالية، زائداً النسيان والسهو الملازم للطبيعة البشرية .

فهذا زيد بن أرقم وهو مِنْ أكثر مَنْ روى حديث الغدير بألفاظ مختلفة، يقول ليزيد بن حيان وحصين بن سبرة لما سألاه أن يحدّثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وآله ... ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر(١٧) . ثم ذكر حديث الثقلين .

فزيد بن أرقم يذكر واقعة الغدير، ولم يذكر حديث الغدير ولم يشر إلى مواعظ النبي صلى الله عليه وآله وتذكيره، مع أنّها ثابتة صحيحة وعدم ذكرها لا يخدش في صحتها وتواترها .

ثانياً: قال السيد المرتضى (ت٤٣٦): «ليس ينكر أن يكون بعض من روى خبر الغدير لم يذكر المقدّمة، إلاّ أنّ من أغفلها ليس بأكثر ممّن ذكرها ولا يقاربه، وإنّما حصل الاخلال بها من أحاد الرواة، ونقلة الشيعة كلّهم ينقلون الخبر بمقدّمته، وأكثر من شاركهم من رواة أصحاب الحديث أيضاً ينقلون المقدّمة، ومن تأمّل نقل الخبر وتصفّحه علم صحّة ما ذكرناه، وإذا صحّ فلا نكير في إغفال من أغفل المقدّمة، لأنّ الحجّة تقوم بنقل من نقلها بل ببعضهم» [18].

قال الكراجكي (ت٤٤٩): «أما المتواترون بالخبر فلم يوردوه إلاّ على كماله، ولا سطروه في كتبهم إلاّ بالتقرير الذي في أوّله . وكذلك رواه معظم أصحاب الحديث الذاكرين الأسانيد، وإن كان منهم آحاد قد أغفلوا ذكر المقدّمة، فيحتمل أن يكون ذلك تعويلاً منهم على العلم بالخبر فذكروا بعضه لأنّه عندهم مشتهر، فإنّ الأصحاب كثيراً ما يقولون: فلان يروي عن رسول الله ﷺ خبر كذا ويذكرون بعض لفظ الخبر اختصاراً، وفي الجملة فإنّ الآحاد المتفردون بنقل بعضه لا يعارض بهم المتواترين الناقلين لجميعه على كماله» [19].

ثالثاً: روى هذه المقدمة كثير من الحفّاظ في كتبهم، ففي مسند أحمد عن البراء بن عازب بلفظ: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» [20]. وفيه عن زيد بن أرقم بنفس اللفظ ،[21] وفيه عن أبي الطفيل بلفظ: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» [22].

وفي المستدرك للحاكم عن سعد بن مالك بلفظ: «هل تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين» [23]. وفي مسند أحمد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى بلفظ: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»[24]. وفي مجمع الزوائد عن زيد بن بثيغ بلفظ: «أليس أنا أولى بالمؤمنين»[25]. وفي هذا كفاية لمن اهتدى .

أما عدم ذكر هذه المقدمة يوم الشورى فقد أجاب السيد المرتضى قائلاً :

«فأما إنشاد أمير المؤمنين عليه السلام أهل الشورى، وخلوّه من ذكر المقدّمة، فلا يدلّ على نفيها أو الشك في صحّتها؛ لأنّه عليه السلام قرّرهم من الخبر بما يقتضي الإقرار بجميعه على سبيل الاختصار، ولا حاجة به إلى أن يذكر القصّة من أوّلها إلى آخرها، وجميع ما جرى فيها، لظهورها ولأنّ الاعتراف بما اعترف به منها هو اعتراف بالكل، وهذه عادة الناس فيما يقرّرونه، ألا ترى أنّ أمير المؤمنين لما أن قرّرهم في ذلك المقام بخبر الطائر في جملة الفضائل والمناقب اقتصر على أن قال: «أفيكم رجل قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهُمَّ ابعث إليّ بأحبّ خلقك يأكل معي، غيري» ولم يذكر إهداء الطائر وما تأخّر عن هذا القول من كلام الرسول، وكذلك لما أن قرّرهم صلوات الله عليه بقول الرسول صلى الله عليه وآله فيه لما ندبه لفتح خيبر ذكر بعض الكلام دون بعض، ولم يشرح القصة وجميع ما جرى فيها، وإنّما اقتصر عليه السلام على القدر المذكور اتكالاً على شهرة الأمر وأنّ في الاعتراف ببعضه اعترافاً بكلّه» (٢٦).

مضافاً إلى أنّه عليه السلام عند مناشدته الثانية أيّام خلافته في الرحبة بالكوفة، ذكر هذه المقدّمة واستشهد الناس على مجموع الحديث صدراً وذيلاً، فشهد له من حضر من الصحابة (٢٧).

وهناك محاولة من قبل الباقلاني (ت٤٠٣) تمسّك بها بعد أن لم يتمكّن من نفي المقدّمة، فقال: «إنّ ما أثبته لنفسه من كونه أولى بهم، ليس هو من معنى ما أوجبه لعلي سبيل، لأنّه قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فأوجب الموالاة لنفسه ولعلي، وأوجب لنفسه كونه أولى بهم منهم بأنفسهم، وليس معنى أولى من معنى مولى في شيء، لأنّ قوله مولى يحتمل في اللغة وجوهاً ليس فيها معنى أولى، فلا يجب إذا عُقّب كلام بكلام ليس من معناه أن يكون معناهما واحداً، ألا ترون أنّه لو قال: ألست نبيّكم والمخبر لكم بالوحي عن ربكم وناسخ شرائع من كان

قبلكم ثم قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، لم يوجب ذلك أن يكون قد أثبت لعلي من النبوة وتلقّي الوحي ونسخ الشرائع على لسانه ما أوجبه في أول الكلام لنفسه، ولا أمر باعتقاد ذلك فيه من حيث ثبت أنّه ليس معنى نبي معنى مولى، فكذلك إذا ثبت أنّه ليس معنى أولى معنى مولى، لم يجب أن يكون قد أثبت لعليّ ما أثبته لنفسه، وإنّما دخلت عليهم الشبهة من حيث ظنوا أنّ معنى مولى معنى أولى وأحق، وليس الأمر كذلك»[٢٨].

وأنت ترى أنّه بنى استدلاله صدراً وذيلاً على عدم مجي مولى بمعنى أولى، وهذا مردود بشهادة الكتاب والسنة والأدب من مجي مولى بمعنى أولى وأحق، كما سيوافيك بيانه في: «المولى» .

ثم إنّ المثال الذي استشهد به لا يستقيم من حيث قواعد التمثيل، إذ ليس معنى مولى معنى النبوة كما ذكره الباقلاني، وهذا لا ينطبق على ما نحن فيه، إذ أنّ الأولى من معاني المولى كما نصّ على ذلك أصحاب اللغة، وما نحن فيه يشبه لو قال صلى الله عليه وآله: ألست نبيكم والمخبر لكم بالوحي عن ربكم وناسخ شرائع من كان قبلكم ثم قال: فمن كنت له كذلك فعليّ رسوله ـ وهذا افتراضٌ على سبيل الجدل وإن لم يكن صحيحاً ـ لكان الكلام مستقيماً لاحتواء كلمة الرسول معاني ومهام الإنباء عن الله تعالى والإخبار عنه بالوحي ونسخ شريعة موسى وعيسى . فكذلك لما صدّر كلامه بكونه أولى بهم من أنفسهم، ثم عقّبه بقوله: «فمن كنت مولاه ...» كان معنى المولى والمراد منها هو معنى الأولوية بالتصرّف .

وقد اخترع ابن تيمية (ت٧٢٨) استدلالاً غريباً، حيث جعل أولوية النبي صلى الله عليه وآله بالمؤمنين من أنفسهم من مختصّاته صلى الله عليه وآله ولا يحق له أن يعطيها لغيره، قال: «وأما كونه أولى بهم من أنفسهم، فلا يثبت إلاّ من طرفه صلى الله عليه وآله وكونه أولى بكلّ مؤمن من نفسه من خصائص نبوّته، ولو قُدّر أنّه نصّ على خليفة من بعده، لم

يكن ذلك موجباً أن يكون أولى بكل مؤمن من نفسه، كما أنّه لا يكون أزواجه أُمّهاتهم ...» وهذه مكابرة لا دليل عليها من قرآن وسنة وعرف، وما أسهل إلقاء الادعاءات الفارغة وجعلها من المسلّمات، فلو أراد الله تعالى وكذلك نبيّه صلى الله عليه وآله نقل خصائص النبوّة من الأولوية بالتصرّف وإمامة الناس إلى شخص آخر يقوم بالحفاظ على نهج النبوة سيما بعد ختمها، فأيّ ضير في ذلك، وهذا هو معنى الإمامة التي نقصدها ونثبتها لعليّ عليه السلام وأولاده الأوصياء بحديث الغدير وغيره من الأدلّة . ولا علاقة لهذا بكون أزواج النبي صلى الله عليه وآله أُمّهات المؤمنين، حيث معناه حرمة التزوّج بهنّ بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وهي مسألة خاصّة ولا علاقة لهذا بمسألة الوصاية والإمامة التي هى امتداد للنبوّة .

وبعبارة أُخرى أنّ الأولوية بالتصرّف من خصائص الحاكميّة، وختم النبوة وحرمة التزوّج من أُمّهات المؤمنين من خصائص نبوّة النبي صلى الله عليه وآله، فالأُولى لابد من انتقالها لاستمرار الحاكمية الإلهية، أما الثانية فلا تنتقل وتبقى من المختصّات، كيف وأنّ الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله أثبتوا لأنفسهم هذه الأولوية، وتصرّفوا في الأموال والأنفس بحسب ما شاؤوا، فأخذوا فدك وغيرها وقتلوا مالك وغيره، أليس هذا هو معنى الأولوية بالتصرّف ؟!

٢ ـ «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» :

يبتني الاستدلال بهذه الفقرة على أنّ المولى فيه بمعنى الأولى المتفرعة من صدر الحديث، ولعلمائنا في إثبات ذلك عدّة أدلّة نوجزها فيما يلي :

ألف ـ قرينة المقام:

قال العلاّمة المجلسي (ت١١١١): «هل يريب عاقل في أنّ نزول النبي صلى الله عليه وآله في زمان ومكان لم يكن نزول المسافر متعارفاً فيهما، حيث كان الهواء على ما روي في

غاية الحرارة حتى كان الرجل يستظلّ بدابّته، ويضع الرداء تحت قدميه من شدّة الرمضاء، والمكان مملوءاً من الأشواك، ثم صعوده على الأقتاب، والدعاء لأمير المؤمنين علي عليه السلام على وجه يناسب شأن الملوك والخلفاء وولاة العهد، لم يكن إلاّ لنزول الوحي الإيجابي الفوري في ذلك الوقت لاستدراك أمر عظيم الشأن جليل القدر، هو استخلافه والأمر بوجوب طاعته»[٢٩].

وهذا لوحده ينفي إرادة سائر المعاني من كلمة (مولى) ويحصرها في الذي تقدّمها .

ب ـ الاستعمال الشرعي :

نقصد بالاستعمال الشرعي ما ورد في لسان الشرع: آيات وروايات، من مجيء كلمة مولى بمعنى أولى بحسب الاستعمال والقرائن، ولا نقصد بأنّ كل (مولى)وردت في لسان الشرع تكون بمعنى أولى حتى يُنتقض علينا بما ورد من استعمالها في معاني أُخر، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ**﴾[٣٠] وإن ذهب البياضي (ت ٨٧٧) إلى أنّها بمعنى الأولى حيث قال: «ذلك لا ينافي ما قلناه إذ معناه: الذين اتبعوا إبراهيم أولى بالتصرّف في خدمته دون غيرهم وكذا الآخران»[٣١].

ولذا قال السيد المرتضى (ت٤٣٦) في مقام الرد على القاضي عبد الجبار (ت٤١٥) حيث استشهد بالقرآن لنقض مجي المولى بمعنى أولى: «فأمّا ما ذكره من الآيات مستشهداً به على أنّ المراد بلفظة مولى الموالاة في الدين، فإنّما يكون طاعناً على من أنكر احتمال اللفظة لهذا الوجه في جملة محتملاتها، فأمّا من أقرّ بذلك وذهب إلى أنّ المراد في خبر الغدير خلافه، فليس يكون ما ذكره صاحب الكتاب مفسداً لمذهبه، وكيف يكون كذلك وأكثر ما استشهد به أنّ لفظة مولى أُريد بها معنى الموالاة فيما تلاه من القرآن، وذلك لا يحظر أن يراد بها خلاف الموالاة في

الخبر» [٣٢].

على أية حال، فممّا استدلّوا به على مجي مولى بمعنى أولى قوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾ [٣٣] أي أولى بكم [٣٤].

نصّ على ذلك أئّمة اللغة والتفسير المعتمد عليهم والمرجوع إليهم، منهم :

الكلبي (ت١٤٦) على ما ذكر الفخر الرازي في تفسيره ٢٩ :٢٢٨ .

والفراء (ت٢٠٧) في معاني القرآن ٣ :١٣٤ .

وأبو عبيدة معمّر بن المثنّى (ت٢١٠) في مجاز القرآن ٢ :٢٥٤ .

وعبد الله بن يحيى اليزيدي (ت٢٣٧) في غريب القرآن وتفسيره: ٣٧١ .

وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦) في تفسير غريب القرآن: ٤٥٣ .

والطبري (ت٣١٠) في تفسيره ٢٢ :٤٠٨ .

والزجاج (ت٣١١) في معاني القرآن وإعرابه ٥ :١٢٥ حيث قال: «هي أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب، ومثل ذلك قول الشاعر :

فغدت كلا الفرجين تحسب أنّه   مولى المخافــة خلفها وأمامها

ومنهم أيضاً: أبو عبيد الهروي (ت٤٠١) في الغريبين ٦ :٢٠٣٤ حيث قال: «قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي وليّهم والقائم بأمرهم، وكل من ولي عليك أمرك فهو مولاك . وقوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾ أي هي أولى بكم، وفي الحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال أبو العباس: أي من أحبني وتولاّني فليتولاّه» . انظر كيف ناقض نفسه حيث أثبت في صدر كلامه مجي المولى بمعنى القائم بالأمر وبمعنى الأولى، ثمّ في ذيل كلامه صرف الحديث عن معناه الحقيقي لئلاّ يثبت الحق، وهذا لا يهمّنا وهو ديدنهم، والغرض اثبات مجي المولى بمعنى الأولى والقائم بالأمر، وقد ثبت .

ومنهم أيضاً: الزمخشري (ت٥٣٨) في الكشاف ٤ :٦٤ حيث جعل الأولى إحدى معاني المولى في الآية واستشهد ببيت لبيد الذي مرّ آنفاً .

وكذلك ابن الأنباري (ت٥٧٧) في البيان في غريب إعراب القرآن ٢ :٤٢١ـ٤٢٢ حيث جعل الأولى أيضاًمن معاني المولى في الآية .

ومنهم ابن الجوزي (ت٥٩٧) في تذكرة الأديب في تفسيرالغريب: ٣٩١ .

والقرطبي (ت٦٧١) في الجامع لأحكام القرآن ١٧ :٢٤٨ حيث قال: «أي أولى بكم، والمولى من يتولّى مصالح الإنسان، ثم استعمل فيمن كان ملازماً للشيء، وقيل: تملك أمرهم ...» .

ومنهم نظام الدين النيسابوري (ت٧٢٨) في تفسير غريب القرآن ورغائب الفرقان ٦ :٢٥٦ حيث ذكر الأولى من معاني المولى في الآية .

وأبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥) في تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: ٢٩٠ حيث قال: «والمولى: المعتِق والمعتَق، أو الولي والأولى بالشيء، أو ابن العم والصهر» .

وأيضاً علي بن عثمان المارديني (ت٧٥٠) في بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله من الغريب: ٣٩٣ .

ومنهم ابن كثير (ت٧٧٤) في تفسيره ٤ :٣٣٢ حيث قال: «أي هي أولى بكم من كلّ منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير» .

ومنهم البيضاوي (ت٧٩١) في أنوار التنزيل ٢ :٤٥٤ حيث جعل الأولى من معاني المولى واستشهد ببيت لبيد.

ومنهم ابن الملقن (ت٨٠٤) في تفسير غريب القرآن: ٤٤٩ .

هذه أقوال أئمّة اللغة والتفسير في مجي أولى بمعنى مولى، ولكن من

الغريب ما ذهب إليه الفخرالرازي (ت٦٠٦) من حمل هؤلاء الأئمة على التساهل تارةً، وتارة أُخرى اختراع قاعدة تحت عنوان أنّ هذا الذي قالوه معنى لا تفسير للّفظ، والسبب الوحيد في ذكر هذه التمحّلات هو الردّ على الشيعة في استدلالهم بحديث الغدير وكلمة (مولى) على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فتمسّك القوم بكلّ رطب ويابس لردّ هذا المدعى وإن كان على خلاف القياس والأصول العلمية .

فهذا الرازي رغم اعترافه بمجي مولى بمعنى أولى عند أهل اللغة وغيرهم أمثال الكلبي والزجاج والفراء وأبي عبيدة ،[٣٥] والأخفش وعلي بن عيسى[٣٦]، ولكن ردّ هذا كلّه لأنّه مستمسك الشيعة، قال: «وإنّما نبّهنا على هذه الدقيقة لأنّ الشريف المرتضى لما تمسّك بإمامة علي بقوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال: أحد معاني مولى معناه أولى، واحتج في ذلك بأقوال أئمة اللغة في تفسير هذه الآية بأنّ مولى معناه أولى ... أمّا نحن فقد بيّنا بالدليل أنّ قول هؤلاء في هذا الموضع معنى لا تفسير وحينئذ يسقط الاستدلال به» [٣٧] .

نعم هذا هو السبب الحقيقي، ولذا قال في نهاية العقول: «أما الذي نقلوا عن أئمة اللغة أنّ المولى بمعنى الأولى، فلا حجة لهم وإنّما يبيّن ذلك بتقديم مقدمتين: إحداهما أنّ أمثال هذا النقل لا يصلح أن يحتج به في إثبات اللغة، فنقول: إنّ أبا عبيدة وإن قال في قوله تعالى: ﴿**مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ**﴾ معناه هي أولى بكم، وذكر هذا أيضاً الأخفش والزجاج وعلي بن عيسى واستشهدوا ببيت لبيد، ولكن ذلك تساهل من هؤلاء الأئمّة لا تحقيق، لأنّ الأكابر من النقلة مثل الخليل وأضرابه لم يذكروه، والأكثرون لم يذكروه إلاّ في تفسير هذه الآية أو آية أُخرى مرسلاً غير مسند، ولم يذكروه في الكتب الأصلية من اللغة، وليس كلّ ما يُذكر في التفاسير كان ذلك لغة أصلية، ألا تراهم يفسّرون اليمين بالقوة في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ والقلب بالعقل في قوله تعالى: ﴿**لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾ مع أنّ ذلك ليس لغة أصلية، فكذلك هنا» [٣٨] .

ونقول في الجواب :

أوّلاً: أيّ فرق ـ فيما نحن بصدد إثباته من مجيء مولى بمعنى أولى عند أئمة أهل اللغة ـ بين أن يكون أقوال هؤلاء الأئمة معنى أو تفسيراً ـ رغم أنّهم لم يصرّحوا بذلك بل ذكروا ما يناسب المقام من وجوه الآية، وعلى كلا الحالين يثبت مطلوبنا .

ثانياً: قد فطن نظام الدين النيسابوري (ت٧٢٨) ما في استدلال الرازي وإسقاطه لاستدلال المرتضى من وهن، فقال بعد نقل كلام الرازي: «في هذا الإسقاط بحث لا يخفى» [٣٩] .

ثالثاً: قد تناقض الرازي في كلامه، فإنّه تارة يقول: إنّ أئمّة اللّغة وأكثر العلماء (حينما قال: والأكثرون لم يذكروه إلاّ في تفسير هذه الآية) ذهبوا إلى مجيء مولى بمعنى أولى، ثم يقول: إنّ الأكابر من النقلة لم يذكروه ،ولا يتمكن من الاستشهاد إلاّ بالخليل (ت١٧٥)، مع أنّه قد طعن في مكان آخر بكتاب الخليل حيث قال: «أجلّ الكتب المصنّفة في النحو واللغة كتاب سيبويه وكتاب العين ... أما كتاب العين فقد أطبق الجمهور من أهل اللغة على القدح فيه» [٤٠] . فرغم كون أئمّة اللّغة وأكثر العلماء ذهبوا إلى مجيء مولى بمعنى أولى، ورغم إطباق جمهور أهل اللغة على القدح في كتاب الخليل، مع كل هذا لا يروق الرازي ذلك ويرميهم بالتساهل وعدم التحقيق، ولا أدري لماذا لا يُرمى الخليل بالتساهل وعدم التحقيق لعدم اتباعه أئمّة اللغة ؟! إن هو إلاّ تعصّب مذهبي أعمى أصاب الرازي ومن تبعه .

رابعاً: حتى لو صرّح الخليل بعدم مجيء مولى بمعنى أولى ـ وهو لم يصرّح بل لم يذكره ـ لا يُعتنى بتصريحه وهو واحد أمام أكثر أئمّة اللغة المصرّحين بذلك لتقدّم المثبت على النافي بحسب القواعد المقرّرة عندهم .

خامساً: أمّا قوله: «والأكثرون لم يذكروه إلاّ في تفسير هذه الآية أو آية أُخرى» فهل يُؤخذ تفسير المفردات إلاّ من كتب اللّغة وبما يتناسب فحوى الآية وغيرها من القرائن، وهل قال أحدٌ من الناس أنّ كلّ ما جاء في القرآن من كلمة (مولى) فهو بمعنى أولى، حتى يعترض علينا بهذا الاعتراض ؟! ثم إنّه يكفي لنفي السالبة الكلية الموجبة الجزئية .

سادساً: عدم وجود النقل عن بعض أهل اللغة لا يدلّ على العدم رأساً، ألا ترى أنّ صاحب القاموس التزم بترقيم كلّ لغة أهملها الجوهري بالحمرة، وهذه كثيرة جدّاً، فيلزم على قولك أن لا يكون شيء من تلك اللغات صحيحة، وهكذا يذكر بعض أهل اللغة لبعض اللفظ معنى، ويذكر له بعض آخر معاني أُخر(٤١) .

سابعاً: ما ذهب إليه من ورود المجاز في تفسير اليمين والقلب، فنقول: اشتمال اللغة على الحقيقة والمجاز ظاهر، ومعلوم أنّ المجاز إنّما يُصار إليه عند تعذّر حمل الكلام على الحقيقة، وإلاّ فالأصل في الكلام الحقيقة . ثم إنّ المجاز الأصلي قد يشيع ويكثر استعماله حتى تصير الحقيقة اللغوية بالنسبة إليه مجازاً، وإذا كان كذلك فنقول: إنّ لفظة المولى وإن كانت مشتركة إلاّ أنّ أهل اللغة فهموا بحسب القرينة في هذا الخبر أنّ المراد من المولى هو الأولى بعد فهمهم أنّه من جملة مسمياتهم اللغوية، فدعوى أنّه ليس لغة أصلية استلزم أنّه منقول، وهو معارض بما أنّه خلاف الأصل، فتفسير هذه الآية أو غيرها إذن بحسب اللغة الأصلية، وأما تفسيرهم بغير اللغة الأصلية كاليمين وأمثاله، فذاك إنّما كان لاستعماله اليمين بمعنى الجارحة على الله تعالى، فلا جرم لما لم تصحّ الحقيقة للإرادة عدلوا إلى المجاز»(٤٢) .

ثم ذكر الرازي المقدّمة الثانية في بيان اشتقاق كلمة (و ل ي)، ولا علاقة له بما نحن فيه، ثم قال: «وإذا ثبتت هاتان المقدّمتان فلنشرع في التفصيل، قوله: إنّ

أبا عبيدة قال في قوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾ معناه هي أولى بكم، قلنا: إنّ ذلك ليس حقيقة بوجهين: أحدهما أنّ ذلك يقتضي أن يكون للكفّار في الجنّة حقاً إلاّ أنّ النار أحق، لأنّ ذلك من لوازم أفعل التفضيل وأنّه باطل، وثانيهما: لو كان الأمر كما اعتقدوا فى أنّ المولى ها هنا بمعنى الأولى، لقيل هي مولاتكم لأنّ استواء التذكير والتأنيث من خصائص أفعل التفضيل، ولما بطل ما قالواه فالواجب أن يجعل المولى هنا اسماً للمكان وهي موضع الولي، وعلى هذا التفسير لا يلزمنا ما ألزمناه عليهم، لأنّ اسم المكان إذا وقع خبراً للمؤنّث لم يؤنّث، تقول: المدينة منشأ النبي صلى الله عليه وآله والبصرة منشأ الحسن، ولا تقول: منشأه، وهذا هو التحقيق» (٤٣) .

نقول في الجواب :

أوّلاً: لم يرد ذكر للمفضّل عليه في الآية، فمن أين زعم الرازي أنّ المفضّل عليه هو الجنة، لم لا يجوز أن يكون مراده تعالى أنّ النار بالكفّار أولى من كل شيء ـ كما هو ظاهر الإطلاق ـ وهذا لا يقتضي أن يكون كلّ شيء حتى الجنّة له حقاً بالكفّار، بل يكفي أن يكون البعض كذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿اللّه أَكْبَرُ﴾ فإنّه أكبر مطلقاً سواء كان لكل شيء كبر أو لا(٤٤) .

ثانياً: لو تنزّلنا عن ذلك فنقول: للكفّار في الجنة حق لكن فات عنهم بسبب عدم قبولهم الإيمان(٤٥)، وقد أشار الرازي نفسه إلى نحو هذا في معرض كلامه عن كيفية وراثة المؤمنين للجنّة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ (٤٦) حيث أنّ الجنة لهم فما معنى وراثتها، فقال: «إنّه لا مكلّف إلاّ أعدّ الله له في النار ما يستحقّه إن عصى، وفي الجنّة ما يستحقّه إن أطاع، وجعل لذلك علامة، فإذا آمن منهم البعض ولم يؤمن البعض صار منازل من لم يؤمن كالمنقول إلى المؤمنين، وصار مصيرهم إلى النار الذي لابد معها من حرمان الثواب كموتهم ...» (٤٧) . وبهذا المعنى يمكن أن يقال إنّ النار أولى بهم وأحق من الجنّة .

أما ما ذكره من مسألة التذكير والتأنيث في: (هِيَ مَوْلاَكُمْ) فنقول: **أوّلاً** بعد ما ثبت ترادف المولى والأولى، فأينما كانت أولى خبراً لمبتدأ تساوى فيها المؤنّث والمذكّر، فكذلك الحال في المولى(٤٨) .

ثانياً: ثأنيث النّار لم يكن على الحقيقة بل هو مجاز، ولا يلزم تأنيث المؤنّث المجازي، كما اعترف بذلك الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ**﴾ حيث قال: «لقائل أن يقول: مقتضى علم الإعراب أن يقال: إنّ رحمة الله قريبة من المحسنين، فما السبب في حذف علامة التأنيث ؟ ذكروا في الجواب عنه وجوهاً: الأوّل: إنّ الرحمة تأنيثها ليس بحقيقي، وما كان كذلك فإنّه يجوز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة» (٤٩).

وبهذا تندفع سائر الشبهات التي ذكرها الباقلاني (ت٤٠٣) في تمهيد الأوائل: ٤٥٢، والآمدي (ت٦٣١) في غاية المرام: ٣٢١ وأبكار الأفكار ٥ :١٨٢، والجرجاني (ت٨١٦) في شرح المواقف ٨ :٣٦١، وابن حجر الهيتمي (ت٩٧٣) في الصواعق المحرقة ١ :١٠٨، والدهلوي (ت١٢٣٩) في التحفة الاثني عشرية: ٤١٨، والآلوسي (ت١٢٧٠) في مختصر التحفة: ١٦٠ وتفسيره روح المعاني ٥ :١٩٥ وكتابه الآخر النفحات القدسية: ١١٧، وإنّما ركّزنا على الفخر الرازي لأنّه أسهب الكلام حول الموضوع في تفسيره وكتابه نهاية العقول، وبإبطال كلامه تبطل سائر الشبه أيضاً .

شواهد اُخر :

ومن الشواهد الاُخرى في مجيء مولى بمعنى أولى قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ ...**﴾(٥٠)، أي من كان أولى بالميراث وأحق.

وكذلك قوله صلى الله عليه وآله: «أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها» أي بغير إذن من هو أولى بها وأحق .

ج ـ الاستعمال اللغوي :

ذكر أئمة اللغة عدّة معان لكلمة «مولى» أوصلها البعض إلى ثلاثين معنى من باب الاشتراك اللفظي ومن تلك المعاني الأولى، واستشهدوا لذلك ببيت لبيد :

فغدت كلا الفرجين تحسب أنّه ... مولى المخافة خلفها وأمامها

معناه: أولى بالمخافة خلفها وأمامها .

وقد صرّح بذلك كل من معمر بن المثنى (ت٢١٠) في مجاز القرآن ٢ :٢٥٤، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦) في غريب القرآن: ٤٥٣ والزجاج (ت٣١١) في معاني القرآن ٥ :١٢٥، وابن الأنباري (ت٣٢٨) في الزاهر في معاني كلمات الناس: ٩٧، والجوهري (ت٣٩٣) في الصحاح ٦ :٢٥٢٩، والثعلبي (ت٤٢٧) في الكشف والبيان ٩ :٢٣٩، والزمخشري (ت٥٣٨) في الكشاف ٥ :٦٤، والبيضاوي (ت٧٩١) في أنوار التنزيل ٥ :١٨٧، وغيرهم الكثير ممن صرّح بذلك .

طبعاً نحن لا ندّعي أنّ كلّ من أورد هذا البيت من أئمّة اللغة والتفسير فسّر المولى فيه بالأولى، وعليه فلا يرد علينا ما أورده الفخر الرازي[٥١] من أنّ الأصمعي ذهب إلى خلاف هذا حيث نُقل عنه قولان في تفسير بيت لبيد ليس (الأولى) منها، مضافاً إلى أنّ الرازي نفسه قد طعن في الأصمعي في كتابه المحصول حيث قال: «الأصمعي كان منسوباً إلى الخلاعة ومشهوراً بأنّه كان يزيد في اللغة ما لم يكن منها» [٥٢] ولكن يتمسّك بقوله هنا ويناقض نفسه .

واستشهدوا أيضاً لمجيء مولى بمعنى أولى بما قاله الأخطل في حق عبد الملك بن مروان :

فما وجدت فيها قريش لأمرها ... أعفّ وأوفى من أبيك وأمجدا

فأورى بزنديه ولو كان غيره ... غداة اختلاف الناس أكدى وأصلدا

فأصبحت مولاها من الناس كلّهم ... وأحرى قريش أن تُهاب وتُحمدا

فخاطبه بلفظ مولى وهو خليفة مطاع الأمر، فإنّه ذكر أباه وأنّ قريشاً لم تجد غيره أولى بالخلافة، ثم تطرّق إلى عبد الملك وذكر أنّه أصبح بعد أبيه هو المولى والخليفة وأحق مَن يُهاب ويُحمد.

ثم إنّ أمثال حسان بن ثابت، وقيس بن سعد، والكميت بن زيد الأسدي فهموا من المولى في حديث الغدير معنى الإمامة والأولوية بالتصرّف، قال حسان بعد واقعة الغدير مباشرة:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم — بخمّ وأسمع بالرسول مناديا

فقال ومن مولاكم ووليكم — فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا

الهك مولانا وأنت نبيّنا — فلن تجدن منّا لك اليوم عاصيا

فقال له قم يا علي فإنّني — رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه — فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللّهُمَّ وال وليّه — وكن للّذي عادى علياً معاديا

فقال له النبي ﷺ: «لاتزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك» فلولا أنّ النبي عليه وآله السلام أراد بما ذكره في ذلك المقام النص على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام على حسب ما صرّح به حسّان في هذا المقال، لما دعا له النبي ﷺ بالتأييد ومدحه من أجله وأثنى عليه، ولو كان عليه وآله السلام عني غيره من أقسام المولى، لأنكر على حسان ولم يقرّه على ما اعتقده فيه وبيّن له غلطه فيما حكاه، لأنّه محال مع نصب الله تعالى نبيه للبيان أن يشهد بصحّة الباطل ... وفي شهادته عليه السلام بصدق حسّان فيما حكاه، ونظمه الكلام بمدحه عليه، ودعائه له بالتأييد من أجله دليل على صحّة ما ذكرناه، وشاهد على أنّ المولى عبارة في اللغة عن الإمام لفهم حسّان والجماعة ذلك منها[٥٣] .

وقال قيس بن سعد بن عبادة :

وعلي إمامنا وإمام لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل
إنّ ما قاله النبي على الأمّة حتم ما فيه قال وقيل

وفي هذا الشعر دليلان:

أحدهما: إنّ المولى يتضمّن الإمامة عند أهل اللسان، للاتفاق على فصاحة قيس، وأنّه لا يجوز أن يعبّرعن معنى ما لا يقع عليه من اللفظ عند أهل الفصاحة لاسيّما في النظم الذي يعتمد صاحبه فيه الفصاحة والبيان .

والثاني: إقرار أمير المؤمنين عليه السلام قيسا وترك نكيره وهو ينشد بحضرته ويشهد بالإمامة له ويحتج به على الأعداء، وأمير المؤمنين عليه السلام ممّن لا يقرّ على باطل ولا يمسك عن الإنكار، لاسيّما مع ارتفاع التقية عنه وتمكّنه من الإنكار[٥٤] .

وقال كميت بن زيد:

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أُطيعا
ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا

فأوجب له الإمامة بخبر الغدير، ووصفه بالرئاسة من جهة المولى، وليس يجوز على الكميت مع جلالته في اللغة والعربية وضع عبارة على معنى لم يوضع عليه قط في اللغة، ولا استعملها قبله فيه أحد من أهل العربية[٥٥] .

فإذا ثبت في الاستعمال اللغوي مجيء مولى بمعنى أولى، كان هو المتعيّن في معنى الحديث من بين سائر المعاني، قال السيد المرتضى (ت٤٣٦) :

«قد علمنا أنّ النبي صلى الله عليه وآله أوجب لأمير المؤمنين عليه السلام أمراً كان واجباً لا محالة، فيجب أن يعتبر ما يحتمله لفظة مولى من الأقسام، وما يصحّ منها كون النبي صلى الله عليه وآله مختصاً به وما لا يصحّ، وما يجوز أن يوجب لغيره في تلك الحال وما لا يجوز، وما يحتمله لفظ مولى ينقسم إلى أقسام: منها ما لم يكن صلى الله عليه وآله عليه، ومنها ما كان عليه ومعلوم لكلّ أحد أنّه عليه السلام لم يرده، ومنها ما كان عليه ومعلوم بالدليل أنّه لم يرده، ومنها ما كان حاصلاً له صلى الله عليه وآله ويجب أن يريده لبطلان سائر الأقسام واستحالة خلوّ كلامه من معنى وفائدة .

فالقسم الأوّل هو المعتق والحليف، لأنّ الحليف هو الذي ينضم إلى قبيلة أو عشيرة فيحالفها على نصرته والدفاع عنه، فيكون منتسباً إليها متعزّزاً بها، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله حليفاً لأحد على هذا الوجه .

والقسم الثاني ينقسم على قسمين: أحدهما معلوم أنّه لم يرده لبطلانه في نفسه كالمعتق والمالك والجار والصهر والحليف والإمام إذا عُدّ من أقسام المولى، والآخر معلوم أنّه لم يرده من حيث لم يكن فيه فائدة وكان ظاهراً شائعاً وهو ابن العم .

القسم الثالث الذي يعلم بالدليل أنّه لم يرده وهو ولاية الدين والنصرة والمحبة أو ولاء المعتق، والدليل على أنّه صلى الله عليه وآله لم يرد ذلك أنّ كل أحد يعلم من دينه صلى الله عليه وآله وجوب تولّي المؤمنين ونصرتهم وقد نطق الكتاب به، وليس يحسن أن يجمعهم على الصورة التي حكيت في تلك الحال ويعلمهم ما هم مضطرون إليه من دينه، وكذلك هم يعلمون أنّ ولاء العتق لبني العمّ قبل الشريعة وبعدها، فلم يبق إلاّ القسم الرابع الذي كان حاصلاً له عليه السلام ويجب أن يريده، وهو الأولى بتدبير الأُمّة وأمرهم ونهيهم، وقد دلّلنا على أنّ من كان بهذه الصفة فهو الإمام المفترض الطاعة»[56] .

وهناك طريقة أُخرى أشار إليها علماؤنا، وهي أنّ كلمة (مولى) لا تستعمل في أي موضع من المواضع إلاّ بمعنى الأولى[٥٧]، لكنّه يفيد الأولى في كل موضع في شيء مخصوص بحسب ما يضاف إليه، فعليه يكون ابن العم مولى لأنّه أولى بالاتحاد والمعاضدة مع ابن عمّه، والمعتق مولى لأنّه أولى بأن يعرف جميل من أعتقه، والعبد مولى لأنّه أولى بالانقياد لمولاه، والمنعم عليه مولى لأنّه أولى بشكر منعمه، والناصر مولى لأنّه أولى بالنصرة، وهكذا باقي المعاني .

فثبت بما أسلفنا أنّ المولى في الحديث يكون بمعنى أولى بالتصرف وهو معنى الإمامة، ولكن بقي هنا ما ذكره الفخر الرازي (ت٦٠٦) في مقام الردّ على استدلال الشيعة حيث قال: «لا نسلّم أنّ لفظة المولى محتملة للأولى، والدليل عليه أمران: أوّلهما: أنّ (أفعل مِنْ) موضوع ليدلّ على معنى التفضيل، ومفعل موضوع ليدلّ على الحدثان أو الزمان أو المكان، ولم يذكر أحد من أئمة النحو واللغة أنّ مفعلاً قد يكون بمعنى أفعل التفضيل، وذلك يوجب امتناع إفادة المولى بمعنى الأولى . وثانيهما: إنّ المولى لو كان يجيء بمعنى الأولى لصحّ أن يقرن بأحدهما كل ما يصح قرنه بالآخر، لكنّه ليس كذلك، فامتنع كون المولى بمعنى الأولى .

بيان الشرطيّة: إنّ تصرّف الواضع ليس إلاّ في وضع الألفاظ المفردة للمعاني المفردة، فأمّا ضمّ بعض تلك الألفاظ إلى البعض بعد صيرورة كلّ واحد منها موضوعاً لمعناه المفرد فذلك أمر عقلي، مثلاً إذا قلنا الإنسان حيوان، فإفادة لفظة الإنسان للحقيقة المخصوصة بالوضع وإفادة لفظة الحيوان للحقيقة المخصوصة أيضاً بالوضع، فأمّا نسبة الحيوان إلى الإنسان بعد المساعدة على كون كلّ واحد من هذين اللفظين موضوعاً للمعنى المخصوص فذلك بالعقل لا بالوضع، وإذا ثبت ذلك فلفظة الأولى إذا كانت موضوعة لمعنى ولفظ (مِن) موضوعة لمعنى آخر، فصحّة دخول أحدهما على الآخر لا يكون بالوضع بل بالعقل، وإذا ثبت ذلك فلو كان المفهوم من لفظة الأولى بتمامه من غير زيادة ولا نقصان هو المفهوم من لفظة

المولى، والعقل حكم بصحّة اقتران المفهوم من لفظة (مِن) بالمفهوم من لفظة الأولى، فوجب صحة اقترانه أيضاً بالمفهوم من لفظة المولى، لأنّ صحة ذلك الاقتران ليست من اللفظتين بل من مفهوميهما، بيانه: إنّه ليس كل ما يصحّ دخوله على أحدهما صحّ دخوله على الآخر، إنّه لا يقال: هو مولى من فلان كما يقال هو أولى من فلان، ويصح أن يقال هو مولى وهما موليان ولا يصحّ أن يقال هو أولى بدون من وهما أوليان، وتقول هو مولى الرجل ومولى زيد ولا تقول هو أولى الرجل ولا أولى زيد، وتقول هما أولى رجلين وهم أولى الرجال ولا تقول هما مولى رجلين ولا هم مولى رجال، ويقال هو مولاه ومولاك ولا يقال هو أولاه ولا أولاك» (٥٨) .

فنقول في الجواب :

أوّلاً: ذكر الرازي أنّ مفعل (مولى) موضوع ليدلّ على الحدث أو الزمان أو المكان، فحصر معانيه في هذه الثلاثة، ولو صحّ هذا لانتقض الأمر عليه بمعنى لزوم عدم جواز مجي مفعل بمعنى فاعل وفعيل أيضاً أي ناصر وحليف مع أنّه لا يقول بذلك، بل يذهب هو وغيره إلى أنّ معنى المولى هنا بمعنى الناصر والمحب . إذاً كلامه هذا لا يصح من أساسه.

ثانياً: قوله إنّ أحداً من أئمة اللغة والنحو لم يذكر مجيء مفعل بمعنى أفعل، يردّه ما مضى من تصريح أئمة اللغة والتفسير والحديث بمجيء مولى بمعنى أولى في قوله تعالى: ﴿**مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ**﴾، ولو لم يكن إلاّ تصريح شخص واحد لكفى في نقض كلامه إذ أنّ نقيض السالبة الكلية: الموجبة الجزئية، كما هو المقرّر في محلّه . مضافاً إلى ما ذكره السيوطي في المزهر في معرفة الأفراد حيث قال لكفاية نقل واحد من أهل اللغة:

«وهو ما انفرد بروايته واحد من أهل اللغة ولم ينقله أحد غيره، وحكمه القبول إن كان المتفرّد به من أهل الضبط والاتقان» (٥٩) .

ثالثاً: وردت كثير من الاستعمالات في اللغة على خلاف القياس، ولم يحكم أحد ببطلانها، فمن ذلك كلمة (عجاف) جمع أعجف في قوله تعالى: ﴿**يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ**﴾[٦٠]، فقد صرّح أئمة اللغة أنّ جمع أفعل لا يأتي على فعال إلاّ في هذا المورد، قال الجوهري في الصحاح في عجف: «والجمع عجاف على غير قياس لأنّ أفعل وفعلاء لا يجمع على فعال»، ومنها طوالق جمع طلقة حيث لم يأت فواعل جمع فعلة في غير هذا المورد، قال السيوطي: «لم يأت فعلة على فواعل إلاّ في حرف واحد :

ليلـة طلـقـة لا حـر فيهـا ولا قــر   ولا ظلمـة وليــال طوالــق» [٦١]

وكذلك أربعاء حيث لم يأت لفظ مفرداً على وزنه سواه، قال السيوطي نقلاً عن سيبويه: «وكذلك أفعلاء لم يأت إلاّ في الجمع نحو أصدقاء وأنصباء إلاّ حرف واحد لا يُعرف غيره وهو يوم الأربعاء» [٦٢] .

وهذا كثير شائع مطرّد، وعليه فليكن مجيء مفعل بمعنى أفعل من هذا القبيل.

رابعاً: إنّ من يذكر الأولى في معاني المولى، وهم جماهير ممّن يُحتج بأقوالهم، لا يعنون أنّه صفة له حتى يُناقش بأنّ معنى التفضيل خارج عن مفاد (المولى) مزيد عليه فلا يتفقان، وإنّما يريدون أنّه اسم لذلك المعنى، إذن فلا شيء يفتّ في عضدهم[٦٣].

خامساً: قوله: «إنّ المولى لو كان يجيء بمعنى الأولى لصحّ أن يُقرن بأحدهما كل ما يصحّ قرنه بالآخر، لكنّه ليس كذلك ...» فنقول: لا نسلّم أنّ كل لفظة ترادف الأُخرى، يصحّ أن يُقترن بها ما يُقترن بالأُخرى، فإنّ صحّة الاقتران من عوارض الألفاظ لا من عوارض المعاني[٦٤].

وهذا ما اعترف به الرازي نفسه في كتابه المحصول حيث قال بعدما استظهر لزوم صحّة إقامة كل واحد من المترادفين مقام الآخر: «والحق أنّ ذلك غير واجب، لأنّ صحة الضمّ قد تكون من عوارض الألفاظ، لأنّ المعنى الذي يُعبّر عنه في العربية بلفظ، يُعبّر عنه في الفارسية بلفظ آخر، فإذا قلت خرجت من الدار استقام الكلام، ولو أبدلت صيغة (من) وحدها بمرادفها من الفارسية لم يجز، فهذا الامتناع ما جاء من قبل المعاني بل من قبل الألفاظ، وإذا عقل ذلك في لغتين فلم لا يجوز في لغة واحدة» (٦٥).

ومن الغريب أنّ الفخر الرازي يجعل هذا هو القول الحق، ويشير إليه في نهاية تقرير هذه الشبهة في كتابه نهاية العقول حيث يقول: «وهذا الوجه فيه نظر مذكور في كتاب المحصول» (٦٦) . وقد رأيت ما قال في المحصول، ومع هذا يتمسّك هنا بتقرير هذه الشبهة بصفحتين مع تحشيد الأمثلة المتنوّعة الباطلة كلّها باعترافه، ثم يأتي من تبعه واحتذى حذوه من أذنابه، ويقرّرون هذه الشبهة ويجعلونها أساس ردّ مجيء مولى بمعنى أولى، ويرسلونها إرسال المسلّمات اللغوية، مع أنّ رئيسهم يعترف بنفسه في نهاية العقول بأنّ هذا الوجه فيه نظر، ويصرّح في المحصول أنّ الحق عدم لزوم ذلك . سبحان الله ليس للعمى دواء .

سادساً: إنّ صحّة اقتران أحد المترادفين مكان الآخر ـ لو فُرض صحّته ـ يكون فيما لو لم يمنع منه مانع من قياس أو استعمال وما شاكل، وهنا منع منه الاستعمال حيث أنّ أفعل التفضيل لا يصاحب من حروف الجر إلاّ حرف (مِن) خاصة، وعليه قيام أحد المترادفين مقام الآخر لا يكون على سبيل الكلية والعموم، فالمولى وإن كان مرادفاً للأولى، ولكن بما أنّ الاستعمال يمنع من مقارنة حرف (من) بالمولى، لذا لا يقال: «مولى من فلان» كما يقال: «أولى من فلان»، وهذا كلّه راجع إلى الاستعمال، وأمثاله في اللغة كثير .

قال الرضي الاسترآبادي في شرح الكافية: «لا يتوهّم أنّ بين (علمت) و(عرفت) فرقاً من حيث المعنى كما قال بعضهم، فإنّ معنى علمت أنّ زيداً قائم، وعرفت أنّ زيداً قائم واحد، إلاّ أنّ (عرف) لا ينصب جزئي الإسميّة كما ينصبها (علم) لا لفرق معنوي بينهما بل هو موكول إلى اختيار العرب، فإنّهم قد يخصّون أحد المستاويين في المعنى بحكم لفظي دون الآخر» (٦٧).

كما أنّ الصلاة والدعاء بمعنى واحد ولكن يقال: صلّى عليه ودعا له، ولا يقال دعا عليه، وكذلك العلم والمعرفة مترادفان مع أنّ العلم يتعدّى إلى مفعولين دون المعرفة، وكذا يقال: إنّك عالم ولا يقال: إنّ أنت عالم، وكما يقال: بصر بي ونظر إليّ ولا يقال: نظر بي، وكذلك يقال رأيته ولا يقال نظرته، مع ترادف النظر والرؤية والبصر بعضها مع بعض، كلّ ذلك لأجل الاستعمال .

سابعاً: جَعل الرازي صحة الاقتران ونسبة المفاهيم إلى بعض في تراكيب الجمل إلى العقل لا الوضع، وهذا كلام ذو وجهين يكون صحيحاً من وجه وخطأ من وجه آخر، أمّا الصحيح فهو لزوم التناسب والتناسق المفهومي بين تراكيب الجمل عقلاً بمعنى عدم صحة الاقتران بين جملتين متناقضتين، فعليه يصحّ الإنسان حيوان ولا يصحّ: الإنسان حجر عقلاً، أمّا الوجه الآخر الذي حاول الرازي إثباته عبثاً باطل، إذ أنّ عدم الاستعمال لأحد المرادفين مكان الآخر لا دخل له بالعقل بل هو تابع إلى الاستعمال ـ كما مرّ ـ وإلاّ فلا استحالة عقلية في قولك: هو مولى من فلان أو هو أولى وهما أوليان، أو هو أولى الرجل وأولى زيد .

مع أنّ هذا ـ أي قوله أولى الرجل ـ قد استعمل في لسان الروايات، ففي صحيح البخاري وغيره من الصحاح والمسانيد عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر» (٦٨) .

قال العيني في شرحه: «وفي التلويح: قوله (فهو لأولى رجل) يريد إذا كان في

الذكور من هو أولى من صاحبه بقرب أو بطن، فأمّا إذا استووا في التعدّد وأدلوا بالإناث والأُمهات معاً كالأخوة وشبههم، فلم يُقصدوا بهذا الحديث لأنهّ ليس في البنين من هو أولى منهم ...»[69] .

وكذلك لا يصحّ كلام الرازي حيث قال: «ولا تقول هما مولى رجلين ولا هم مولى رجال» إذ لا استحالة عقليّة في ذلك كما قلنا، ويؤيّد عدم الاستحالة العقلية صحة هذا الإطلاق في اللغة الفارسية حيث يقال: «فلان دو شخص مولاي فلان دو شخص أند، وآن چند شخص مولاي چند شخص فلا نند» إذ لو كانت الاستحالة عقلية لزم عدم صحة هذا الإطلاق[70] .

د ـ التفريع:

ونقصد به ترتّب الجملة الثانية: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» على الجملة الأولى: «ألست أولى بكم من أنفسكم» وابتناءها عليها من حيث المعنى والدلالة، وقد ابتنى استدلال علمائنا بهذا الحديث على هذا النحو من التقرير .

قال الشيخ الصدوق (ت٣٨١): «فدلّ ذلك (أي صدر الحديث) على أنّ معنى «مولاه» هو أنّه أولى بهم من أنفسهم ؛ لأنّ المشهور في اللغة والعرف أنّ الرجل إذا قال لرجل: إنّك أولى بي من نفسي، فقد جعله مطاعاً آمراً عليه ولا يجوز أن يعصيه، وأنّا لو أخذنا بيعة على رجل، وأقرّ بأنّا أولى به من نفسه، لم يكن له أن يخالفنا في شيء ممّا نأمره به، لأنّه إن خالفنا بطل معنى إقراره بأنّا أولى به من نفسه، ولأنّ العرب أيضاً إذا أمر منهم إنسان إنساناً بشيء وأخذه بالعمل به وكان له أن يعصيه فعصاه قال له: يا هذا أنا أولى بنفسي منك، إنّ لي أن أفعل بها ما أُريد وليس ذلك لك منّي، فإذا كان قول الإنسان: «أنا أولى بنفسي منك» يوجب له أن يفعل بنفسه ما يشاء إذا كان في الحقيقة أولى بنفسه من غيره، وجب لمن هو أولى بنفسه منه أن يفعل به ما يشاء ولا يكون له أن يخالفه ولا يعصيه، إذا كان ذلك

كذلك ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأقرّوا له بذلك، ثم قال متبعاً لقوله الأوّل بلا فصل: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» فقد علم أنّ قوله: «مولاه» عبارة عن المعنى الذي أقرّوا له بأنّه أولى بهم من أنفسهم ...» (٧١) .

وأضاف قائلاً: «ونظير قول النبي صلى الله عليه وآله: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فلمّا أقرّوا له بذلك قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» قول رجل لجماعة: أليس هذا المتاع بيني وبينكم نبيعه والربح بيننا نصفان والوضعية كذلك ؟ فقالوا له: نعم، قال: فمن كنت شريكه فزيد شريكه . فقد أعلم أنّ ما عناه بقوله: فمن كنت شريكه، أنّه انّما عنى به المعنى الذي قرّرهم به بدءاً من بيع المتاع واقتسام الربح والوضيعة، ثم جعل ذلك المعنى الذي هو الشركة لزيد بقوله: فزيد شريكه، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وإقرارهم له بذلك ثم قوله صلى الله عليه وآله: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» إنّما هو إعلام أنّه عنى بقوله المعنى الذي أقرّوا به بدءاً، وكذلك جعله لعلي عليه السلام بقوله: «فعلي مولاه» كما جعل ذلك الرجل الشركة لزيد بقوله: فزيد شريكه، ولا فرق في ذلك» (٧٢) .

وزاد البيان وضوحاً بعد صفحات وكرّره قائلاً: «والعلّة في ذلك أنّ الشركة عبارة عن معنى قول القائل: «هذا المتاع بيننا نقسم الربح والوضعية» فلذلك صحّ بعد قول القائل: «فمن كنت شريكه فزيد شريكه» وكذلك صحّ بعد قول النبي صلى الله عليه وآله: ألست أولى بكم من أنفسكم «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» لأنّ مولاه عبارة عن قوله: «ألست أولى بكم من أنفسكم» وإلاّ فمتى لم تكن اللفظة التي جاءت مع إلغاء الأُولى عبارة عن المعنى الأوّل لم يكن الكلام منتظماً أبداً ولا مفهوماً ولا صواباً، بل يكون داخلاً في الهذيان، ومن أضاف ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كفر بالله العظيم، وإذا كانت لفظة «فمن كنت مولاه» تدلّ على من كنت أولى به من نفسه على ما أرينا، وقد جعلها بعينها لعلي عليه السلام فقد جعل أن يكون علي عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وذلك هو الطاعة لعلي عليه السلام» (٧٣) .

واستدلّ الشيخ المفيد (ت٤١٣) بنحو آخر حيث قال: «فقرّرهم ﷺ على فرض طاعته عليهم بصريح الكلام، ثم عطف على اللفظ الخاص بما ينطوي على معناه، وجاء فيه بحرف العطف من الفاء التي لا يبتدأ بها الكلام، فدلّ ذلك على أنّه الأولى دون ما سواه، لما ثبت من حكمته عليه وآله السلام وأراد به البيان، إذ لو لم يرد ذلك وأراد ما عداه، لكان مستأنفاً لمقال لا تعلّق له بالمتقدّم جاعلاً لحرف العطف حرف الاستيناف، وهذا ما لا يقع إلاّ من أحد نفسين: أحدهما جاهل باللغة والكلام، والآخر قاصد إلى التعمية والإلغاز، ورسول الله ﷺ يجلّ عن الوصفين وينزّه عن النقص في الصفات .

وشيء آخر: لا يخلو رسول الله ﷺ فيما يلفظ به من عبارة (مولى) من وجهين لا ثالث لهما على البيان، إما أن يكون مراده فيه المعنى الذي قرّر به الأنام من فرض الطاعة على ما ذكرناه، أو يكون أراد غيره من الأقسام . فإن كان مراده من ذلك فرض طاعته على الأنام، فهو الذي نذهب إليه وقد صحّت الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام . وإن كان مراده سواه من الأقسام، فقد عبّر عن مراده بكلام يحتمل خلاف ما أراد، وليس في العقل دليل على ما أراد، وهذا ما لا يقع إلاّ من جاهل ناقص عاجز عن البيان أو متعمّد لإضلال المخاطبين عن الغرض وعدوله عن الأفهام، وقد أجلّ الله نبيّه عن هذين القسمين وأشباههما من النقص عن الكمال» (٧٤) .

واستدلّ السيد المرتضى (ت٤٣٦) بنحو هذا حيث قال: «الوجه المعتمد في الاستدلال بخبر الغدير على النص، هو ما نرتبه فنقول: إنّ النبي ﷺ استخرج من أُمّته بذلك المقام الاقرار بفرض طاعته، ووجوب التصرّف بين أمره ونهيه بقوله ﷺ: «ألست أولى منكم بأنفسكم» وهذا القول وإن كان مخرجه مخرج الاستفهام فالمراد به التقرير، وهو جار مجرى قوله تعالى: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾ فلمّا أجابوه بالاعتراف والإقرار رفع بيد أمير المؤمنين عليه السلام وقال عاطفاً على ما تقدّم:

«فمن كنت مولاه فعلي مولاه» ... فأتى عليه السلام بجملة يحتمل لفظها معنى الجملة الأُولى التي قدّمها وإن كان محتملاً لغيره، فوجب أن يريد بها المعنى المتقدّم الذي قرّرهم به على مقتضى استعمال أهل اللغة وعرفهم في خطابهم، وإذا ثبت أنّه صلى الله عليه وآله أراد ما ذكرناه من إيجابه كون أمير المؤمنين عليه السلام أولى بالإمامة من أنفسهم، فقد أوجب له الإمامة، لأنّه لا يكون أولى بهم من أنفسهم إلاّ فيما يقتضي فرض طاعته عليهم ونفوذ أمره ونهيه فيهم، ولن يكون كذلك إلاّ من كان إماماً» (٧٥) .

ثم قال: «وأمّا الذي يدلّ على أنّ المراد بلفظة مولى في خبر الغدير الأولى، فهو أنّ من عادة أهل اللسان في خطابهم إذا أوردوا جملة مصرّحة وعطفوا عليها بكلام محتمل لما تقدّم التصريح به ولغيره، لم يجز أن يريدوا بالمحتمل إلاّ المعنى الأوّل، يبيّن صحة ما ذكرناه أنّ أحدهم إذا قال مقبلاً على جماعة ومفهماً لهم وله عدّة عبيد: ألستم عارفين بعبدي فلان ؟ ثم قال عاطفاً على كلامه: فاشهدوا أنّ عبدي حرّ لوجه الله تعالى، لم يجز أن يريد بقوله: عبدي، بعد أن قدّم ما قدّمه إلاّ العبد الذي سمّاه في أوّل كلامه دون غيره من سائر عبيده، ومتى أراد سواه كان عندهم ملغّزاً خارجاً عن طريقة البيان، ويجري قوله :فاشهدوا أنّ عبدي حرّ، عند جميع أهل اللسان مجرى قوله: فاشهدوا أنّ عبدي فلاناً حرّ إذا كرّر مجرى تسميته وتعيينه، وهذه حال كل لفظ محتمل عطف على لفظ مفسّر على الوجه الذي صوّرناه» (٧٦) .

ولتقريب الفكرة يمكن أن نضرب مثالاً آخر، وهو أن يقال: إنّ لفظة الغدير تطلق على عدّة معان مختلفة ومتباينة ـ كلفظة المولى ـ فإنّها تُطلق على الماء المستجمع في مكان، وعلى السيف، وعلى القطعة من النبات، وعلى التخلّف عن مكان، فلو قال القائل: ألستم تعرفون مستجمع الماء الذي شربنا منه ؟ فلمّا قالوا: بلى، قال عقيبه: فمن رأى الغدير فليتزوّد منه، فإنّه لا ينصرف معنى الغدير إلى غير الغدير الذي هو مستجمع الماء من سائر المعاني، سيّما إذا اقترن الكلام بقرائن

حالية ومقالية تدلّ على إرادة غدير الماء، وكذلك فيما نحن فيه من حديث الغدير من دون فرق، حيث تحمل لفظة المولى على معنى الأولى التي هي من معانيها والتي سبقتها بالكلام، والتي تفرّعت عليها بفاء التفريع .

وذهب أبو الصلاح الحلبي (ت٤٤٧) إلى أنّ استخدام أسلوب تقديم البيان على الإجمال أبلغ في الخطاب، حيث قال: «اتفاق العلماء بالخطاب على أنّ تقديم البيان على المجمل وطريق المخاطبين على المراد به أبلغ في الإفهام من تأخيره، يوضح ذلك أنّ مواضعة المكلِّف سبحانه على معنى صلاة وزكاة قبل الخطاب بهما أبلغ في البيان من تأخير ذلك عليه، وأنّ قول القائل لمن يريد إفهامه: ألست عارفاً بأخي زيد الفقيه وداري الظاهرة بمحلّة كذا ؟ فإذا قال بلى، قال: فإنّ أخي ارتد وداري احترقت، أبلغ في الإبانة عن مراده من تأخير هذا البيان عن قوله: ارتد أخي واحترقت داري، لوقوع العلم بمقصوده مع الخطاب الأوّل في الحال وتراخيه مع الثاني، ولاختلاف العلماء فيما يتأخّر بيانه وهل هو بيان له أم لا ؟ واتفاقهم على كون ما تقدّم بيانه مفيداً للعلم بالمراد حين يسمع المجمل .

وإذا تقرّر هذا وكنّا وخصومنا وكلّ عارف بأحكام الخطاب متفقين على أنّه صلوات الله عليه وآله لو قال بعد قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» أردت بمولى أولى، لم يحسن الشك في إرادته بلفظة مولى أولى، ولم يستحق المخالف فيه جواباً إلاّ التنبيه على غفلته، فتقديمه صلوات الله عليه وآله التقرير على الأوّل وإتيانه بعده بالمجمل أبلغ في بيان مراده من التقرير الأوّل على ما أوضحناه من ذلك، وليس لأحد عرف الخطاب بأن يقول: دلّوا على أنّ الكلام الثاني مبني على الأوّل وأنّ الأوّل بيان له ؛ لأنّ دخول الفاء المختصّة بالتعقيب في الكلام الثاني يوجب تعلّقه بالأوّل على أخصّ الوجوه، وتعلّقه به مع احتماله ـ لو انفرد ـ له ولغيره من المعاني دليل على كونه بياناً له، لأنّ قوله صلى الله عليه وآله: «فمن كنت مولاه» متعلّق بقوله: «ألست أولى بكم» بمقتضى العطف، وتعلّقه به يقتضي إرادة مولى، لترتبه عليه وكونه بياناً له،

وقوله عليه السلام إثر ذلك: «فعلي مولاه» جار هذا المجرى، فيجب إلحاقه به والحكم له بمقتضاه» (٧٧) .

هـ ـ خلوّ الكلام من الفائدة :

من الأُمور التي نستدلّ بها على مجيء المولى بمعنى الأولى بالتصرف والإمامة، خلوّ كلام رسول الله صلى الله عليه وآله من الفائدة لو أراد المعاني الأُخر التي تحتملها لفظة (المولى) . وذلك لأنّ بعض المعاني لم يردها رسول الله صلى الله عليه وآله ـ كما مرّ ـ من قبيل ابن العم والحليف والجار، والباقي كالنصرة والمحبة والموالاة لا داعي لذكرها في ذلك المحفل العظيم وبتلك الهيئة ـ كما مرّ ـ، وقد سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيما مضى التأكيد عليها مراراً وتكراراً، إمّا على نحو العموم مثل قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْض﴾ (٧٨) وما شاكل من عمومات القرآن والسنة الحاثّة على لزوم التوادد والتحابب بين المؤمنين، وإمّا على نحو الخصوص مثل قوله صلى الله عليه وآله كما رواه علي عليه السلام حيث قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأُمّي عليه السلام أن لا يحبّني إلاّ مؤمن، ولا يبغضني إلاّ منافق» (٧٩) . أو ما قاله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام وانتشر بين الأنام: «أو ما ترضين أنيّ زوّجتك أقدم أُمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً» (٨٠) .

أو ما ورد عنه صلى الله عليه وآله في قصة فتح خيبر من قوله: «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيّهم يُعطى فغدوا كلّهم يرجوه، فقال: أين علي ...» (٨١) وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة .

أو ما ورد في حديث الطير من قوله صلى الله عليه وآله: «اللّهُمَّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر» (٨٢) .

أو ما ورد في حديث المنزلة من قوله ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» (٨٣) وكان هذا في السنة التاسعة للهجرة .

ولمّا اعترض معاوية على سعد بن أبي وقاص بعدم سبّ عليّ عليه السلام قال سعد: «أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحب إليّ من حمر النعم» (٨٤) فذكر حديث المنزلة، وحديث الراية يوم خيبر، وآية المباهلة .

إلى غيرها من الروايات الخاصّة المنتشرة بين الناس في فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام ولزوم محبّته ومودّته ممّا لم يبق مجال للشك فيها ؛ ولذلك قال أحمد بن حنبل، وإسماعيل القاضي، وأبو علي النيسابوري: «لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر ما جاء في علي» (٨٥) .

وفي لفظ آخر لأحمد بن حنبل: «ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن عليّ بن أبي طالب» (٨٦) .

فهذه كلّها كانت على عهد رسول الله ﷺ وبمرأى ومسمع الصحابة ممّا لا يبقى مجال لأدنى شك في لزوم نصرة أمير المؤمنين عليه السلام ومحبته ومودّته، وهذا كان واضحاً جليّاً للصحابة المحدقين بالنبي ﷺ أجمع، وغيرهم الذين كانت تصل إليهم أخبار المدينة دوماً .

وعليه فلا مجال لحمل كلام النبي ﷺ يوم الغدير على ما كرّره وأوضحه سابقاً مراراً وتكراراً بما لا مزيد عليه، نعم إنّه ﷺ أراد بيان شيء جديد وهو تبليغ إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وسيأتيك مزيد بيان في قسم ردّ الشبهات، عند مناقشة مفاد الحديث عند أهل السنة، فانتظره .

أما ما ذكره الرازي: «إن سلّمنا أنّه لا يكون في ذلك فائدة جديدة، ولكن لم لا يجوز ذلك ؟ أليس أنّ الشيعة يقولون إمامة علي عليه السلام كانت ثابتة بالنصوص

الجليّة من الكتاب والسنة، فإذا جاز ـ بعد سبق العلم بإمامته بالنصوص الجليّة ـ جمع الجموع لاثبات إمامته بهذا النص الخفي جداً، فلأن يجوز ذلك أيضاً فيما قلناه كان أولى» [(٨٧)].

فجوابه: إنّ أمر الإمامة التي هي زعامة الدين والدنيا لا تقاس بأمر الفضائل والمناقب، إذ أنّه يلزم تبليغ الأولى إلى أكبر عدد ممكن وفي مناسبات مختلفة وبألفاظ متفاوتة، بخلاف أمر الفضائل حيث لا يوجد فيها هكذا إلزام، بل ترد في موردها الخاص ولا تحتاج إلى تكرار وتذكار، ولا ضير لو فاتت عن الكثير بخلاف أمر الإمامة، ولذا نرى اهتمام النبي صلى الله عليه وآله لها منذ البداية حيث حديث الإنذار وإلى النهاية حيث حديث الدواة والكتف، ولذا قلنا أنّ المراد من حديث الغدير لو كان مجرد النصرة والمحبة، ما كان يقتضي الأمر جمع الناس بتلك الحالة والصفة وبذلك المكان .

قال السيد دلدار علي رحمه الله (ت١٢٣٥) في ردّ الرازي: «لا يخفى على كلّ عاقل عظمة أمر الإمامة وكون الشخص نائباً مناب النبي صلى الله عليه وآله وبمنزلته، فيليق أن يهتم كل اهتمام لتمشية ذلك، لاسيّما إذا كانت همّ الحاضرين مصروفة على خلاف مراد النبي صلى الله عليه وآله، ومن جملة ذلك التوكيد لتقرير الأمر وتكريره مرّات عديدة بأنواع مختلفة، ألا ترى أنّ نبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله كان يكفي في ثبوتها بشارة الأنبياء السابقة، لكن جلالة الأمر وإفحام المعاندين اقتضت إقامة الأدلّة العديدة من كون القرآن معجزاً بل كل سورة منه، وهكذا المعجزات الأُخر التي كانت تظهر تدريجاً على حسب اقتراح المنكرين ونحو ذلك، فحينئذ نقول: إنّ إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وإن كانت ثابتة قبل يوم الغدير، لكن جلالة القدر اقتضت توكيد ذلك، لاسيّما نظراً إلى أنّ النصوص الأُخر وإن كان العالمون بها بالغين مبلغ من تقوم بهم الحجة، لكن لم يكن الخلق الكثير عالمين بها، وكان المشككون فيها من حيث صيرورتها منسوخة أو بعدم وجودها رأساً، وبتأويل معناها متوافرين، فناسب

أن ينص النبي صلى الله عليه وآله على خلافته في قرب الوفاة في مثل ذلك المجمع العظيم والزمان والمكان» (٨٨) .

٣ ـ «اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله»:

هذا هو الشق الأخير لحديث الغدير، ويتضمّن الدعاء لكلّ من والى علياً ونصره، كما يتضمّن الدعاء على من عاداه وخذله، وأهل السنة كعادتهم في التشكيك السندي والدلالي بكلّ ما تتمسّك به الشيعة لاثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، شكّكوا في صحة هذه الزيادة تارة، وفي دلالتها تارة أخرى بعد العجز عن تضعيفها.



إنّ أوّل من حاول التشكيك في هذا الدعاء ـ بحسب ما عثرنا عليه ـ هو الجاحظ (ت٢٥٥) حيث قال في العثمانية: «إنّ الذين نقلوا أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» لم ينقلوا معه في الحديث: «اللّٰهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه» وإنّما سمعنا هذه الزيادة من الشيع، ولم نجد له أصلاً في الحديث المحمول»(٨٩) .

ثم لم نسمع تشكيكاً في هذه الفقرة من الحديث إلى أن جاء دور ابن تيمية (ت٧٢٨) فشمّر ساعديه لإبطال هذا الدعاء في عدّة من كتبه، قال في منهاج السنة: «لكن حديث الموالاة قد رواه الترمذي وأحمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وأما الزيادة وهي قوله: «اللّٰهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه» الخ، فلا ريب أنّه كذب . ونقل الأثرم في سننه عن أحمد أنّ العباس سأله عن حسين الأشقر، وأنّه حدث بحديثين، أحدهما قوله لعليّ: إنّك ستعرض على البراءة منّي فلا تبرأ . والآخر: اللّٰهُمَّ وال من والاه وعادِ من عاداه، فأنكره أبو عبد الله جداً، ولم يشك أنّ هذين كذب» (٩٠) .

وقال أيضاً: «الوجه الخامس: إنّ هذا اللفظ وهو قوله: «اللّٰهُمَّ وال من والاه

وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث . الوجه السادس: إنّ دعاء النبي ﷺ مجاب . وهذا الدعاء ليس بمجاب، فعُلم أنّه ليس من دعاء النبي ﷺ، فإنّه من المعلوم أنّه لما تولّى كان الصحابة وسائر المسلمين ثلاثة أصناف: صنف قاتلوا معه، وصنف قاتلوه، وصنف قعدوا عن هذا وهذا، وأكثر السابقين الأولين كانوا من القعود ... ثم إنّ الذين قاتلوه لم يخذلوا بل ما زالوا منصورين يفتحون البلاد ويقتلون الكفّار ... والعسكر الذين قاتلوا مع معاوية ما خذلوا قط، بل ولا في قتال علي . فكيف يكون النبي ﷺ قال: «اللّهُمَّ اخذل من خذله وانصر من نصره» [والذين قاتلوامعه لم ينصروا على هؤلاء بل الشيعة الذين يزعمون أنّهم مختصّون بعلي ما زالوا مخذولين مقهورين لا يُنصرون إلاّ مع غيرهم إما مسلمين وإما كفار، وهم يدّعون أنّهم أنصاره] فأين نصر الله لمن نصره ؟ وهذا وغيره ممّا يبيّن كذب هذا الحديث» (٩١) .

وقال في مجموع الفتاوى: «وأما قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه» الخ، فهذا ليس في شيء من الأُمّهات إلاّ في الترمذي، وليس فيه إلاّ «من كنت مولاه فعلي مولاه» وأمّا الزيادة فليست في الحديث، وسئل عنها الإمام أحمد فقال: زيادة كوفية .

ولا ريب أنّها كذب لوجوه: ... قوله: «اللّهُمَّ انصر من نصره» الخ، خلاف الواقع، قاتل معه أقوام يوم صفين فما انتصروا، وأقوام لم يقاتلوا فما خذلوا، كسعد الذي فتح العراق لم يقاتل معه، وكذلك أصحاب معاوية وبني أُمّية الذين قاتلوه فتحوا كثيراً من بلاد الكفار ونصرهم الله . وكذلك قوله: «اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه» مخالف لأصل الإسلام، فإنّ القرآن قد بيّن أنّ المؤمنين إخوة مع قتالهم وبغي بعضهم على بعض» (٩٢).

وقد تبع ابن تيمية من جاء بعده من أتباع المدرسة السلفية أمثال: المقدسي

(ت٨٨٨) في: رسالة في الرد على الرافضة: ٢١٧، والزعبي في البينات في ردّ أباطيل المراجعات ٢ :١٥٢، والقفاري في أصول مذهب الشيعة ٣ :٣٠٩ـ٣١٠، والعسّال في الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن: ٤٢٣، وفيصل نور في الإمامة والنص: ٥٦٦ وغيرهم .

ونقول في الجواب:

أولاً: الشطر الأوّل من هذا الدعاء: «اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه» مروي بطرق مختلفة، فقد رواه أحمد في المسند ١ :١١٤، وابن ماجة في السنن ١ :٤٣ ح١١٦، والنسائي في فضائل الصحابة: ١٥، والحاكم في المستدرك ٣ :١٠٩ وصحّحه، والطبراني في المعجم الأوسط ٢ :٢٧٥ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ :١٠٦ ؛ ورجال الأوسط وثّقوا، وابن أبي شيبة في المصنف ٧ :٤٩٩، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٤ :٢٣١، وخرّج الزيلعي طرقه في تخريج الأحاديث والآثار ٢ :٢٣٥، وغيرهم.

أما الشق الثاني: «وانصر من نصره، واخذل من خذله»، فقد رواه أحمد في مسنده ١ :١١٩، والطبراني في المعجم الكبير ٤ :١٧، ٥ :١٩٢ عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ :١٠٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله وثقوا، والنسائي في السنن الكبرى ٦ :١٣٦، وابن الأثير في أسد الغابة ٣ :٣٠٧، وابن كثير في البداية والنهاية ٥ :٢٣٠ وقال: وكذلك رواه شعبة عن أبي إسحاق، وهذا إسناد جيّد، كما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ :١٠٥ عن البزار وقال: رجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة.

ثانياً: قد صرّح أعلام القوم بصحّة هذه الزيادة، فقد روى أبو بكر بن عربي (ت٥٤٣) حديث الغدير مع الدعاء ثم قال: «أمّا قوله: (وال من والاه) فكلام صحيح ودعوة مجابة وما يُعلم أحد عاداه إلاّ الرافضة ...» [٩٣]. فهو يعترف بصحّته وإن حاول من خلاله الطعن على الشيعة.

وكذلك نقل ابن كثير (ت٧٧٤) تصحيح الذهبي لهذه الزيادة حيث قال: «أمّا: «اللّٰهُمَّ وال من والاه» فزيادة قوية الإسناد» [٩٤].

قال ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٣) في الصواعق المحرقة: «وقول بعضهم إنّ زيادة (اللّٰهُمَّ وال من والاه ...) موضوعة مردود، فقد ورد ذلك من طرق صحّح الذهبي كثيراً منها» [٩٥].

قال العجلوني (ت١١٦٢): «من كنت مولاه فعلي مولاه» رواه الطبراني وأحمد والضياء في المختارة عن زيد بن أرقم وعلي وثلاثين من الصحابة بلفظ: «اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه» فالحديث متواتر أو مشهور» [٩٦].

وأخيراً قال الألباني (ت١٤٢٠): «إنّ حديث الترجمة حديث صحيح بشطريه، بل الأوّل منه متواتر عنه صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ كما يظهر لمن تتبع أسانيده وطرقه، أما قوله في الطريق الخامسة من حديث علي عَلَيْهِالسَّلَامُ: «وانصر من نصره واخذل من خذله» ففي ثبوته عندي وقفة لعدم ورود ما يجبر ضعفه، وكأنّه رواية بالمعنى للشطر الآخر ... إذا عرفت هذا فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته أنّني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعّف الشطر الأوّل من الحديث، وأمّا الشطر الآخر فزعم أنّه كذب، وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرّعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها، ويدقّق النظر فيها» [٩٧].

ويلاحظ على تضعيفه للشطر الثاني أنّ الهيثمي (ت٨٠٧) في مجمع الزوائد ٩ :١٠٤ رواه عن البزار وقال: رجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة، مضافاً إلى أنّه ثابت ومتواتر من الشيعة وهذا ما يكفينا.

ثالثاً: السبب المساعد لتشكيك المشككين أنّ الرواة أهملوا بدواعي مختلفة الشطر الثاني من ذيل الحديث، فالراوي كان يأخذ من الحديث ويترك بحسب الحاجة واقتضاء المقام أو النسيان، أو أُمور أُخرى سياسية أو اجتماعية، فهذا زيد

بن أرقم يروي حديث الغدير مصطحباً بالدعاء الوارد بعده كما هو في مسند أحمد(٩٨)، والمعجم الأوسط للطبراني(٩٩)، والسنن الكبرى للنسائي وفيه: «ما كان في الدوحات رجل إلاّ رآه بعينه وسمعه بأُذنه»(١٠٠).

ثم نراه فيما بعد يبتر الدعاء ولم يروه، ففي مسند أحمد عن عطية العوفي قال: سألت زيد بن أرقم فقلت له: إنّ ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن علي عليه السلام يوم غدير خم، فأنا أحبّ أن أسمعه منك، فقال: إنّكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم، فقلت له: ليس عليك منّي بأس، فقال: نعم، كنّا بالجحفة فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلينا ظهراً وهو آخذ بعضد علي فقال: أيها الناس ألستم تعلمون أنّي أولى المؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه . قال: فقلت له: هل قال «اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه» ؟ قال: إنّما أخبرك كما سمعت(١٠١) . فهو هنا لم يرو الذيل بأسباب ودواع خفيت علينا، وكم كان للسياسة دور في بتر الأحاديث وتقليبها !!

رابعاً: أمّا ما ذكره ابن تيمية عن الأثرم وموّه تكذيب أحمد بن حنبل لذيل حديث الغدير، فصورته الصحيحة كما وردت عند العقيلي (ت٣٢٢) وابن حجر (ت٨٥٢) في ترجمة الحسين بن الحسن الأشقر، هكذا: «حدّثنا إبراهيم بن عبد الوهاب، حدّثنا أحمد بن محمد هانئ الأثرم، قال: قلت لأبي عبد الله (أحمد بن حنبل): حسين الأشقر تحدّث عنه ؟ قال: لم يكن عندي ممّن يكذب في الحديث، وذُكر عنه التشيع . فقال له العباس بن عبد العظيم: حدّث في أبي بكر وعمر، فقلت له: يا أبا عبد الله صنّف باباً فيه معايب أبي بكر وعمر، فقال: ما هذا بأهل أن يُحدّث عنه، فقال له العباس: حدّث بحديث فيه ذكر الجوالقين يعني أبا بكر وعمر، فقال: ما هو بأهل أن يُحدّث عنه، فقال له العباس: وحدّث عن ابن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه عن حجر المدري قال: قال لي علي بن أبي طالب: إنّك ستعرض على سبي فسبني، وتعرض على البراءة منّي فلا تتبرّأ منّي . فاستعظمه

أبو عبد الله وأنكره . وقال العباس: وروى عن ابن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه قال: أخبرني أربعة من أصحاب النبي ﷺ أنّ النبي قال: اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه . فأنكره أبو عبد الله جداً، وكأنّه لم يشك أنّ هذين كذب . وحكى العباس عن علي (ابن المدينى) أنّه قال: هذين كذب، ليس هذين من حديث ابن عيينة» (١٠٢) . وفي لفظ ابن حجر: «هما كذب، ليسا من حديث ابن عيينة» .

هذه هي الصورة الصحيحة التي حرّفها ابن تيمية، حيث أنّ أحمد بن حنبل كان يوثق الأشقر مع تشيّعه ولذا روى عنه في مسنده، ولكن هذا ما لا يروق عند البعض، فجاؤوا إلى ابن حنبل وصرفوا رأيه عنه بأنّه يتكلّم في الخليفتين، ويدلّس حيث ينسب روايات إلى من لم يروها، كما هو الحال في رواية البراءة والغدير حيث نسبهما إلى ابن عيينة، فأنكر أحمد أن يكون ابن عيينة روى هذين الحديثين، كما بيّن ذلك علي بن المديني، وليس الأمر كما لفّقه ابن تيمية من نسبة إنكار أحمد لذيل حديث الغدير رأساً، بل كما قلنا كان الانكار والتكذيب منصباً على أنّ ابن عيينة لم يرو هذين الخبرين فحسب .

وكذلك ما نسبه ابن تيمية إلى أحمد من قوله لذيل حديث الغدير: «زيادة كوفية» لا يصحّ، لأنّا لم نجد له أثراً في كتب المتقدّمين، وقد انفرد به ابن تيمية، نعم ما عثرنا عليه في مسند أحمد هكذا: حدّثنا عبد الله، حدّثني حجاج بن الشاعر، ثنا شبابة، حدّثني نعيم بن حكيم، حدّثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عن علي عليه السلام أنّ النبي ﷺ قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال: فزاد الناس بعد: «وال من والاه وعاد من عاداه» (١٠٣).

فأوّل ما فيه: إنّه حديث شاذ لم يرو إلاّ بهذا الطريق، فيترك ويؤخذ بباقي الطرق السليمة والموثوقة التي ورد الدعاء فيها، وثانياً: إنّ القائل مجهول هل هو عبد الله بن أحمد بن حنبل أو حجاج أو شبابة أو شخص آخر من الرواة، فلا يمكن نسبته إلى أحمد سيّما وقد روى أحمد في مسنده هذا الدعاء بطرق متعددة من دون

أن يغمز فيه ولا مرّة واحدة . فهذه النسبة إلى أحمد من أكاذيب ابن تيمية، أضفها إلى قائمة أكاذيبه ونصبه لأهل البيت عليهم السلام .

خامساً: إنّ ما تفوّه به ابن تيمية من شنيع قوله في ذكر الوجوه لإبطال «وال من والاه» وأنّ النبي صلى الله عليه وآله مستجاب الدعاء و ...، فهو مردود ومنقوض عليه بما ورد في القرآن الكريم من وعد الله تعالى للأنبياء بالنصرة والظفر وخذلان أعدائهم، مع أنّ الواقع العملي ليس كذلك .

قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ (١٠٤)، وقال تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (١٠٥)، وقال تعالى: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ (١٠٦) .

ثم في المقابل يقول تعالى: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ**﴾ (١٠٧)، وقال تعالى: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾ (١٠٨) .

أليس الأنبياء وأمير المؤمنين عليهم أفضل الصلاة والسلام عند ابن تيمية من المؤمنين ؟!

أليس جعل الرسول صلى الله عليه وآله حب علي علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق ؟! فأين النصرة الإلهية لهؤلاء المؤمنين المشردين المقتولين والمكذَّبين من قبل أُممهم ؟!

سؤال يطرح نفسه بجد وعلى ابن تيمية وأتباعه الإجابة عنه .

أما نحن فالأمر واضح عندنا ولا يحتاج إلى تعقيد، وذلك أنّ مقولة «النصرة الإلهية» مقولة مشككة ولها مراتب مختلفة، ولا يمكن معرفتها والوقوف عليها من خلال النجاح أو عدم النجاح المادي والظاهري البحت، فالوعد الإلهي بالنصرة قد يتحقق في الدنيا وقد يتحقق في الأُخرى إن حُجب عنه في الدنيا لأسباب ومصالح الله أعرف بها منّا، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا**

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾.

ثم إنّ مقياس النصرة قد يكون مادياً، وهو النجاح الظاهري والانتصار على الأعداء، وقد يكون معنوياً حيث يجتمع حتى مع الانكسار والخذلان الظاهري، فأمير المؤمنين عليه السلام منصور وإن غلبه معاوية غلبة ظاهرية، وانتصاره جاء بفضح معاوية وكشف خبثه وسوء طويّته، وأنّه لا يمت إلى الإسلام بصلة، وكذلك بنو أُمية، وكذلك إنّ الحسين عليه السلام منصور وإن غلبه يزيد، فأيّ نصرة أعظم من كشف غطاء النفاق للناس، وإيقافهم على المنهج الصحيح، وإراءة الطريق في ظلمات الفتن، وقد عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن نصرته وظفره المعنوي بقوله: «أنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترأ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها» (١٠٩). نعم هذه نصرة عظيمة وإن اقترن بها فشل وخذلان مادي وظاهري.

ثم إنّ لهذه الظاهرة تحليلاً آخر وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ (١١٠).

هذه الآية الكريمة تشير إلى أنّ فلسفة تأخير النصر الظاهري للأنبياء والمؤمنين، إنّما هو الاختبار والابتلاء؛ لأنّ الجنّة تُعطى بعد الاستقامة والعمل والصمود، ولا تُعطى بالتمنّي والآمال.

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (١١١) فذيل الآية يدلّ على النصرة الإلهية للمؤمنين رغم عدم رفع الفتنة عن العالم أجمع ورغم تعدّد الأديان والمذاهب الباطلة إلى يومنا هذا.

والخلاصة إنّ ما نفهمه قرآنياً وإسلامياً، هو أنّ غلبة الباطل وكثرته الظاهرية لا يدلّ إطلاقاً على فشل الحق بحسب الواقع ونفس الأمر، وهذا ما لاتفهمه عقول أمثال ابن تيمية وأذنابه الجامدة .

سادساً: إنّ قوله إنّ الشيعة المختصين بعليّ عليه السلام، ما زالوا مخذولين مقهورين لا يُنصرون، فهو إن صح فإثمه على الجائرين والظلمة الذين قتلوهم وقتلوا أئمتهم وطاردوهم تحت كل حجر ومدر حتى تنكّر قسم منهم وأخفى هويته حفاظاً على النفس، وإلاّ فالشيعة على طول التاريخ مهما سنحت لهم فرصة الظهور، وتُعومل معهم بالعدل والإحسان، أفادوا المجتمع بالعلم والعمل الصالح، وأنت ترى أنّ أصل كثير من العلوم أو التفريع والتطوير فيها يرجع إلى الشيعة .

أما اليوم فالشيعة في العالم بحمد الله معزّزون موقّرون منصورون معروفون بالحكمة والحلم والعلم وحسن السلوك .

سابعاً: أما قوله بأنّ ذلك مخالف لأصل الإسلام لأنّ القرآن قد بيّن أنّ المؤمنين إخوة مع قتالهم وبغي بعضعم على بعض، فمن عجيب القول لأنّ الآية الكريمة لا تدلّ على إيمان الباغي إطلاقاً، وإليك نصّها، قال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[١١٢] .

ففيها عدّة فوائد:

١ ـ الإيمان هنا هو ما يُرادف الإسلام ولم يقصد المعنى الاصطلاحي، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى**﴾[١١٣] فسمّى شارب الخمر مؤمناً أي مسلماً، لأنّ الإيمان يخرج من قلب شارب الخمر، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... ولا يشرب

الخمر وهو مؤمن»[١١٤] . وعن أبي هريرة: «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»[١١٥]. وأيضاً عنه ﷺ: «من شرب الخمر غير مكره ولا مضطر خرج منه الإيمان» [١١٦] . إذاً كما لم يطلق الإيمان الاصطلاحي على شارب الخمر لم يطلق على الباغي بطريق أولى. فتحصّل أنّ الإيمان هنا هو الإسلام الظاهري الذي ربما اجتمع حتى مع النفاق.

٢ ـ لزوم الاصلاح قبل القتال.

٣ ـ وجوب قتال الفئة الباغية، ومن الواضح البيّن أنّ المقتول الباغي مصيره إلى النار وكذلك الباغي ما لم يتب، بدليل قوله ﷺ لعمار: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار» [١١٧] . فهو صريح في أنّ الباغي من أهل النار فأيّ إيمان بعد هذا .

٤ ـ الكفّ عن القتال إذا أفاءت الفئة الباغية إلى أمر الله، ممّا يدلّ على أنّها حين البغي لم تكن على أمر الله ودينه فلم تكن مؤمنة، مضافاً إلى أنّ التاريخ يشهد أنّ البغاة ما فاؤوا إلى أمر الله تعالى، فهؤلاء أصحاب الجمل قُتل منهم خلق كثير حين الحرب وقبل الإفاءة وبعد الحرب التحق قسم منهم بمعاوية والقسم الآخر كفّ وأمسك عن الخلاف من دون أن تظهر عليه إمارات التوبة من ودي النفوس البريئة التي راحت ضحية بغيهم، ومن دون إبراء الذمّة من ذويهم، ممّا يسبّب أن نشكّ في صحة توبتهم وندمهم . أمّا الخوارج فكذلك لم يعهد منهم إفاءة بل استشهد أمير المؤمنين عليه السلام على يد فلولهم، أما معاوية وأصحابه فحالهم في عدم الإفاءة أوضح، كيف وأنّ معاوية لم يتنازل عن غيّه وبغيه ولم يُعهد عنه توبة أو ندم، لقد حارب أمير المؤمنين عليه السلام حتى آخر لحظة، ثم بعد خدعة التحكيم بقي على بغيه بل تمادى في ذلك وبدأ بشنّ الغارات على المسلمين وقتل الأبرياء حتى أنّ أمير المؤمنين كان يعدّ العدد للخروج إليه مرّة ثانية لكن ما أهملته المنيّة، كما أنّه

بغى على الإمام الحسن عليه السلام أيضاً، فصحيفته السوداء مليئة بالذنوب والآثام، فأيّ إيمان يبقى له وأيّ إفاءة هذه ؟!

سابعاً: قال العلاّمة الأميني رحمه الله: «إنّ هذا الدعاء ـ بعمومه الأفرادي بالموصول والأزماني والأحوالي بحذف المتعلّق ـ يدلّ على عصمة الإمام عليه السلام لإفادته وجوب موالاته ونصرته والانحياز عن العداء له وخذلانه على كلّ أحد في كلّ حين وعلى كلّ حال، وذلك يوجب أن يكون عليه السلام في كلّ تلك الأحوال على صفة لا تصدر منه معصية، ولا يقول إلاّ الحقّ، ولا يعمل إلاّ به، ولا يكون إلاّ معه، لأنّه لو صدر منه شيء من المعصية لوجب الإنكار عليه ونصب العداء له، لعمله المنكر والتخذيل عنه، فحيث لم يستثن صلى الله عليه وآله من لفظه العام شيئاً من أطواره وأزمانه علمنا أنّه لم يكن عليه السلام في كلّ تلك المدد والأطوار إلاّ على الصفة التي ذكرناها، وصاحب هذه الصفة يجب أن يكون إماماً لقبح أن يؤمّه من هو دونه على ما هو المقرّر في محلّه، وإذا كان إماماً فهو أولى بالناس منهم بأنفسهم» (١١٨) .

فتلخّص أنّ قوله صلى الله عليه وآله: «اللّهُمَّ وال من والاه ...» صحيح سنداً ومتناً ودلالة، وهو موافق للقرآن والسنة والعترة، ولله الحمد والمنّة.

أما بالنسبة إلى ما ذهبوا إليه من إنّ هذا المقطع يؤيّد كون المراد من حديث الغدير هو النصرة والمحبة، فسيوافيك جوابه لاحقاً .

* هوامش البحث *

(١) البداية والنهاية ٥ :٢٢٨ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٥ :٢١٢ ح٥١٢٨، مجمع الزوائد للهيثمي ٩ :١٠٥ ووثّق رجاله غير حبيب بن خلاّد حيث لم يعرفه .

(٣) يراجع رواة حديث الغدير .

(٤) معاني الأخبار: ٦٥ ح١ .

(٥) م ن: ٦٦ ح٢ .

(٦) الأحزاب: ٦ .

(٧) معاني القرآن ٥ :٣٢٥ .

(٨) تفسير الطبري ٢١ :١٤٦ .

(٩) معالم التنزيل ٣ :٥٠٧ .

(١٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣ :٢٩٧ .

(١١) الكشاف ٣ :٢٥١ .

(١٢) عمدة القاري ١٢ :٢٣٥ .

(١٣) الشافي ٢ :٢٧٦_٢٧٧، عنه البحار ٣٧ :٢٤٥ .

(١٤) التحفة الاثني عشرية: ٤٢١، مختصر التحفة ١٦١، وتبعه الآلوسي في روح المعاني ٥ :١٩٦، والنفحات القدسية: ١١٨، والزعبي في البينات ٢ :١٥٤ .

(١٥) المغني، القسم الأول من كتاب الإمامة: ١٥١ .

(١٦) نهاية العقول: ٣٨٣، وتبعه كل من الآمدي في أبكار الأفكار ٥ :١٨١، والتفتازاني في شرح المقاصد ٥ :٢٧٤، والجرجاني في شرح المواقف ٩ :٣٦١، والقوشجي في شرح التجريد: ٣٦٩ .

(١٧) صحيح مسلم ٧ :١٢٣ .

(١٨) الشافي ٢ :٢٦٧، تلخيص الشافي للطوسي ٢ :١٧٤ .

(١٩) كنز الفوائد ٢ :٨٨_٨٩ .

(٢٠) مسند أحمد ٤ :٢٨١، المصنف لابن أبي شيبة ٧ :٥٠٣ ح٥٥ .

(٢١) م ن ٤ :٣٦٨ .

(٢٢) م ن: ٤: ٣٧٠، والمستدرك للحاكم ٣ :١٠٩ وصححه، كما صحح الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ :١٠٤ السند وقال: رجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة .

(٢٣) المستدرك للحاكم ٣ :١١٦ .

(٢٤) مسند أحمد ١ :١١٩ .

(٢٥) مجمع الزوائد للهيثمي ٩ :١٠٧ وحسّن إسناده .

(٢٦) الشافي ٢ :٢٦٧ـ٢٦٨، تلخيص الشافي للطوسي ٢ :١٧٥، كنز الفوائد للكراجكي ٢ :٨٨ .

(٢٧) يراجع: حديث المناشدة .

(٢٨) تمهيد الأوائل: ٤٥١ .

(٢٩) البحار ٣٧ :٢٥١ .

(٣٠) آل عمران: ٦٨ .

(٣١) الصراط المستقيم ١ :٣٠٩ .

(٣٢) الشافي ٢ :٢٨٩ـ٢٩٠ .

(٣٣) الحديد: ١٥ .

(٣٤) انظر: رسالة في معنى المولى للمفيد: ٢٧، والشافي للمرتضى ٢ :٢٦٩، وتقريب المعارف للحلبي: ٢١٤، وكنز الفوائد للكراجكى ٢ :٨٩، وغيرها من المصادر الكلامية .

(٣٥) تفسير الرازي ٢٩ :٢٢٨ .

(٣٦) نهاية العقول: ٣٨٤ .

(٣٧) تفسير الرازي ٢٩ :٢٢٧ .

(٣٨) نهاية العقول: ٣٨٤ (خ) .

(٣٩) تفسير غريب القرآن ٦ :٢٥٦ .

(٤٠) المحصول ١ :٢١٠ .

(٤١) عماد الإسلام للسيد دلدار علي، كتاب الإمامة: ٣٣٩/ حديث الغدير (خ) .

(٤٢) النجاة في القيامة لابن ميثم: ١٣١ـ١٣٢ .

(٤٣) نهاية العقول: ٣٨٥ .

(٤٤) عماد الإسلام للسيد دلدار علي، كتاب الإمامة: ٣٤٠ (خ) .

(٤٥) م ن .

(٤٦) المؤمنون: ١٠ـ١١ .

(٤٧) تفسير الرازي ٢٣ :٨٢ .

(٤٨) عبقات الأنوار، حديث الغدير ٩ :٦٨ .

(٤٩) تفسير الرازي ١٤ :١٣٦، وانظر عبقات الأنوار، حديث الغدير ٩ :٦٩ـ٧٠ .

(٥٠) النساء: ٣٣ .

(٥١) نهاية العقول: ٤١٠ (خ) .

(٥٢) المحصول ١ :٢١٢ .

(٥٣) أقسام المولى للشيخ المفيد: ٣٥ـ٣٦ .

(٥٤) م ن: ٣٦ـ٣٧ .

(٥٥) رسالة في معنى المولى للشيخ المفيد: ١٩، أقسام المولى: ٤١ .

(٥٦) الشافي ٢ :٢٨٠ـ٢٨١، وتبعه كلّ من جاء بعده .

(٥٧) راجع: رسالة أقسام المولى للمفيد: ٢٩، تقريب المعارف للحلبي: ٦٩، كنز الفوائد للكراجكي ٢ :٩١، المنقذ من التقليد للحمّصي ٢ :٣٣٦، الصوارم المهرقة للشوشتري: ٣٥٦، الغدير للأميني ١ :٦٤٩ .

(٥٨) نهاية العقول: ٣٨٣-٣٨٤ (خ) وكرّره في الأربعين ٢٩٨، والتفسير ٢٩ :٢٨، مختصراً، وتبعه على ذلك الآمدي في أبكار الأفكار ٥ :١٨١، والجرجاني في شرح المواقف ٨ :٣٦١ ـ ٣٦٢، وابن حجر الهيتمي في الصواعق ١ :١٠٨، والدهلوي في التحفة الاثني عشرية: ٤١٧، والآلوسي في روح المعاني ٥ :١٩٥، والزعبي في البينات ٢ :١٥٣، وغيرهم .

(٥٩) راجع عبقات الأنوار، حديث الغدير ٨ :٣٢٧ .

(٦٠) يوسف: ٤٣ .

(٦١) المزهر ٢ :٥٤، عبقات الأنوار، حديث الغدير ٨ :٣١٠ .

(٦٢) م ن ٢ :٣٦، عبقات الأنوار، حديث الغدير ٨ :٣١٠ .

(٦٣) الغدير للأميني ١ :٦٣٤ .

(٦٤) الصراط المستقيم للبياضي ١ :٣٠٨ .

(٦٥) المحصول ١ :٢٥٧ .

(٦٦) نهاية العقول: ٣٨٤ (خ) .

(٦٧) شرح الكافية للرضي ٤ :١٤٩ .

(٦٨) صحيح البخاري ٨ :٦، صحيح مسلم ٥ :٥٩، سنن الترمذي ٣ :٢٨٣ وغيرها .

(٦٩) عمدة القاري ٢٣: ٢٣٧ ح٢٣٧٦ .

(٧٠) راجع عبقات الأنوار، حديث الغدير ٩: ٣٧ ـ ٣٨ .

(٧١) معاني الأخبار: ٦٩ .

(٧٢) معاني الأخبار: ٧٠ .

(٧٣) م ن: ٧٣ .

(٧٤) أقسام المولى: ١-٢، ونحوه الكراجكي في كنز الفوائد ٢ :٩٣ .

(٧٥) الشافي ٢ :٢٦٠ـ٢٦١، والذخيرة: ٤٤٢، وتبعه كل من أبي الصلاح الحلبي في تقريب المعارف: ٢١٤ ،والكراجكي في كنز الفوائد ٢ :٨٤ـ٨٥، والطوسي في تمهيد الأصول: ٣٩٣، ٣٩٥، وتلخيص الشافي ٢ :١٦٧، والطبرسي في إعلام الورى ١ :٣٢٧ـ٣٢٨، والحمصي في المنقذ من التقليد ٢ :٣٣٧ـ٣٣٩ .

(٧٦) الشافي ٢ :٢٧٤ .

(٧٧) تقريب المعارف: ٢١٥ـ٢١٦ .

(٧٨) التوبة: ٧١ .

(٧٩) صحيح مسلم ١ :٦١، سنن ابن ماجة ١ :٤٢ ح١١٤، سنن الترمذي ٥ :٣٠٦، السنة لابن أبي عاصم ٥٨٤ ح١٣٢٥ .

(٨٠) مسند أحمد ٥ :٢٦، المعجم الكبير للطبراني ٢٠ :٢٣٠، مجمع الزوائد للهيثمي ٩ :١١٤ وقال: رواه أحمد والطبراني برجال وثّقوا .

(٨١) صحيح البخاري ٤ :٢٠، صحيح مسلم ٥ :١٩٥ .

(٨٢) سنن الترمذي ٥ :٣٠٠ ح٣٨٠٥، المستدرك للحاكم ٣ :١٣٠ وصحّحه، ونحوه في مجمع الزوائد للهيثمي ٩ :١٢٦ وقال: رواه البزار والطبراني باختصار ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة .

(٨٣) صحيح البخاري ٥ :١٢٩، صحيح مسلم ٧ :١٢٠ .

(٨٤) صحيح مسلم ٧ :١٢٠، سنن الترمذي ٥ :٣٠١ .

(٨٥) فتح الباري لابن حجر ٧ :٥٧، تحفة الأحوذي للمباركفوري ١٠ :١٤٤ .

(٨٦) م ن ٧ :٦١ .

(٨٧) نهاية العقول: ٤١٢ (خ) .



(٨٨) عماد الإسلام، كتاب الإمامة: ٣٤٦ .

(٨٩) العثمانية: ١٤٤ .

(٩٠) منهاج السنة ٧ :٣١٩ .

(٩١) م ن ٧: ٥٥ ـ ٥٩ .

(٩٢) مجموع الفتاوى ٤: ٤١٧ .

(٩٣) العواصم من القواصم: ١٤٩، ١٩٢ .

(٩٤) البداية والنهاية ٥ :٢٣٤، السيرة النبوية ٤ :٤٢٦، وكذلك في روح المعاني للآلوسي ٥ :١٩٥ .

(٩٥) الصواعق المحرقة ١ :١٠٧، عنه السيرة الحلبية ٣ :٢٧٤ .

(٩٦) كشف الخفاء: ٣٢٤ .

(٩٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤ :٣٤٣ـ٣٤٤ .

(٩٨) مسند أحمد ٤ :٣٦٨ .

(٩٩) المعجم الأوسط ٢ :٢٧٥، ووثق الهيثمي رجاله في مجمع الزوائد ٩ :١٠٦ .

(١٠٠) سنن النسائي ٥ :٤٥ ح٨١٤٨ .

(١٠١) مسند أحمد ٤ :٣٦٨، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢ :٢١٧ .

(١٠٢) الضعفاء ١: ٢٤٨ رقم ٢٩٧، تهذيب التهذيب ٢ :٢٩١ رقم ٥٩٦ .

(١٠٣) مسند أحمد ١ :١٥٢، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢ :٢١٣، البداية والنهاية ٥ :٢٣٠، ٧ :٣٨٥ .

(١٠٤) غافر: ٥١ .

(١٠٥) الروم: ٤٧ .

(١٠٦) الحج: ٤٠ .

(١٠٧) المؤمنون: ٤٤ .

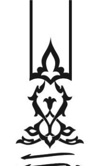
(١٠٨) البقرة: ٨٧ .

(١٠٩) نهج البلاغة: ح، الخطبة: ٩٠ .

(١١٠) البقرة: ٢١٤ .

(١١١) الانفال: ٣٩ـ٤٠ .

(١١٢) الحجرات: ٩ .





(١١٣) النساء: ٤٣ .

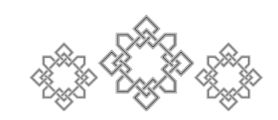
(١١٤) المستدرك للحاكم: ١ :٢٢ .

(١١٥) فتح الباري لابن حجر ١٢ :٥٢ .

(١١٦) المعجم الكبير للطبراني ٧ :٣١٠ .

(١١٧) صحيح البخاري ٣ :٢٠٧، كتاب الجهاد .

(١١٨) الغدير ١ :٦٥٥ .



Al- Aqeeda

A quarterly magazine that deals with the doctrine and with modern and old scholastic theology issues



www.iicss.iq
islamic.css@gmail.com
aqeedah.m@gmail.com



يعنى بالاستراتيجية الدينية
النجف الأشرف